جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ



منهج المروزيّ وموارده في كتاب طبائع الحيوان مقالات منتخبة من المقالة الاولى

باب الصين و الترك و الهند

أطروحة تقدم بها الطالب

غازي هادي حمزة اليســـــاري

الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء وهي من متطلبات درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الاسلامـــــي

باشراف الاستاذ الدكتور

هاشم ناصر حسين الكعبي

1438هـ — 2017م

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Karbala

College of Education for Human Sciences

Department of History



Al-Marowzi approach and its Resources in the book of Tba'e Alhaywan selected from the first article

chapters of China, Turk and India

Thesis submitted by the student

Ghazi Hadi Hamza Al-yassari

To the Council of the College of Education h for Human Sciences / University of Karbala, one of the Ph.D degree requirements Philosophy in Islamic history

Supervised by

Prof. Hashim Nasir Hussain Al-ka'by (Ph.D)

2017 AD **1438 AH**


المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نطاق البحث وعرض المصادر والمراجع

الحمد لله رب العالمين , نحمده ونستعينه ونستغفره , ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا , من يهده الله فلا مضل له , ومن يضلل فلا هادي له , وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له , وأشهد أن سيدنا وإمامنا وقدوتنا وحبيبنا وشفيعنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) عبده ورسوله , بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون , والصلاة والسلام على آله الأئمة المعصومين وذريته الطاهرين وصحبه المنتجبين , ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد : -

فإن من الأمور الواضحة والمكررة التي يلاحظها الدارس لمسيرة البحث التاريخي في هذا العصر , إن دراسة الموضوعات العامة والخاصة في التأريخ الاسلامي تحظى برغبة وإقبال كبيرين من معظم الباحثين والدارسين , وذلك لوفرة مصادرها ومراجعها – في غالب الاحيان – من جانب , ولسهولة البحث فيها وتيسره من جانب آخر .

أما دراسة المنهج الذي يقوم على التحليل و الإستقراء و الإستنتاج فهي لا تحظى تماماً بمثل ذلك القبول , ولا بالعدد الكافي من الباحثين , لذا فإن الدراسات في هذا المجال ما زالت قاصرة وتحتاج الى مزيد من التشجيع والاهتمام , لأنه إذا ما توافر هذا النوع من الدراسات , فسيكشف الباحث كثيراً من الاحداث التاريخية على حقيقتها وعلى وجوهها الصحيحة , خاصة من الرؤية الواضحة التي تعينه على التقويم والنقد الايجابي والتقدير الصحيح للأمور والنتائج , ووضع الأشياء في موضعها المناسب و الصحيح , والنتيجة النهائية من ذلك أنه ستتاح آفاق واسعة لدراسة التاريخ العربي الاسلامي على نهج واضح وسليم , و سيتغير كثير من المفاهيم السائدة والمدونة في بعض الكتب التاريخية , وعليه فإن دراسة مناهج المؤرخين العرب المسلمين , ومعرفة خلفيات كتاباتهم ومصنفاتهم تكتسب قدراً كبيراً من الأهمية .

وهذه الدراسة تأتي ضمن حقل الدراسات التاريخية والجغرافية التي تهتم بالكشف عن جهود المؤرخين العرب المسلمين , وتوضيح منهجهم في التأليف ومواردهم وأساليبهم في تناول الأحداث التي عاشتها الدولة العربية الاسلامية , وتاريخ الأمم والأقوام المجاورة لها , وتخريج الكتب العربية الاسلامية الأصيلة ودراستها , واكتساب الخبرة في ذلك بإشراف علمي ومنهجي موثوق , والتنقل بين كتب أهل العلم واقتناص فوائدها ومعرفة مناهجها والاستفادة منها , ومن هنا جاءت الرغبة والدافع في تسجيل هذه الأطروحة بعد شهور من مرحلة البحث , والتي تقدم المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ - كان حياً (سنة 518هـ /1134م) - وبعنوان (منهج المروزي ومواررده في كتاب طبائع الحيوان , مقالات منتخبة من المقالة الاولى , باب الصين والترك والهند) , بعد مداولة مع اساتذة مرحلة الدكتوراه للتاريخ الاسلامي في كلية التربية للعلوم الانسانية في جامعة كربلاء .

يعد شرف الزمان طاهر المروزيّ أحد المؤرخين المسلمين البارزين الذين كتبوا عن بلاد المشرق والمغرب بكتابه المعروف (طبائع الحيوان) - المقالة الأولى منه - فكان يستقصي ويدوِّن ما يحصل عليه من موارد تأريخيه عن هذه الأمم , وخاصة موضوع دراستنا – بلاد الصين والترك والهند – ويكتب ما يعرض له وما يثير انتباهه , وما يلاحظه من عادات وتقاليد ونظم وحضارة لدى الأمم والشعوب المختلفة في هذه البلاد .

وكان من الخصائص المميزة لكتابة المروزيّ التاريخية والجغرافية , كتابته في التأريخ العالمي في عصره , فكان يحاكي الواقع , و يمثل رؤية أهل البلاد لبلادهم , وقد أوفى على بعض من سبقه من المؤرخين في هذا المجال , وعبَّر عن إدراكه الواضح للروح العالمية في التاريخ الانساني وترابطه الوثيق وتأثير بعضه في بعض , ومزج بين المعلومات التاريخية والجغرافية ضمن المقالة الأولى من مقالاته الخمس من كتابه طبائع الحيوان .

وإضافة الى ذلك قدَّم تصوراً واضحاً عمّا تُحدثُهُ البيئة والعوامل الطبيعية المختلفة من أثر في حياة الانسان وسلوكه وفكره , وما تحدثه من تأثير أيضاً مماثل في تميز الانسان عن الحيوانات والنباتات والجماد , وخاصة في بقية أبواب المقالة الأولى والمقالات الأربع الأخرى من كتابه , ويعدُّ نموذجاً حياً صادقاً يوضح اهتماماته العلمية واتجاهاته و تفكيره ومنهجه .

لقد واجه إعداد هذه الأطروحة صعوبة الحصول على المصادر في المكتبات التي تناولت حياة شرف الزمان طاهر المروزيّ , وقد استدعى ذلك الكثير

من البحث والوقت , إلى أن عثرت على كتاب (طبائع الحيوان) للمروزيّ بجميع مقالاته وأبوابه , وبتوفيق من الله تعالى اهتديت الى نسخة متكاملة منه من خارج العراق , فتمت دراسته بالتمام والتدقيق فيه , واستخراج مادة البحث منه , فتوفرت والحمد لله مادة دسمة مكنت من الاستمرار في كتابة هذه الاطروحة , ولا سيما أنَّ المقالات الأربع الأُخرى من كتابه طبائع الحيوان , وعلى الرغم من اختصاصها بعلم الحيوان وما يتصل به فقد وجدت في أثنائها معلومات مهمة أفادت في إنجاز هذه الأطروحة.

كذلك الأبواب الأخرى من المقالة الأولى والتي أعتنى بعضها بدراسة حياة الشعوب العالمية التي عاصرها المروزيّ , إضافة إلى دراسة كتب الرحلات للجغرافيين العرب المسلمين , التي صنفت قبل عصر المروزيّ , والاطلاع على مضمونها وتدقيق ما ورد فيها من روايات عن بلاد الصين والترك والهند , ومقارنة ذلك مع ما ورد في الأبواب الثلاثة – بحث الدراسة - فتوفرت أيضاً مادة علمية أسهمت أيضاً في انجاز هذه الدراسة , واطمأنت النفس إلى صواب عنوان الأطروحة .

وعلى أي حال فقد بذل في هذه الدراسة الجهد والوقت , في سبيل إخراجها بصورة يُتمنى أن يرضى عنها أولو الشأن , ولا يُزعم أنها تجاوزت كل مزالق الخطر في طريقة تصويرها , ولكن تم السعي إلى ذلك ما وسع الجهد , فاذا كان هذا البحث قد وفق أو اقترب من التوفيق فذلك القصد والهدف ولّله الحمد والشكر , والدعاء الى الباري العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته , أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ولا يحرم ثوابه , وإن جانب التوفيق فالثواب في صدق المحاولة وحسن النية والأعمال بالنيات , فالباحث بذل كل ما يستطيع في البحث والتمحيص والمقارنة والتحقق , ويدعو الله أن يعفو ويتجاوز عنه , وهو على استعداد للتراجع عن أي فكرة أو رأي عرضه في هذا البحث ثم تبين بالدليل أنه مخالف للحقيقة , فإذا كان فيه شيء من بلوغ القصد فمن فضل الله سبحانه وتعالى , وإن قصر عن ذلك فهي طبيعة الجهد البشري , ربِّ اختم بالخير برحمتك .

قسمت هذه الأطروحة على تمهيد و مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع .

قدم في التمهيد الوصف الجغرافي لبلاد الصين والترك والهند وحدودها بين الاقاليم , وجذور العلاقات العربية الاسلامية وتطورها مع هذه البلاد , معتمدين في ذلك على المصادر العربية الاسلامية , قبل الخوض في هذه الدراسة .

وتضمن الفصل الأول , والذي جاء بعنوان , (عصر شرف الزمان طاهر المروزي) ثلاثة مباحث , تتبعنا في المبحث الأول والذي جاء بعنوان (الحياة السياسية) , الاحداث السياسية في العصر الذي عاش فيه المروزيّ وأبرز معالمه في دولة السلاجقة العظام (429 – 485هـ / 1037- 1092م) وعاصمتها مرو , وما اتسم فيه هذا العصر من صراع بين القوى السياسية التي حاولت أن تستبد بالسلطة , وأن يكون لها نفوذ في الدولة العباسية فكان ظهور البويهيين (321 – 431هـ/ 922 – 1039م) ثم السلاجقة , واحتوى ايضاً ما أصاب العالم الاسلامي من شرخ كبير في وحدته , ودخول الدولة العباسية في مرحلة الجمود , وظهور دول اسلامية متقابلة ومتلاحقة , مستقلة عن الدولة العربية الإسلامية الكبرى وعاصمتها بغداد , وبروز الأطماع الأوروبية الصليبية للانقضاض على هذه الدولة , وقد تضمن المبحث عصر السلاطين السلاجقة العظام – الذين عاصرهم المروزيّ – وأهم الأحداث السياسية التي واجهتهم ودورهم في التصدي للأخطار البيزنطية على الأراضي الإسلامية , ثم انحدار دولتهم وانقسامهم بعد ذلك .

أمّا المبحث الثاني والذي جاء بعنوان (الحياة العلمية) فقد تناولنا فيه المؤسسات التعليمية التي ظهرت في مدينة مرو - المدينة التي عاش فيها المروزيّ – في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين , ووضحنا دور كل مؤسسة في الحياة الفكرية , والتي تشكل في مجملها صورة للبيئة الثقافية في مدينة مرو والتي أثرت في حياة المروزيّ من حيث ثقافته وعلميته وشخصيته واتجاهاته وميوله .

ثم تتطرق المبحث الثالث والذي جاء بعنوان (سيرته وحياته) , فقد أعتنى بدراسة سيرة المؤلف وحياته , وفيما يتصل بأسمة ونسبه ونشأته وولادته , وديانته وأهواءه ومذهبه , وحياته العلمية وثقافته ومؤلفاته ورحلاته , وشيوخه وتلاميذه وتاريخ وفاته .

أمّا الفصل الثاني والذي جاء بعنوان (العلوم العربية الإسلامية في التاريخ والجغرافية والحيوان قبل عصر المروزيّ) , فليس من هدفنا ان يتم الحديث في هذا الفصل عن نشأة وتكوين علوم التأريخ والجغرافية والحيوان عند المسلمين , والمراحل التي مرت فيها عبر القرون حتى عصر المروزيّ ولا العوامل التي ساعدت على ظهورها ونشاط حركة التأليف فيها , ولكن يهمنا أن يبرز- بإيجاز – بعض الملامح المميزة لعدد من المؤرخين والجغرافيين ومن ألف في علم الحيوان المروزيّ في فترة نضج هذه العلوم , والذين قد يتفقون معه في بعض الخصائص

أو يختلفون لأننا من خلال ذلك نستطيع ان نتبين حقيقة منهج المروزيّ في الأبواب الثلاثة وأهم اضافاته في هذا المجال , لذا تم تقسيم هذا الفصل على ثلاثة مباحث , فالأول منه حمل عنوان الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين حتى عصر المروزيّ , وتضمن نبذة مختصرة عن تطور الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين , ونشأتها وتطورها في الدول الإسلامية المتعاقبة والمتقابلة حتى عصر المروزيّ , والمراحل التي مر فيها , من أسلوب السيرة وأسلوب الأخبار , إلى أسلوب الانسان وفكرة الامة , وكان عنصر الوقت يتخلل هذه المراحل جميعاً .

والمبحث الثاني حمل عنوان الكتابة الجغرافية عند العرب المسلمين حتى عصر المروزيّ , وعرض فيه امتلاك العرب قبل الإسلام معلومات جغرافية فلكية استفادوا منها في ترحالهم وتنقلاتهم , ومعلومات عن اهتمام العرب المسلمين بالمعرفة الجغرافية والرحلات , وتطور التأليف الجغرافي العربي الاسلامي , من العناية الشديدة بالأقاليم الاسلامية الى التخصص في بلد واحد أو مدينة واحدة , والاتجاه بعد ذلك الى تصنيف المعاجم الجغرافية , متأثراً بعلم الجغرافية لدى الإغريق بعد ترجمة بعض مصنفات هذه الأمم الى اللغة العربية في العصر العباسي .

وجاء المبحث الثالث بعنوان علم الحيوان عند العرب المسلمين حتى عصر المروزيّ , تضمن معلومات عن معارف علم الحيوان عند العرب قبل انتشار الاسلام في الجزيرة العربية , وخلال الدول العربية الإسلامية المتلاحقة , وما تضمنه القرآن الكريم من آيات تناولت حياة الحيوان , والمراحل التي مر فيها هذا العلم حتى عصر المروزيّ وتصنيفه كتاب طبائع الحيوان , وتم عرض اسماء أهم المصنفات العربية الإسلامية في علم الحيوان التي كتبت في هذا الفترة .

وحمل الفصل الثالث عنوان (المنهج والموارد) , وهو أوسع الأبواب وأكثرها أهمية , وقد تم تقُسِّيمه على ثلاثة مباحث , عرض في المبحث الأول منه , والذي جاء عنوانه (وصف الكتاب) , التعريف بالكتاب , وضبط عنوانه ونسبته وتاريخ تأليفه , والغرض من تأليفه ومخطوطاته وطبعاته وترتيبه وتقسيماته .

وتناول المبحث الثاني والذي جاء بعنوان (منهج المؤلف في عرض مادته في الابواب الثلاث) , أُسس عرض مادة التاريخية حسب الموضوعات , وانتقائها وتنظيمها في الأبواب الثلاثة , وأهم الوثائق التاريخية النادرة التي قدمها المروزيّ في باب الصين وانفرد فيها .

أمّا المبحث الثالث من هذا الفصل فقد جاء بعنوان (موارده) , تضمن أسلوب المروزي و منهجيته في كتابة الأبواب الثلاثة – الصين والترك والهند - ومقتبساته من التراث اليوناني القديم , ومصادره الفارسية والعربية الاسلامية , وموارده وشيوخه , إضافة إلى اسلوب نقده للروايات , وبداية نقله للروايات التاريخية ونهايتها , والإعلام الذين ذكرهم المروزيّ في الأبواب الثلاثة .

وحتى يستوفي عنوان هذه الأطروحة استحقاقه العلمي , فقد تم تخصيص الفصل الرابع للحديث عن (التطبيقات المنهجية) , وجرى استقراء ذلك من مجمل موارد المروزيّ في الأبواب الثلاثة وتضمن .

أولاً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن الجانب السياسي والطبقات الحاكمة .

ثانياً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن نظام الحكم والادارة والقضاء .

ثالثاً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن طبقات المجتمع .

رابعاً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن الجانب الديني .

خامساً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن الجانب الديني .

سادساً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن الجوانب الاقتصادية

التجارة – الزراعة – الصناعة – الضرائب – الموانئ .

سابعاً :- منهجه الانثرلوجي في بلاد الصين والترك والهند مقارنة مع بلاد اخرى في كتابه طبائع الحيوان .

وخلص البحث بعد ذلك الى خاتمة أوجزت ما انتهى اليه البحث ونتائجه , وأعقب ذلك ثبت بالمصادر الأساسية والمراجع الثانوية التي أفادت منها هذه الدراسة .

عرض المصادر

من الأمور البديهية لمن يقوم بدراسة موضوع كموضوع هذه الأطروحة , أن لا يتوقع العثور على مادته العلمية في نطاق واسع من المصادر الأولية القديمة , لكون هذا النوع من الدراسات والأبحاث , لم يظهر ألّا في اوقات متقاربة قياساً الى الدراسات والبحوث الأخرى , ومن هنا فأن المصدر المعتمد الذي قامت عليه دراسة هذا الموضوع هو كتاب المروزيّ نفسه (طبائع الحيوان) , وهو المصدر الحقيقي والأساس المتين الذي بني عليه البحث , فمن هذا الكتاب

استخرجت المعلومات واستخلصت النتائج , واستنبطت الأفكار , وبنيت الاحكام والملاحظات , ولذلك سيلاحظ القارئ تردد اسم الكتاب ومقالاته وأبوابه كثيراً , خلال فصول هذه الدراسة ومباحثها .

أما المصادر الأخرى , فقد تمت مراجعة عدد وافر منها , وأكتفينا بالإشارة الى أهمها من دون الحاجة الى الخوض في تحليلها , ذلك أن معظم هذه المصادر قد تم تحليلها في دراسات سابقة , بالرغم من أنه سيتم تناول بعضها ومؤلفيها في الفصل الأول بحكم دراسة تطور الكتابة التاريخية والجغرافية لدى العرب المسلمين حتى نهاية عصر شرف الزمان طاهر المروزيّ .

وأهم هذه المصنفات كتب الرحالة والجغرافيين العرب المسلمين التي احتلت حيّزاً مهماً في هذه الدراسة وأهمها : مصنف اليعقوبي (ت292هـ /904م) البلدان , ومصنف ابن خرداذبه (ت 300هـ /912م) المسالك والممالك , ومصنف ابن فضلان (ت 310هـ/922م) رسالة ابن فضلان , ومصنف الإصطخري (ت346هـ/957م) المسالك والممالك , ومصنف ابن حوقل (ت367هـ /977م) صورة الارض , ومصنف المقدسي (ت 390هـ/ 999 م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم , ومصنف البكري (ت 487هـ/ 1094م) المسالك والممالك ايضاً , ومصنف ياقوت الحموي (ت626هـ/ 1228م) معجم البلدان , وهذه المصنفات تضمنت موارد مهمة جداً عن بلاد الصين والترك والهند , وحدودها ومواقعها , والأعياد والتقاليد والأنساب والمعتقدات فيها , والأجناس البشرية والقبائل ومواقع البحار والمدن والموانئ , وتمت مقارنة ما ورد فيها مع موارد أبواب الصين والترك والهند من كتاب المروزيّ طبائع الحيوان .

إضافة الى أحد المصنفات الأدبية والمصنفات التاريخية المهمة لعدد من المؤلفين العرب الكبار قد ساعدت , على إنجاز هذه الاطروحة وأهمها كتاب نهج البلاغة للشريف الرضي (ت 436هـ / 1044م) الذي جمع فيه خطب وأقوال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) (أستشهد 40هـ / 660م) , , وكتابا البلاذري (ت279هـ/892م) , فتوح البلدان و أنساب الاشراف , وابو حنيفة الدينوري (ت 282هـ/895م) , صاحب كتاب الأخبار الطوال , واليعقوبي (ت 292هـ / 904م) , وكتابه التاريخي المعروف بتاريخ اليعقوبي , وأبو جعفر الطبري (ت 310 هـ/922م) ومصنفه الكبير تاريخ الرسل والملوك , والمسعودي (ت346هـ/957م) ومصنفه مروج الذهب ومعادن الجوهر, والكرديزي (ت ق5هـ

/ 11م) ومصنفه زين الاخبار , وابن الأثير (ت630هـ/ 1232م) ومصنفه الكامل في التاريخ .

كما لا يمكن إخفاء افادت هذه الدراسة من بعض الدراسات الحديثة التي كتبت عن المروزيّ , سواء كانت مخصصة له , أم كان يذكر فيها الى جانب غيره من المؤرخين , فقد استفدت منها وأوضحت بعض الجوانب عن فكره ومنهجه وموارده , وسيكتفي الباحث بالإشارة الى أهم تلك الدراسات , وهي مقدمة كتاب طبائع الحيوان , المقالة الأولى في أحوال الانسان وحضارته للطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ للكاتب المصري عبد الحميد حمدان , وكتاب تاريخ الأدب العربي الجغرافي للمستشرق اللتواني اغناطيوس يوليا نوفتش , وكتاب الاسلام في الصين للكاتب المصري فهمي هويدي .

والجدير بالذكر ان كثير من المراجع التاريخية المتأخرة , التقت بأخبار هذا الكتاب كالمستشرق باتولد , ومنيورسكي , وغيرهم من كتاب آسيا , وبالاخص مؤرخي الاجناس التركية .

وكان لا بد من الاطلاع على بعض الدراسات والاطاريح والرسائل الحديثة التي تناولت منهجية بعض المؤرخين الكبار ومواردهم , منها الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام , أطروحة دكتوراه قدمها الدكتور بشار عواد معروف , إلى مجلس كلية الآداب , جامعة بغداد سنة 1975م , والطبري ومنهجه في التاريخ , أطروحة دكتوراه قدمها الدكتور عبد الرحمن العزاوي إلى مجلس كلية الآداب , جامعة بغداد , سنة 1986م , والسخاوي وكتابه الضوء اللامع , موارده ومنهجه , أطروحة دكتوراه قدمتها الدكتورة فاطمة جبار عنيزان إلى مجلس كلية الآداب , جامعة بغداد , سنة 2000م .

كما تمت مراجعة بعض الصحف والمجلات والدوريات والكتب الاجنبية التي تناولت بلاد الصين والترك والهند في العصور العربية الاسلامية فضلاً عن مراجع اخرى لا يمكن اغفال اهميتها إلا أنه اختصر ذكرها لتجنب الاطالة .

وللإفادة فإن جميع الموارد التي أُعتمدت في كتابة هذه الأَطروحة , وأستقي العلم منها , ستذكر تامة كاملة عند ورودها للمرة الأولى , ثم يشار لها رمزاً وإختصاراً إن تكرر ورودها في المباحث والفصول اللاحقة .

وتم أيضاً التعريف بالمُبهم المغمور من أسماء الناس والبلدات والمدن والأنهار والبحار والمعاني ونحوها في الهوامش , بما يفيد في توضيح النصوص ,

وتسهيل الإفادة منها , وتيسير أنتفاع القارئ وصرفه عن عناء المراجعة والبحث في أمور يكون الباحث من غير ريب أكثر دراية بها ودربه عليها , وكان مصدرنا الاهم في ذلك كتاب معجم البلدان بجميع مجلداته لياقوت الحموي (ت 626هـ / 1228م).

وقد سبقنا للنظر الى جانب من الموضوع , دراسات أخرى تم الاطلاع على مضمونها , وهي أطروحة دكتوراه قدمها الدكتور احمد محبس حسن الحصناوي , الى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا , بغداد , سنة 2012م , بعنوان كتاب طبائع الحيوان , المقالة الاولى في ذكر الانسان وأنواعه وطبقاته من أعلى مراتبه الى منازله , دراسة وتحقيق .

وأطروحة الدكتوراه قدمها الدكتور حسين كريم حميدي المسعودي , المقدمة الى مجلس كلية الآداب , جامعة الكوفة , سنة 2014م , بعنوان التاريخ السياسي والحضاري لبلاد الهند في المصنفات العربية الاسلامية حتى نهاية العصر العباسي .

وكذلك رسالة الماجستير للطالب صادق مكي عليوي الشمري , المقدمة الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية في جامعة كربلاء , سنة 2015م , بعنوان قبائل الترك في كتاب طبائع الحيوان للمروزيّ وفي رحلة ابن فضلان , دراسة مقارنة .

وأخيراً أرجو أن تظهر هذه الأطروحة على أفضل وجه ومن الله التوفيق .

التمهيـــــد

الوصف الجغرافي لبلاد الصين والترك والهند وجذور العلاقة وتطورها مع المسلمين

دأب المؤرخون العرب المسلمون القدامى على أتباع منهج في كتابة التاريخ , فإذا أرادوا كتابة تاريخ بلاد , قدموا لذلك كلاماً وصفياً عن حدودها وجبالها وبحورها وأنهارها وأشهر مدنها , وكان أولئك المؤرخون القدامى يشفعون كتاباتهم بشيء عن تاريخ البلاد التي يتصدون لكتابة جغرافيتها , فالتاريخ والجغرافية علمان متقاربان من شجرة المعارف العامة و كان العرب يطلقون عليها الأدب بوجه عام [1] .

ومن الأقوال المأثورة أن التاريخ هو علم الزمان , وأما الجغرافيا فهي علم المكان الذي له أثره في توجيه أحداث الزمان , والعوامل الجغرافية من مناخ وأمطار ومواقع وجبال وانهار وتربة وثروة معدنية ونباتية وحيوانية , وهي من الأسباب الرئيسة في تغيير مسار التاريخ الإنساني , ونقل الحضارة الإنسانية من مكان الى آخر[2] .

ولإعطاء هذه الدراسة حقها , فمن الممكن أن يقدم وصف جغرافي سريع لهذه البلاد , وموقعها وحدودها بين الأقاليم و البلاد , معتمدين في ذلك على المصادر العربية الإسلامية , لتحديد موقعها قبل الدخول في تفاصيل هذه الدراسة .

---

[1] مؤنس , حسين , الجغرافية والجغرافيون في الأندلس , صحيفة معهد الدراسات الإسلامية , اسبانيا , مدريد , 1963م , ص199 , 200 .

[2] جعفر , نوري , التاريخ مجاله وفلسفته , د.ط , مطبعة الزهراء , العراق , بغداد , 1955م , ص 50 – 51 .

يقول ياقوت الحموي [1]عن موقع بلاد الصين :- " تقع بلاد الصين في بحر المشرق مائلة الى الجنوب وشماله بلاد الترك وأهلها بين الترك وبلاد الهند ".

لقد تم تحديد موقع بلاد الصين , على أنها تقع في مطلع الشمس[2] أو مشرق الشمس [3] , ويحتاج من يخرج إليها من بلاد المسلمين عبور سبعة بحار , لكل بحر منها لون وريح وسمك ونسيم يختلف عن البحر الذي يليه [4] , ويضيف شرف الزمان طاهر المروزيّ أن بلاد الصين تقسم الى ثلاثة أقاليم : أعظمها مملكة الصين وفيها مدينة الملك ومرفأ السفن يقع في جنوب البلاد , وإقليم قتاي ويسميه العامة خطاي , والإقليم الثالث يغر[5] , وتمتد أراضي الصين من المحيط الهادي شرقاً حتى تصل إلى بلاد التبت[6] وشمالها بلاد التبت [7] .

---

[1] شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي , (ت626هـ / 1228م) , معجم البلدان , ط1 , دار أحياء التراث العربي , مؤسسة التاريخ العربي , لبنان , بيروت , د .ت , مج3 , ص 219 , 220 .

[2] الحميري , محمد عبد المنعم , (ت 900هـ/1494م) , الروض المعطار في خبر الأقطار , تحـ , أحسان عباس , مكتبة لبنان , لبنان , بيروت , 1975م , ص370 .

[3] المروزيّ , شرف الزمان طاهر , (ت بعد 518هـ/1124م) , كتاب طبائع الحيوان , الولايات المتحدة الامريكية , لوس انجلوس , جامعة كاليفورنيا , رقم 52 , ص23 .

[4] وكانوا يعدون فيه سبعة ابحر , تسمى باسماء المناطق التي تحاذيها , وتشمل هذه البحور: البحر الاخضر (الخليج العربي) , بحر لاروى (غرب الهند) , وبحر هركند (شرق الهند) , وبحر شلاحط (غرب ماليزيا) , و بحر كندرنج (شرق ماليزيا) , بحر صنجي (جنوب الصين) . ينظر : اليعقوبي , أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح , (ت292هـ/904م) , تاريخ اليعقوبي , ط1, تحـ , عبد الأمير مهنا , مؤسسة الاعلمي للمطبوعات , لبنان , بيروت , 1413هـ/ 1993م , مج1 , ص226 ,227 . وهي ستة بحار عند البكري , بحر لا روي , بحر هركند , بحر كالابار , بحر كندرنج , بحر الصنف , بحر الصين وهو بحر صنغى . ينظر : البكري , أبوعبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487هـ/1094م), المسالك والممالك , ط 1, تح , الدكتور جمال طلبه , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , (2003 م / 1424هـ) , مج 1, ص 140.

[5] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص 23 .

[6] بلاد متاخمة لبلاد الصين من جهة وبلاد الهند من جهة اخرى , لها عمائر ومدن اخرى , ذوات سعة وقوة .ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج1 , ص 428 .

[7] ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج1 , ص428 .

وأضاف ياقوت الحموي [1] عن موقع بلاد الصين قائلاً :- " تقع بلاد الصين في بحر المشرق مائلة إلى الجنوب وشمالها بلاد الترك وأهلها بين الترك وبلاد الهند" .

أما مساحة بلاد الصين فقال البكري [2] :- " وعملها في المشرق واحد وثلاثون ألف فرسخ [3] في أحد عشر ألف فرسخ , وعمل تبت خمسمائة فرسخ في مئتين وثلاثين فرسخ" وتتكون بلاد الصين من ثلاثمئة مدينة , وعلى كل خمسين منها ملك يحكمها يلقب بملك الملوك [4] , ويخترقها نهر عظيم يسمى نهر ماء الحياة أو نهر الصين , ويشبه هذا النهر نيل مصر في الخيرات , إلا أنه أكثر عمراناً وعليه النواعير الكثيرة [5] , وأضاف الكرديزي [6] :- " يقولون إن مملكة الصين هي أكبر ممالك الأرض وأغنى الأماكن وهي واسعة فسيحة الأرجاء " , وأضاف المروزيً أيضاً [7] :- " ... وساحل الصين مسيرة شهرين , والبحريون يقدرون سير المركب في كل يوم أذا طابت الريح خمسين فرسخاً فعلى هذا التقدير يكون ساحلهم ثلاثة ألف فرسخ البحر " , وأيده أبن خرداذبة في أن ساحل الصين مسيرة

---

[1] معجم البلدان , مج3 , ص219-220 .

[2] المسالك والممالك , مج2 , ص62 .

[3] الفرسخ :- مقياس فارسي معرب , وهو ثلاثة أميال , والميل أربعة الاف ذراع , والذراع اربع وعشرون إصبعاً , والاصبع ستة حبات شعير مصفوفة بعضها الى بعض , والميل أربعة ألاف ذراع , فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع , والذراع أربعة وعشرون أصبعاً , والأصبع ستة حبات شعير مصفوفةً بطون بعضها إلى بعض . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص10 . والميل يساوي ثلث الفرسخ , والفرسخ يساوي ما يقارب ستة كيلو مترات وهذا حوالي كيلو مترين . ينظر هنتس , فالتر , الميكائيل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري , د.ط , تر, كامل العسلي , د.م , الأردن , عمان , 1970م , ص 94 , 95 .

[4] الإدريسي , أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله , (ت560هـ/1164م) , نزهة المشتاق في اختراق الأفاق , د.ط , ليدن , 1891م , ص166 .

[5] ابن بطوطة , محمد بن عبد الله بن محمد , (ت779هـ/1377م) , رحلة ابن بطوطة , المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار , ط2 , تعليق طلال حرب , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , 1413هـ/1992م , ص629.

[6] أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود , (443هـ / 1051م) , زين الاخبار , د.ط , تر , عفاف السيد زيدان , المجلس الاعلى للثقافة , مصر , القاهرة , 2006م , ص 384 .

[7] طبائع الحيوان , ص 14.

شهرين [1] وبذلك قدمت لنا المصادر العربية الإسلامية وصفاً جغرافياً لموقع بلاد أهل الصين .

أما بلاد الهند فقد وصفها ابن حوقل [2], يذكر أن البحر الهندي يحدها من الشرق , وبحر العرب من الغرب , وجزيرة سيلان في الجنوب , أما الصين فتحدها على امتداد الحدود الشمالية .

كان البحر الهندي واسعاً جداً , فقسمه الجغرافيون العرب على سبعة بحار , وتسمى بأسماء المناطق التي تحاذيها من اليابسة , فيحدد البيروني مواقعها , وهي البحر الأخضر, وبحر لاروي , وبحر هركند , وبحر شلاهط , وبحر كندوج , وبحر الصنف , وبحر صنجي [3] .

وقال أبو الفداء[4] واصفاً حدود الهند :- " يحيط الهند من جهة الغرب بحر فارس (بحر العرب) , وتمامه حدود السند وما يصاقبه , ومن جهة الجنوب البحر الهندي , ومن جهة الشرق جبال الصين , ومن جهة الشمال بلاد طوائف الأتراك " .

ووصف المسعودي [5] أن بلاد الهند تقع في الموقع الفلكي الممتد شمال خط الاستواء , ويضيف المروزيّ[6] موقع بلاد الهند بقوله :- " هم ساكنو الربع الجنوبي

---

[1] أبن خرداذبة , أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله , (300هـ/ 912م) , المسالك والممالك , د.ط , مطبعة بريل , ليدن , 1918م , ص 69 .

[2] أبو القاسم النصيبي , (ت367هـ/977م) , صورة الأرض , د.ط , لبنان , بيروت , منشورات مكتبة الحياة , 1979م , ص9 .

[3] البيروني , أبو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي , (ت440هـ/1048م) , تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة , د.ط , الهند , حيدر اباد , د.م , 1958م , ص153 .

[4] عماد الدين إسماعيل بن علي محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب , (ت732هـ/1331م) , تقويم البلدان , د. ط , دار الطباعة السلطانية , فرنسا , باريس , 1840م , ص353 .

[5] أبو الحسن علي بن الحسين , (ت346هـ/ 957م) , مروج الذهب ومعادن الجوهر , تحـ , امير مهنا , ط1 , مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , لبنان , بيروت , (1421هـ/ 2000م) , ج1 , ص95 .

[6] طبائع الحيوان , ص43 .

من الأرض المسكونة , وبلادهم كثيرة ممتدة الأرجاء , متفارقة الأطراف في منتهى العمارة " .

وبناء على ما تقدم نرى أن الجغرافيين العرب المسلمين اختلفوا في تحديد موقع بلاد الهند , ما يدل على أنها واسعة الأطراف , وامتداداتها كثيرة ومتداخلة مع البلاد المجاورة , لكنهم اتفقوا على أن المحيط الهندي والجبال تقع شرق البلاد , وبحر العرب غرباً , وبلاد الترك والصين في الشمال وجزيرة سيلان في الجنوب .

أما مساحة أرض بلاد الهند فذكر السيرافي[1] أنها أكبر من مساحة أرض بلاد الصين , بل هي ضعف مساحة أرض بلاد الصين , وبذلك يخالف ما ذكره الكرديزي بأن بلاد الصين أكبر ممالك الارض , وأضاف القزويني [2] :- " انها بلاد واسعة تكون مسافتها ثلاثة أشهر في الطول وشهرين في العرض وهي أكثر بلاد الله جبالاً وأنهاراً " .وأضأف البيروني[3] أنّ نهر السند ينبع من شمال بلاد الهند , من جبال مكوث واتنك وشميلان .

وقال السيرافي[4] حول مناخ بلاد الهند :- " وبلاد الهند تمطر في الصيف ولا تمطر في الشتاء وتعرف (اليسارة) بلغة السنسكريتية , وتدوم لمدة ثلاثة أشهر تباعاً ليلاً ونهاراً , وكان اهل الهند يستعدون لها ويجمعون ما يدخرونه لهذه الفترة من أقوات وغيرها , وبمجرد دخول هذا الموسم الممطر يلزمون منازلهم " , ووصف البيروني [5] هذه الامطار (بمطر الحميم) , لتساقطها في فصل الصيف , ويستفاد منها في سقي زراعة الارز .

---

(1) ابو زيد الحسن بن يزيد (ت369هـ/979م) , أخبار الهند والصين , د.ط , تح , سوفاجيه , فرنسا , باريس , د.م , 1938م , ص26 .

(2) أثار البلاد أخبار العباد , ص 86 .

(3) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة , ص 166- 170 .

(4) أخبار الهند والصين , ص 126 , 127 .

(5) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة , ص 130 .

وقال ياقوت الحموي[1] واصفاً بلاد الترك وقبائلها :- " وأوسع بلاد الترك التغزغز وحدهم الصين والتبت والخزلج والكيماك والغز والجغر والبجناك و البذكش واذكس وخفشاق وخرخيز وأول حدهم من جهة المسلمين مدينة فاراب [2] ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة , والتغزغز في الترك كالبادية أصحاب عمد يرحلون ويحلون , والبندكشية أهل بلاد وقرى " .

ووصف نهاية حدود بلاد الترك مع بلاد الصين نحو قوله[3] :- " وانتهينا إلى موضع يقال له القليب فيه بوادي عرب ممن تخلف مع تُبَّع[4] لما غزا بلاد الصين لهم مصايف ومشاتٍ فيه مياه ورمال , يتكلمون اللغة العربية القديمة لا يعرفون غيرها , ويكتبون بالحميرية ولا يعرفون قلمنا , وملكهم من أهل بيت منهم لا يخرجون الملك من أهل ذلك البيت ... وملكهم يهادي ملك الصين ... , ثم انتهينا إلى مقام الباب , وهو بلد في الرمل تكون فيه حجبت الملك وهو ملك الصين , ومنه يستأذن لمن يريد دخول بلاد الصين من قبل قبائل الترك أو غيرهم " .

---

(1) معجم البلدان , مج1 , ص 438 , 439 .

(2) ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك , وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون , وهي سبخة لها غياض ولهم مزارع في غربي الوادي يأخذ من نهر الشاش . ينظر: ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 3 , ص 406 .

(3) ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص218 .

(4) تُبَّع :- هو تبان أسعد , ابو كرب بن ملكي كرب , تبع بن زيد بن عمر بن تبع , وهو ذو الادعار بن ابرحه تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ , وكان يقال له الرائد , سار بقبيلة حمير مع ساحل البحر حتى وصل الصين في جيش عظيم , فسار تبع حتى دخل بلاد الصين , وانتصر على جيشها , ويقال إن مسيره اليها وإقامته فيها وعودته إلى بلاده تم في سبع سنين , وإنه خلف في بلاد التبت اثني عشر الف فارس من حمير , وهم أهل التبت , ويزعمون أنهم عرب وصفاتهم الخلقية وألوانهم تشبه العرب . ينظر : الطبري , أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م) , تاريخ الأمم والملوك , د.ط , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , د . ت , مج1 , ص331-332 .

وهذا ما سبق ان ذكره اليعقوبي[1] قائلاً :- " والترك أصحاب مدر ومدن وحصون وفيهم أقوام في رؤوس الجبال والصحاري كالبدو ... وبيوتهم متصلة من أول كوّر خراسان الى جبال التبت وجبال الصين " .

وأكد أبن فضلان[2] أيضاً أن قبائل الترك فيهم أهل المدر والوبر قائلاً :- " أفضينا إلى قبيلة من الأتراك يعرفون بالغزية وإذا هم بادية لهم بيوت شعر , يحلون ويرتحلون , نرى فيهم الأبيات في مكان ومثلها في مكان آخر على عمل البادية وتنقلهم " .

وأكد القزويني[3] وجود العرب في بلاد الترك بقوله :- " وأهل تبت ترك ... وبها قوم من حمير من نسل من حملهم اليها في زمن التتابعة " .

وخلاصة ما تقدم أن أرض بلاد الترك يحيط بها إقليم خراسان وجبال التبت وجبال الصين , وحدودهم مع بلاد المسلمين كانت مدينة فاراب , وموقعها وراء نهر سيحون[4] , وهي أبعد من مدينة الشاش[5] , ويصعب تحديد أراضيهم بدقة , لأنَّ جزءاً من قبائل الترك متحركة صيفاً وشتاءً ولا مستقر ثابت لهم , يسكنون رؤوس الجبال والصحارى , والجزء الآخر منهم أصحاب قرى ومدن وحصون , كما أن

---

(1) تاريخ اليعقوبي , مج1 , ص223 .

(2) أبن فضلان , أحمد , (ت بعد 310هـ/922م) , رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة , ط1, تحـ , سامي الدهان , دار صادر , لبنان , بيروت , 1993م , ص91 .

(3) زكريا بن محمد بن محمود , (ت682هـ/1283م) , آثار البلاد وأخبار العباد , د.ط , دار صادر , لبنان , بيروت , 1960م , ص80 .

(4) نهر مشهور في ما وراء النهر , يتجمد في الشتاء , وتجوز على جمده القوافل وهو حدود بلاد الترك . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص102 .

(5) مدينة ما وراء نهرسيحون , متاخمة لبلاد الترك , ليس في خراسان وما وراء النهر اقليم على مقدارها بالمساحة . ينظر : ابن حوقل , صورة الأرض , ص416 ؛ ينظر ايضاً : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص114 .

الجغرافيين العرب أطلقوا أسم تركستان [1] على عموم بلاد الترك [2] , وربما بعض قبائل حمير العربية اليمنية يفصلونهم عن بلاد الصين ويسكنون التبت , وهذه الرواية تحتم اتباع بحثاً موضوعياً لتفنيد هذا الرأي والوصول ألى أثبات أدق الآراء وأصوبها في هذه الرواية .

لقد قضت طبيعة عنوان الأطروحة وقبل تناول منهج وموارد المروزيّ في كتابه (طبائع الحيوان) عن بلاد الصين والترك والهند , أن نقدم تمهيداً عن العلاقات العربية الاسلامية مع هذه البلاد , وأن نرى مدى التجاوب جلياً في حضارات كلا البلدين وحضارة العرب المسلمين , وبيان الصلات التاريخية والسياسية والحضارية لهذه البلاد – بحث الدراسة – مع الدول الاسلامية المتعاقبة وأهميتها بالنسبة للبلاد الاسلامية , مما ساهم في تناول هذه البلاد من قبل المروزيّ , وقد تجاوزنا بلاد الترك في هذا المبحث لكون هذه العلاقة قد جاءت ضمن المبحث الثاني الذي قدم فيه بدايات تأسيس دولة السلاجقة ونشأتها الأولى في بلاد الترك , وامتدادها في البلاد الاسلامية الأخرى .

فذكر الباحث الصيني المسلم عبد الرحمن ناجونغ [3] أن العلاقات الصينية العربية سبقت ظهور الإسلام , وأن الإمبراطور الصيني آنذاك " وودي " أرسل في سنة (139ق . م) سفيراً له إلى الممالك في آسيا الوسطى يدعى (تشانغ تشيان) , لإقامة العلاقات الودية مع هذه الممالك , وقد زار هذا السفير في سفرته ستاً وثلاثين مملكة صغيرة في المنطقة , كان بعض منها في بلاد فارس والعرب .

---

[1] هو أسم جامع لجميع بلاد الترك , وأوسع بلاد الترك بلاد التغزغز , وحدهم الصين والتبت والخزلج والكيماك والغز والجفر والبجناك والبذكش وذكس وخفشاق وخرخيز , وأول حدهم من جهة المسلمين فاراب ينظر , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج1 , ص 438 .

[2] أبن خرداذبة , أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ/ 912م) , المسالك والممالك , د .ط , مكتبة الثقافة الدينية , مصر , القاهرة , ص 326 ؛ أبن رسته , أبو علي أحمد بن عمر (300هـ/ 912م) , الأعلاق النفيسة , د.ط , دار أحياء التراث العربي , لبنان , بيروت , (1408هـ/ 1988م) , ص 295 ؛ أبن حوقل , صورة الارض , ص 381 .

[3] مختصر تاريخ العرب في العصور الوسطى , د.ط , معهد اللغات في بكين , الصين , بكين , د . ت , ص126 - 130 .

واضاف المؤرخ الصيني ناجونغ أن بعد (تشانغ تشيان) , زار سفير آخر بلاد فارس والعراق بتوجيه من القائد الصيني (بان تساو) , وقد وصل هذا السفير إلى سواحل الخليج العربي والعراق , وعاد إلى بلاده محمَّلاً بأخبار بلاد العرب [1] .

ولكن في الحقيقة أن المصادر العربية الإسلامية لم تؤيد ما ورد عن المؤرخ الصيني عبد الرحمن ناجونغ , ولكن ربما كان هناك اتصال مع بلاد الصين من قبل الدولتين العظيمتين - فارس والروم - اللتين تنازعتا النفوذ والسيادة في العالم آنذاك , وكانتا تحتلان العراق وبلاد الشام , وربما شملت الزيارة ايضاً أقاليم اليمن[2] وعُمان[3] والبحرين[4] بحكم موقع هذه البلاد على بحر العرب والخليج العربي , وكانت على علاقة تجارية مع موانئ بلاد الصين .

وبعد هزيمة الروم في معركة اليرموك سنة (15هـ/636م)[5] , في بلاد الشام وهزيمة الفرس في معركتي القادسية سنة (16هـ/637م) [6] ونهاوند سنة (19هـ /640م) [7] في العراق على يد العرب المسلمين , ارسل ملك الفرس يزدجرد الثالث وفداً إلى ملك الصين , يستعينه على حرب العرب المسلمين وقد طلب ملك الصين من يزدجرد مهادنة العرب المسلمين ومسالمتهم , إذ يقول الطبري[8] عن نص اجابة ملك الصين :- " أنه لم يمنعني ان أبعث اليك بجيش أوله في مرو وآخره بالصين الجهاله بما يحق علي , ولكن هؤلاء القوم الذي وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدّوها , ولو خلي سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف , فسالمهم وأرض منهم بالمساكنة , ولا تهجهم ما لم يهجوك " .

وكان الصينيون يطلقون على العرب المسلمين اسم تاشيش , وهي مشتقة من كلمة طاجيك , و مطورة للكلمة الفارسية تازي , التي اطلقت على عرب قبيلة طيء التي كانت تنزل في البادية في الأرضين المتاخمة لحدود إمبراطورية الفرس ,

---

[1] ناجونغ , مختصر تاريخ العرب في العصور الوسطى , ص126 - 130 .

[2] حدودها بين عُمان إلى نجران ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن وإلى الشحر حتى يجتاز عُمان . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 4 , ص 509 .

[3] كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند وعُمان شرق هجر تشتمل على بلدات كثيرة ذات نخل وزرع , إلّا أن حرها يضرب به المثل . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج , ص 348 .

[4] حدودها بين عُمان إلى نجران , ثم يلتوي على بحر العرب الى عدن والى الشحر حتى يجتاز عُمان . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 4 , ص 509 .

[5] البلاذري , احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ / 892م) , فتوح البلدان , د.ط , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , 1983م , ص 140 - 143.

[6] البلاذري , فتوح البلدان , ص255 - 262 .

[7] البلاذري , فتوح البلدان , ص 300 - 304 .

[8] الرسل والملوك , ج2 ص459 .

وكانت من أقوى القبائل العربية في تلك الأيام[1] , ولهذا صار أسمها مرادفاً للفظة العرب , وكان بعض الفرس يعد قبيلة طيء تمثل العالم العربي , حتى صارت كلمة تازي وطاجيك من بعد , تطلق على كل عربي أو مسلم حتى نطقها الصينيون تاشيش [2] .

وروي أنه عندما حُرِّرَ ميناء الأبلَّة [3] قرب مدينة البصرة التي مصرت حديثاً آنذاك وكانت منازل خربة , وجد العرب المسلمون فيها سفناً صينية راسية في الميناء إضافة لسفن تجارية أخرى قادمة من البحرين وعمان وفارس والهند , وغنم العرب المسلمون فيها الذهب والفضة والذراري[4] , وكانت الأبلَّة تسمى بارض الهند أو ثغر الهند , لكونها ميناءً تجارياً يتصل بالهند والصين عبر شط العرب والخليج العربي [5] .

وقيل إنّ إمبراطور الصين بعث الى الخليفة الراشدي عثمان بن عفان سفيراً يدافع عن قضية الأمير الفارسي الهارب يزدجرد الثالث , وربما كان الإمبراطور الصيني قد اوصى سفيره بأن يتبين مدى الاتساع والقوة التي وصلت اليها الدولة العربية الاسلامية الجديدة التي ظهرت في بلاد العرب , ويروى أن عثمان بن عفان أرسل أحد قادته ليرافق السفير الصيني في عودته , فأكرمه الإمبراطور الصيني كأول سفير من العرب المسلمين أرسل اليه [6] .

---

[1] علي , جواد , المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام , ط1, مكتبة جرير, لبنان , بيروت , 1427هـ , 2006م , ج1 , ص 31

[2] ناجونغ , مختصر تاريخ العرب في العصور الوسطى , ص 130 .

[3] بلدة على شاطيء نهر دجلة , البصرة العظمى في زاوية الخليج العربي الذي يدخل مدينة البصرة , لأن البصرة مصرت في أيام عمر بن الخطاب , وكانت قديماً مسالح لكسرى الفرس . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج1 , ص 72 .

[4] الدينوري , أبي حنيفة احمد بن داود (ت 282هـ/895م) , الأخبار الطوال , د.ط , تح , عبد المنعم عامر , وزارة الثقافة والإرشاد القومي , مصر , القاهرة , 1959م , ص 117؛ كراتشو فسكي , تأريخ الأدب الجغرافي , القسم الاول , ص 138 .

[5] المقدسي , المطهر بن طاهر (ت 355هـ / 965م) البدء والتاريخ , د.ط , مكتبة الثقافة , مصر , بور سعيد , 1425هـ , ج4 , ص 74 , 75 ؛ ناجي , عبد الجبار , دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية , ط1 , مطبعة جامعة البصرة , العراق , البصرة , 1986م , ص 129.

[6] توماس , آرنولد , الدعوة إلى الإسلام , د.ط , تر , حسن ابراهيم حسن وآخرون , مكتبة النهضة المصرية , مصر , القاهرة , 1971م , ص 333.

وبعد مقتل ملك الفرس يزدجرد الثالث سنة (31هـ/651م) , أنتقل ابنه فيروز إلى حماية ملك الصين , وأصبح قائد حرسه الخاص حتى وافاه الأجل [1] , إلا أن البلاذري يذكر أن فيروز قد تزوج من أهل الترك وأقام معهم [2].

وأشار قاسم عبده[3] إن المصادر التاريخية الصينية أشارت الى أن أبناء السلالة الساسانية ظلوا يترددون على البلاط الصيني لمدة مئة سنة من التحرير والفتح العربي الإسلامي لأراضي الإمبراطورية الساسانية على أمل الحصول على المساعدة الصينية العسكرية لاستعادة بلاد فارس والعراق من العرب المسلمين , وربما كان هناك رغبة من ملوك الصين بعودة السلالة الساسانية الى بلاد فارس والعراق لأبعاد العرب المسلمين عن حدود بلادهم .

وذكر ناجونغ[4] أن المصادر التاريخية الصينية أشارت أيضاً إلى أن الوفود العربية الإسلامية التي أرسلت إلى بلاد الصين حتى نهاية العصر العباسي , بلغ تعدادها سبعة وثلاثين وفداً .

إلا أن الدكتور عبد العزيز الدوري[5] يرى أن هذه الوفود كان يرسلها تجار عرب مع بعض الهدايا الطريفة إلى البلاط الصيني , لرفع مكانتهم وتسهيل أمورهم التجارية مع بلاد الصين .

والسفارة الوحيدة التي وثقتها المصادر العربية الإسلامية هي سفارة قتيبة بن مسلم الباهلي [6] , الذي وصل بجيشه إلى حدود بلاد الصين سنة (86هـ /705م) , كان ذلك أواخر عصر الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ/684-705م) , إذ يشير الطبري إلى أن قتيبة بن مسلم الباهلي أجاز مصالحتهم على ختم رقاب أولادهم , وداس تراب بلادهم , وحصل منهم على الذهب والحرير[7] .

---

[1] الصيني , بدر الدين , العلاقات بين العرب والصين , د.ط , مكتبة النهضة المصرية , مصر , القاهرة د. ت , ص 24

[2] البلاذري , فتوح البلدان , ص 313 .

[3] العلاقات الصينية العربية الباكرة , د . م , كتاب العربي , الكويت , 2011م , ج2 , ص207 , 208 .

[4] مختصر تاريخ العرب في العصور الوسطى , ص 130 .

[5] العصر العباسي الأول , ط2, دار الطليعة والنشر, لبنان , بيروت , 1945م , ص 166 .

[6] والي الأمويين على خراسان وسجستان في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي , ولد سنة (49هـ/669م) , وقتل سنة (96هـ /714م) , فتح بلاد ما وراء النهر. ينظر : اليعقوبي , البلدان , ص 108 .

[7] الطبري , تاريخ الطبري , ج 5 , ص95 .

إلا ان ابن الجوزي[1] ذكر أنه قد عثر في ديوان معاوية بن أبي سفيان الأموي , بعد موته على كتاب من ملك الصين فيه :- " من ملك الصين الذي على مربطه فيل وبنيت داره بابين من ذهب والفضة ويخدمه بنات ألف والذي له نهران يسقيان الالوة [2] , الى معاوية " , وهذه الاشارة تعني أنه في الحقبة الاموية الاولى كانت هناك علاقات بين الصين ودمشق .

وانتقل بعض المعارضين للدولة الأموية من العلويين إلى الأراضي الصينية خشية الطلب , ويؤكد المؤرخ المروزيّ حقيقة وصول العلويين الى الأراضي الصينية , ويذكر إن هذه الجماعة موجودة على حدود الصين في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي , وأضاف أنهم سكنوا جزيرة صينية على الحدود وعملوا وسطاء بين أهل الصين والتجار الأجانب وأتقنوا لغاتهم [3] .

وذكر البكري[4] أن أهل الصين يجدون أن الملوك خمسة أوسعهم ملكاً الملك الذي في العراق , لأنه في وسط الدنيا , والملوك محدقة به , واسمه عندهم ملك الملوك , وبعده ملك الصين , وهو ملك الناس عندهم , ثم ملك السباع وهو ملك الترك , ثم ملك الفيلة – ملك الهند – وبعد ذلك ملك الروم .

ومع بدايات العصر العباسي الأول , وفي عصر أبو العباس السفاح سنة (132-136هـ /750 -754 م) , هاجم الجيش الصيني إقليم الشاش , وأخذ يتدخل في شؤون بلاد ما وراء النهر , وقتلوا أمير أقليم الشاش لعدم ولائه لهم , فأستنجد أبنه بالعرب المسلمين فأنجدوه , وهَزَم القائد العباسي زياد بن صالح المخزومي [5], الجيش الصيني البالغ تعداده مئة ألف مقاتل في معركة نهر تلاس أو طلاس [6], يقوده القائد الصيني (كاو هسين شيما), ووصف المقدسي[7] نتائج هذه المعركة قائلاً :- " وقتل منهم خمسة وأربعين الفاً وأسر خمسة وعشرين الفاً , وأنهزم الباقون ,

---

[1] المنتظم , ج5 , ص 209 .

[2] ألألوة : عود البخور وهو أجوده , أبن منظور , لسان العرب , ج 13 , ص 265 .

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص5 ؛ هويدي , فهمي : الإسلام في الصين , سلسلة عالم المعرفة , المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , الكويت , 1981م , ص 41.

[4] المسالك والممالك , مج 1 , ص 196 , 197.

[5] من عمال أبو مسلم الخرساني , قام بإخماد عدد من الثورات بداية تأسيس الدولة العباسية في خراسان , انقلب على أبي مسلم الخرساني , وتحصن في مدينة بلخ سنة (135هـ / 752م) وقتل بعد ذلك . ينظر : الطبري , تاريخ الطبري , ج7 , ص 466 .

[6] لم اجد معلومات عن هذا النهر .

[7] لم اجد معلومات عن هذا النهر .

وأستولى المسلمون على عسكرهم , وأنصرف – زياد بن صالح – الى بخارى , وبسط يده على ملوك ما وراء النهر " .

لكن الباحث قاسم عبده[1] ذكر أن المصادر الصينية تقول إن الجيش الصيني لا يتجاوز تعداده ثلاثين ألف مقاتل , إلا إنها اعترفت بوقوع المعركة بين الجيش الصيني والعرب المسلمين , وكانت الهزيمة من نصيب الجيش الصيني , وهذه المعركة لم تكن حاسمة على أي حال , ربما بسبب ابتعاد الجيشين عن قواعدهما بمسافات بعيدة جداً , لكن عبد العزيز الدوري يرى أن لهذه المعركة أثرها البعيد , في أن تسود حضارة العرب المسلمين بدلاً من الحضارة الصينية في بلاد ما وراء النهر[2] .

لقد نقل العرب المسلمون بعض الأسرى الصينيين بعد المعركة الى مدينة الكوفة , ومن هؤلاء الأسرى أحدهم يدعى " توهوان " , الذي بقي أسيراً حتى سنة (145هـ/ 762م) , عندما سمح له بالعودة إلى الصين , تحدث عن مُدّة أسره من خلال معايشته العرب المسلمين في مدينة الكوفة , وذكر قيام الأسرى الصينيين بصناعة الأنوال الأولى لنسج الحرير في العراق [3] .

وذكر أيضاً أن الأسرى الصينيين كانوا أول الصاغة الذين عملوا بالذهب والفضة في مدينة الكوفة , وكان منهم أول الرسامين أيضاً , ويذكر الباحث قاسم عبده [4] أن هذه الرواية وردت ضمن مصادر صينية أخرى مع تنويعات بالتفاصيل , ولم يحدد لنا إن كانت من مذكرات الأسير الشخصية أو كانت مدونة في كتاب .

وكانت التجارات العربية الإسلامية مع الصين , تحتوي على الحرير والخزف والشاي , ونقلوا عنها صناعة الورق والبارود والإبر المغناطيسية , وذكر الباحث الصيني ناجونغ [5] أن المصادر الصينية تقول إن أول مصنع للورق أقيم في بغداد سنة (178هـ /794م) , ومن بغداد انتقلت هذه الصناعة الى دمشق القاهرة , وبقية الامصار الاسلامية , وفي المقابل نقل العرب المسلمون الى الصين علوم الطب والرياضيات والفلك , ونجح الصينيون في زراعة الأعشاب الطبية الواردة اليهم من بلاد العرب .

---

[1] العلاقات الصينية العربية الباكرة , ج2 , ص 207 , 211.

[2] الدوري , العصر العباسي الاول , ص 52 , 53 .

[3] قاسم , العلاقات الصينية العربية الباكرة , ج2 , ص 217 .

[4] العلاقات الصينية العربية الباكرة , ج2 , ص 217 .

[5] التاريخ العربي في العصور الوسطى , ص 133 .

وكانت هناك إرادة من قبل الحاكم العباسي أبي العباس السفاح لغزو بلاد الصين , إلا إن الظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها الدولة العباسية في بدايات تأسيسها حالت دون ذلك [1] .

إلا أن توماس آرنولد [2] ذكر أن الإمبراطور الصيني (هس وان تسنغ) طلب مساعدة الدولة العباسية منتصف القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي , على استعادة العرش الصيني من قائده الثائر (شي غولي) , فأرسل له الحاكم أبو جعفر العباسي قوة عسكرية قوامها أربعة ألاف مقاتل , استطاعت أن تعيد الإمبراطور إلى عرشه وأنهت التمرد .

وأورد المؤرخ المحدث فهمي هويدي[3] أن سجلات أسرة تانغ الصينية الحاكمة آنذاك , تذكر أن الحكومة الصينية كانت تدفع لأسر هؤلاء الجنود خمسمئة ألف أوقية من الفضة , مقابل بقائهم في بلاد الصين لحماية عرش الإمبراطور, وذكر سيد أمير علي[4] أن هؤلاء العرب المسلمين كانوا جنوداً مرتزقة , ومن ثم أصبحوا مستعمرين , وبقي هؤلاء الجنود في الصين وتزوجوا نساءً صينيات , وغرسوا بذور السلالة العربية الإسلامية في الصين .

وذكر صاحب كتاب الاسلام في الصين أنّ الصينيين قديماً , يعدّون أنفسهم جنساً بشرياً أرقى من الآخرين , لذلك فإنّ السجلات الصينية القديمة تتجاهل بشكل عام الأحداث التي تقلل من شأن الإمبراطور , أو تضعه موضع الند مع الآخرين , الأمر الذي لا يليق بالملك (ابن السماء) [5] , أي الملك الذي نزل من السماء ليحكمهم [6] .

لقد شهدت القرون التالية تطورات ايجابية في العلاقات التجارية والسياسية , وكانت معركة نهر تلاس هي المعركة الوحيدة التي وقعت بين الطرفين بشكل مباشر , وربما كانت المساعدة العسكرية التي قدمها العباسيون إلى الإمبراطور الصيني

---

[1] المقدسي , البدء والتاريخ , ج6 , ص74 .
[2] الدعوة إلى الإسلام , ص 232 .
[3] الإسلام في الصين , ص 40 , 41 .
[4] مختصر تاريخ العرب , ط2 , تر , عفيف بعلبكي , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , 1967م , ص382 .
[5] فهمي , هويدي , الاسلام في الصين , ص 40 , 41 .
[6] البكري , المسالك والممالك , مج1 , ص 195

(هس وان تسن) باسترداد عرشه , قد جعلت العلاقات السياسية إيجابية في معظم الأحيان [1] .

وفي سنة (418هـ /1027م) , وبعد أن تمكّن السلطان محمود الغزنوي [2] , من السيطرة على بلاد الترك والهند , خاف ملوك الصين من سطوته , فحاول كل من ملك القتاي وملك التغز مراسلة السلطان محمود , وأرادوا تعزيز الوئام والمودة بينهم والتصاهر , إلا أن السلطان رد طلبهم [3] ونص الرسائل المتبادلة بين ملوك الصين والسلطان محمود الغزنوي انفرد شرف الزمان طاهر المروزيّ بعرضها ضمن موارده في باب الصين من كتابه طبائع الحيوان , ولم ترد إلينا تلك الرسائل من مصادر عربية إسلامية أخرى [4] .

أما بدايات العلاقات العربية مع بلاد الهند , فأن الطبري[5] قدم روايتين عن توتر العلاقات بين العرب قبل الاسلام وبين اهل بلاد الهند , فذكر ان أحد ملك اليمن غزا بلاد الهند وقتل أهلها وعاد بالغنائم والسبايا , وذكر ايضاً ان تبعاً غزا بلاد الهند , بعد ان أبهر بالهدايا التي حملها اليه رسول ملك الهند , فسار اليها فعبر بلادهم ومنها أنتقل الى بلاد الصين .

وأنفرد المسعودي[6] بالإشارة الى ملك اليمن قبل الاسلام شداد بن عاد قد خاض حروباً ضد الممالك الهندية , وكذلك وقعت حروب كثيرة في أيام ناحور بن ساعور نتج عنها خراب الهند وغيرها من المناطق .

أما العلاقات التجارية العربية مع بلاد الهند فهي قديمة جداً وقبل أنتشار الاسلام , عندما كان العرب يقطعون المسافات البعيدة بقواربهم الشراعية باتجاه الشرق , من جميع أطراف الجزيرة العربية التي أخذت حيزاً كبيراً وتكاثر عددها

---

[1] قاسم , العلاقات الصينية – العربية الباكرة , ص233 .

[2] تولى السلطنة الغزنوية للفترة (388هـ /998م – 422هـ/ 1030م) , بعد انتصاره على أخيه إسماعيل , غزا بلاد الهند اثنتي عشرة مرة , ولقبه الخليفة العباسي القادر بالله (بيمين الدولة) , و(أمين الملة) , ونقش لقبه على السكك التي تحمل اسمه . ينظر : أبن خلكان , أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ / 1282م) , وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , د.ط , تح , أحسان عباس , دار صادر , لبنان , بيروت , 1970م , ج2 , ص 84 , 85 .

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص26 .

[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 39 , 40 , 41 .

[5] تاريخ الطبري , ج1 , ص 383 .

[6] مروج الذهب , ج1 ص 37.

على النشاط التجاري [1] , نحو سواحل الهند الغربية , والعودة منها محملين بالبضائع , مستغلين ظاهرة الرياح الموسمية في المحيط الهندي [2] , هذه الرياح كانت تدفعهم بسهولة نحو سواحل الهند الغربية والجنوبية والعودة منها , وهو ما ساعد على تدعيم الصلة الحضارية وتواصلها بين البلدين , وعمل على اشاعة روح التعاون بينهما [3] , وكانت السلع تخزن في الموانئ العربية والهندية انتظاراً للموسم التجاري الموسمي , إذ أن التجارة وخصوصاً بين موانئ الأطراف – أي بين شرق المحيط الهندي وغربه – كانت ترتبط بمواعيد الرياح الموسمية , فالحجم الأكبر من حركة البيع والشراء أو التبادل التجاري يتم في تلك المواعيد , إضافة إلى أن جميع السلع الداخلة في عملية التبادل التجاري صالحة للتخزين لمدة طويلة ومقاومتها للتلف السريع [4] , وعندما تصل مراكبهم إلى السند[5] كانوا يقيمون الأسواق المؤقتة أو الدائمية بالقرب من المراكز الحضارية والتجارية هناك [6] .

تتشابه التضاريس بين العالمين الهندي والعربي , ففي كلا العالمين نجد الأنهار الكبيرة والأمطار والجبال العالية والأراضي الخصبة , التي توفر الحياة المعيشية للإنسان والحيوان والنبات , وفيهما نشأت الحضارات العالمية القديمة , لذا نشطت المبادلات التجارية بين العالمين بصورة متينة , مادياً وفكرياً منذ زمن طويل , وبقي هذا الحال حتى بعد ظهور الاسلام وانتشاره في جزيرة العرب وخارجها , ووصوله إلى سواحل بلاد الهند , فقد تحدث الجاحظ في كتابه (طبائع الحيوان) ,

---

[1] الحديثي , نزار عبد اللطيف , أهل اليمن في صدر الإسلام , د.ط , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , لبنان , بيروت , د . ت , ص45 .

[2] سميت بالرياح الموسمية , لارتباطها بمواعيد للإبحار فيها بمواسم هبوبها ارتباطاً تاماً , ففي كل صيف من كل سنة , وفي فصل الشتاء من كل سنة أيضاً , يحين موعد هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية المتجهة نحو الجنوب العربي , ومنه إلى موانئ الخليج العربي والبحر الأحمر . ينظر : عبد العليم , نور , الملاحة وعلوم البحار , د.ط , دار قاصد للطباعة , الكويت , 1979م , ص 159 .

[3] تارتشند , العلاقات الهندية العربية , قوية منذ فجر التاريخ , مجلة الثقافة الهندية , مج 16 , العدد1 , السنة الاولى , الهند , 1965م , ص9 .

[4] عبد القوي , عثمان شوقي , تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41 -904 هـ/ 661- 1498م) , عالم المعرفة , المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , الكويت , 1990 , ص 245 .

[5] اسم أطلقه العرب على ثلاثة أقاليم , يفصلها عن الهند نهر مكران أو مهران , وهي بلاد زابولستان (افغانستان حالياً) , وبلاد طوران ومكران (حدود روسيا قديماً) , وهي أقليم بلوخستان الآن , واصف بك , أمين , الفهرست , معجم الخريطة التاريخية , د.ط , تح , احمد زكي باشا , د.م , مصر , القاهرة , 1933م , ص 68 .

[6] الشريف , احمد إبراهيم , مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول , ط2 , دار الفكر العربي , مصر , القاهرة , د . ت , ص 84 .

عن طبائع أهل الهند وعاداتهم وقارنها بما لدى العرب قائلاً [1] :- " والهند توافق العرب في كل شيء إلا في الختان " .

ولقد ظل العرب المسلمون معجبين بالمنتوجات الهندية , واستمروا باستيرادها عن طريق البحر , ولعل من أهمها العود والصندل والنارجيل والملابس والفيلة والياقوت واللؤلؤ والأخشاب والقنا والخيزران , إضافة الى الكافور والزنجبيل [2] والذين ورد ذكرهما في القرآن الكريم , نحو قوله تعالى[3] :- (**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا**) , وقوله تعالى [4] :- (**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا**) .

وكما تأثر العرب بالهنود فقد تأثر الهنود بالعرب وبعقائدهم الدينية في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام , فقد كانوا يتوجهون بحراً من بلاد الهند إلى مدينة مكة للتقرب إلى الأصنام فيها [5] وكان لعبدة الأصنام – العرب والهنود وأهل الصين وأهل بلاد فارس – سبعة بيوت مقدسة , مبنية حسب الكواكب السبعة , وهي بيت الكعبة في مكة , ولم تكن الكعبة معبداً للأصنام في بداية الامر , بل هي حالة طارئة , فبعد استيلاء عمرو بن لحي على أمر البيت , جلب الاصنام من بلاد الشام – هبل واساف ونائلة – ونصبها في الكعبة , ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها , ففعلوا ذلك الى أن ظهر الاسلام , وبيت أصفهان فيه أصنام يقال له

مارس, وبيت نوبهار في بلخ [6], وبيت غمدان في اليمن وبيت الشمس في فرغانة [7] , وبيت الصين في الصين , وبيت مندوسان في الهند [8] .

---

[1] الجاحظ , الحيوان , ج7 , ص 29 .

[2] ابن خرداذبة , المسالك والممالك . ص71 .

[3] سورة الانسان , الآية 5 .

[4] سورة الانسان , الآية 17.

[5] فريشا , محمد القاسم , تاريخ المسلمين في الهند , د.ط , د. م , الهند , دلهي , 1981 م , ج4 , ص 232 .

[6] أجل مدن خراسان واكثرها خيراً وأوسعها غلة تحمل غلتها الى جميع خراسان و خوارزم , كانت تسمى الاسكندرية قديماً , ويقال لنهر جيحون نهر بلخ . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 1 , ص 378 .

[7] مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر , متاخمة لبلاد كرد ستان في زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك , كثيرة الخير واسعة الرستاق يقال كان بها أربعون منبراً , بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً . ينظر : ياقوت الحموي . ينظر : معجم البلدان , مج3 , ص 428 .

[8] للمزيد ينظر :- المسعودي , مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج2 , ص ص 237 - 242 ؛ الشهرستاني , أبو الفرج محمد عبد الكريم , (ت549هـ /1154م) , الملل والنحل , د.ط , تح , أحمد فهمي , مطبعة حجازي , مصر , القاهرة , 1949م , ج2 , ص 106 .

وقال الكرديزيّ [1] :- " إنه على ساحل المحيط مدينة عظيمة يسمونها سومنات وهذه المدينة عند الهنادكة مثل مكة بالنسبة للمسلمين وبها أصنام كثيرة من الذهب والفضة ومناة – صنم - الذي هربوه من الكعبة عن طريق عدن في زمن سيد المرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) , قائم هناك خلطوه بالذهب ورصعوه بالجواهر ورصدوا له أموالاً طائلة في خزائن معبده , ولكن طريقه وعر محفوف بالمخاطر ملئ بالمصاعب " .

وذكر الكرديزيّ[2] أيضاً أن هذا الصنم دمّره جنود السلطان محمود الغزنوي واقتلعوه من جذوره , ووضعوا بعض أحجاره على أظهر الدواب , ونقلت الى مدينة غزنين [3] عاصمة الغزنويين , واستولوا على أمواله المخزونة أسفله من الذهب والجواهر [4] , إلا أنّ الطبري[5] يذكر أن صنم مناة قد حطمه المسلمون بعد فتح مدينة مكة في السنة الثامنة للهجرة , وكان لقبيلتي الأوس والخزرج .

وربما كان هذا الصنم شبيهاً للصنم مناة , نصب في مدينة سومنات الهندية تقديساً لصنم مناة في جزيرة العرب وبديلاً عنه , ويظهر ذلك من كثرة الأموال والذهب والجواهر التي رصدت له , ولقد استمر التوافد التجاري العربي إلى بلاد الهند , بعد سيطرة العرب المسلمين على موانئ الخليج العربي , وكان انتشار الإسلام في سواحل الهند قبل وصول الجيوش العربية الإسلامية إلى بلاد الهند[6] .

وفي عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (13-23هـ/ 634- 643م) , أسلمت كثير من الجاليات الهندية في الجزيرة العربية مثل الزط[7]والسيابجة [8]

---

(1) زين الاخبار , ص268 .

(2) زين الاخبار , ص268 , 269 .

(3) مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان , وهي الحد بين خراسان والهند في طريق فيه خيرات واسعة , كانت منزل بني السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي إلى أن انقرضوا . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 3 , ص 388م , .

(4) زين الاخبار , ص 268 , 269 .

(5) تاريخ الطبري , ج2 , ص 164 .

(6) الندوي , محمد اسماعيل , تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية , ط1 , دار الفتح للنشر , لبنان , بيروت , د. ت , ص 37 .

(7) الزط : طائفة من الهنود , مسكنهم الاصلي شمال غرب الهند , استوطنوا شواطئ الخليج العربي , وبحر العرب , مجندين في جيش الدولة الساسانية على السواحل العربية , وأصبح لهم شأن في بلاد العرب , البلاذري , فتوح البلدان , ص307 , 368 .

(8) السيابجة : طائفة من الهنود , مكانهم الاصلي سواحل السند والهند (المالابار) , استوطنوا الجزيرة العربية وشواطئ الخليج العربي بواسطة الفرس الساسانيين وذلك عندما استعملوا في حماية سفنهم من قراصنة البحر , البلاذري , الفتوح , ص 368 .

والاساورة [1] والبياسرة [2] والاحامرة [3] والميد [4] , ولاسيما من كان يعمل منها في مهن بحرية على ساحل الخليج العربي وقد حسن إسلامهم , وأسهم بعضهم في القتال مع الجيوش العربية الإسلامية , في معارك الفتح في المشرق ونالوا منزلة عظيمة [5] .

وفي عهد الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) (35-40هـ/655-660م) , زاد نفوذ السيابجة عندما أشركهم في أدارة الدولة العربية الإسلامية , وأوكل لجماعة منهم إدارة بيت المال في مدينة البصرة وكان عددهم اربعين رجلاً وقيل اربعمائة وقد احسنوا ادارته [6] .

وذكر ابن خلكان[7] أن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) , قد تزوج بسيدة من الجالية الهندية تدعى (خولة) , وقد أنجبت منه الأمام محمد بن الحنفية , وبعد ذلك علا شأن الهنود المسلمين في الأقاليم العربية الإسلامية , ولكن اليعقوبي[8] يذكر أنها ابنة يزدجرد كسرى , او أنها من سبي كابل[9] .

---

[1] الاساورة ,: طائفة من اليهود , مكانهم الاصلي سواحل السند وسرنديب , استوطنوا جزيرة العرب وشواطىء الخليج العربي بواسطة الفرس الساسانيين , عندما جندوا في جيشهم المرابط على في البلاد العربية , وأصبح لهم شأن في الجزيرة العربية , البلاذري , فتوح البلدان , ص 367 ؛ الطبري , تاريخ الطبري , ج6 , ص 150 ؛ ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج2 , ص 147 .

[2] البياسرة : طائفة من الهنود مكانهم الاصلي سواحل السند وسواحل الهند الغربية , استعملوا من قبل الفرس الساسانيين في حماية السفن من قراصنة البحر , البلاذري , فتوح البلدان , ص 369 ؛ ابن منظور , لسان العرب , ج4 , ص 58 .

[3] الاحامرة : طائفة من الهنود , مكانهم الاصلي سواحل السند الغربية , استعملوا من قبل الفرس الساسانيين في حماية السفن من قراصنة البحر , ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج5 , ص 4 .

[4] الميد : طائفة من الهنود , موطنهم الاصلي بلاد السند الغربية , كانوا يمتهنون القرصنة , فجندهم الفرس الساسانيين في جيشهم , بعد ان ضاقوا بهم ذرعاً حكام الهند , ولم ينالوا منهم شيئاً , وقد خضعوا للعرب المسلمين فيما بعد , الاصطخري , مسالك الممالك , ص 162 , 163 .

[5] البلاذري , فتوح البلدان , ص369 .

[6] البلاذري , فتوح البلدان , ص366 .

[7] وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان , مج 1 , ص 169 .

[8] تاريخ اليعقوبي , ج2 , ص 169 0 .

[9] ولاية ذات مروج كبيرة بين الهند وغزنة , ونسبتها الى الهند افصح , ولها عدة مدن . وفيها عود ونارجيل وزعفران , لأنها متاخمة لبلاد الهند. ينظر: ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 4 , ص 111.

تمكّن العرب المسلمون من فتح بلاد السند سنة (92هـ/710م) , وكتب عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م) , إلى ملوك بلاد الهند كافة يدعوهم إلى الإسلام , وأسلم أعظم ملوكهم (حليشة بن داهر) [1] , وأصبحت هناك علاقة سياسية بين العرب المسلمون وملوك الهند , وازدهرت التجارة بين الطرفين , وخاصة تجارة خشب الساج الذي يستخدم في بناء السفن [2] .

وأخذ السكان الهنود على السواحل الهندية الغربية والجنوبية يكسبون الأموال الطائلة , وملوكهم يحصلون على رسوم الموانئ والهدايا الثمينة من التجار العرب المسلمين , لذا فتحوا أبواب بلادهم للتجار العرب , مما سهّل لهم نشر الدين الإسلامي هناك , وأصبح الإسلام أحد الأديان المنتشرة في عموم بلاد الهند وكان تركزه في المدن الساحلية على نحو أكثر وضوحاً [3] .

ونتيجة للازدهار الاقتصادي وتبادل السلع التجارية بين البلدين , وانتشار الإسلام في الهند , ارتحلت بعض العائلات العربية المسلمة من العلويين إلى بلاد الهند جرّاء للضغط الشديد والمراقبة المستمرة من الدولة الأموية , وخاصة في العراق , وسكنت هذه العائلات المناطق الساحلية في الهند , إذ انتشر الإسلام هناك بكثافةٍ حسب ما بينا سابقاً [4].

وإضافة للعلويين فقد هاجر إلى بلاد الهند الكثير من رجالات السياسة العرب المسلمين من أهل الكوفة , وأصبحت الهند مركزاً للمعارضة العربية الإسلامية للدولة الأموية , وكان أهل الكوفة يسمَّون في الهند باسم (الكوكل) تحريفاً لكلمة (الكوفة) , وأصبحوا فيما بعد أساساً لنشر الدين الإسلامي في عموم بلاد الهند [5].

وهكذا أصبحت بلاد الهند معروفة لدى العرب المسلمين , ومركزاً لتجمع المعارضة العربية الإسلامية , خوفاً من طلب الدولة الأموية لهم [6] , وعمل هؤلاء العرب المسلمون المعارضون في التجارة أيضاً وفي التوسط التجاري أسوة

---

[1] الطبري , تاريخ الطبري , ج3 , ص 343 .

[2] الندوي , تاريخ الصلات , ج1 , ص 43 .

[3] النمر , تاريخ الإسلام في الهند , ص 60 , 61 .

[4] الندوي , تاريخ الصلات , ص44 ؛ النمر , تاريخ الاسلام في الهند , ص60 , 61 .

[5] معلوف , محمد , التجارة عند العرب ومجاوريهم , د.ط , دار العلم , لبنان , بيروت , 1979م , ص530 .

[6] المقريزي , تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت 845هـ /1441م) , المواعظ ولاعتبار في ذكر الخطط والآثار , د.ط , تح , مصطفى زيادة , د. م , مصر , القاهرة , 1958م , ج1 , ص 15 , 26 .

بالعلويين الذين لجأوا إلى بلاد الصين كما مر بنا سابقاً , وربما عملوا في الترجمة بين التجار العرب المسلمين والتجار الهنود , حتى وصل نشاطهم إلى جزائر السيلي [1] (جزيرة كوريا اليوم) [2] .

لم تمض مدةً طويلة على فتح بلاد السند , حتى تطورت التجارة هناك , وخاصة التجارة العالمية , وكان ذلك بفضل الخبرة العربية الإسلامية , وأصبحت بلاد السند تحتل المركز التجاري الأول في بلاد الهند , وتضاعف التبادل التجاري مع البلاد العربية الإسلامية , وظهرت المراكز التجارية في بعض المدن الهندية , وكانت تدار من قبل التجار العرب المسلمين , واستوردوا من الهند السلع الهندية الفائضة عن الحاجة , واسهموا هناك بشق الطرق والترع , وإصلاح الأراضي الزراعية , وتشجيع الصناعات الهندية المحلية [3] .

استقرت بعض القبائل العربية التي اسهمت بفتح السند في الأراضي الهندية , وأصهر بعضهم مع أهلها , واسهمت هذه القبائل بنشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية هناك , وامتزج العنصران العربي والهندي نتيجة للتزاوج , لدخول النساء الهنديات إلى البلاد العربية الإسلامية سيدات أو سبايا [4] , لاتصافهن بالوداعة ولين الجانب والهدوء وحسن رعاية الأطفال [5] , اضافة الى أن سياسة آل البيت (عليهم السلام) في الزواج من الآماء ظاهرة تدعوا للتعايش الانساني , وللقول بأنه لا فضل لعربي على أعجمي ألا في التقوى .

وأصبحت اللغة العربية إحدى اللغات المنتشرة في عموم بلاد الهند , ولغة معظم التجار في الموانئ البحرية على طول الساحل من البصرة إلى بلاد الهند [6] , إضافة للغة الفارسية واللغة المكرية نسبة إلى مدينة مكران [1] .

---

[1] السامر , فيصل , الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية , وزارة الأعلام , العراق , بغداد , 1977م , ص45 .

[2] الصيني , العلاقات بين الصين والعرب , ص 130.

[3] الطرازي , عبد الله مبشر , موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند في عهد العرب , ط1 , عالم المعرفة , السعودية , جدة , 1993 م , ج2 , ص 254 , 255 .

[4] الساداتي , تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية وحضارتهم , ط1 , مطبعة مكتبة الآداب , مصر , القاهرة , 1975م , ص76 , 77 .

[5] أمين , أحمد , ضحى الاسلام , د.ط , وزارة الاعلام , مصر , القاهرة , 1997م , ص 103 , 104 .

[6] شهاب , غانم , " العلاقات العربية الأسيوية الثقافية , الهند أنموذجاً " , ط1 , مطبعة مجلة العربي , الكويت , 2001م , ج2 , ص 155.

أزال العرب المسلمون النظام الطبقي في المجتمع الهندي , وجعلوا النظام الإسلامي بدلاً عنه , الذي ساوى بين الجميع في الحقوق والواجبات , ونشروا العدالة الاجتماعية في عموم بلاد السند [2] .

ووجد العرب المسلمون لدى أهل السند فنون المعرفة وألوان الحضارة والفلسفة الهندية القديمة وفروعها في الطب والرياضيات والفلك , وكذلك علوم الكلام والتصوف [3] .

وكان نهر الفرات قديماً ينتهي في الموضع المعروف بالنجف في هذا الوقت , وكانت تقدم هناك سفن الصين والهند لترد الى ملوك الحيرة [4] .

وفي العصر العباسي بلغ التعاون بين العرب المسلمين وبلاد الهند ذروته , وخاصة بعد استقرار الدولة وانتقال العاصمة من مدينة دمشق إلى مدينة بغداد , وكانت تجارات مدينة بغداد تنقل إلى بلاد الهند عن طريق فرضة الأبلّة باتجاه الخليج العربي نحو المحيط الهندي وبالعكس , و هناك قناة مرتبطة بين نهري دجلة والفرات لنقل البضائع من مدينة بغداد واليها من ميناء الأبلّة أيضاً تسمى قناة الجيش [5] .

أصبحت العلاقات بين حكام الدولة العباسية , وملوك بلاد الهند تتسم بالمنفعة المتبادلة , فجالت السفارات بين الطرفين لتوثيق هذه العلاقة , إذ أدرك العباسيون أهمية التجارة الخارجية وإيراداتها الضخمة لخزينة الدولة , من خلال فرض الرسوم التجارية وتحريك الاقتصاد [6] .

---

[1] ابن حوقل , صورة الأرض , ص 280 ؛ ولاية واسعة على بحر الهند , بين كرمان وسجستان , تشتمل على مدن وقرى غالب عليها المفاوز , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 4 , ص 360.

[2] الطرازي , موسوعة التاريخ الإسلامي , ج2 , ص254 .

[3] الساداتي , تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية وحضارتهم , ص 76 .

[4] المسعودي , مروج الذهب , ج1 , ص90 .

[5] غنيمة , يوسف رزق , تجارة العراق قديماً وحديثاً , ط1 , د. م , العراق ,بغداد , 1922م , ص48 .

[6] الشيخلي , صباح , تاريخ الإسلام في أفريقيا وجنوب شرق أسيا , د.ط , دار الحرية للطباعة , العراق , بغداد , 1987م , ص 106 .

وفي عهد المأمون العباسي (198- 218هـ/ 813 – 833م) , تم أرسال السفارات إلى ملوك الهند , وتبادل معهم الهدايا , وكان ملوك الهند يجُلّون الحكام والوافدين العرب المسلمين , ما أسهم في تنشيط التجارة المتبادلة بين الطرفين [1] .

صار للتجار العرب المسلمين وكلاء في بعض مدن الهند , التي بناها العرب المسلمون هناك , مثل مدينة المنصورة [2]في بلاد السند , وقد بنيت هذه المدينة في أواخر العصر الاموي , واتخذها العرب المسلمون حاضرة لهم , وسكنها فيما بعد خلق كثير من ولد الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) [3] , وساعد ذلك أيضاً علي وجود الجاليات العربية المسلمة في المراكز التجارية [4] , على طول سواحل الهند الغربية والجنوبية [5] .

و تطورت التجارة الخارجية بين الدولة العباسية وبلاد الهند , وتوسع إنشاء المخازن التجارية البحرية في موانئ البلدين , وبناء منازل الطريق لإيواء التجار في الموانئ البحرية التي ترسو فيها السفن وعلى طول الطريق البحري بين البلدين [6] , وأصبحت تجارة المشرق تصب الذهب في بغداد صباً [7] .

وفي عهد المعتصم العباسي (218-227هـ/833-841م) , ربطت مدينة سامراء بمدينتي بغداد والبصرة عن طريق نهري دجلة والفرات , بطريق بري يربط مدينة سامراء بنهر دجلة يدعى شارع الرشيد , لإيصال البضائع إلى العاصمة الجديدة للدولة العباسية التي بناها المعتصم , فتوسع طريق الملاحة البحرية بين

---

[1] السيرافي , رحلة السيرافي , ص 132 .

[2] هي بأرض السند وهي قصبتها , مدينة كبيرة كثيرة الخيرات , ذات جامع كبير سواراه ساج ولها خليج من نهر مهران , وشرب اهلها من نهر يقال له مهران , وهي شديدة الحر . ينظر: ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 4 , ص 330 .

[3] البكري , المسالك والممالك , مج1 , ص 206 .

[4] ابن حوقل , صورة الأرض , ص ص 274 - 284 .

[5] شيخ الربوة , شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي , (ت 727هـ / 1326م) , نخبة الدهر في عجائب البر والبحر , د.ط , دار إحياء التراث العربي , لبنان , بيروت , 1988م , ص172 , 173 .

[6] ديومين , موريس , النظم الإسلامية , د.ط , تر , فيصل السامر , وصالح الشماع , مطبعة المعارف , العراق , بغداد , 1952م , ص 214 .

[7] ويلز , هـ , ج , معالم تاريخ الانسانية , د.ط , تر , عبد العزيز توفيق جاويد , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر , القاهرة , 1994م , مج 3 , ص 825 .

العراق وبلاد الهند , وأصبحت مدينة سامراء ترتبط بالهند عن طريق الموانئ الجنوبية للعراق مباشرة [1] .

وقامت الدولة العباسية بتحسين طرق الملاحة البحرية في نهر الأبلّة , وانشأت أدراجاً صخرية على ضفاف النهر لتسهيل حركة السفن وتفريغ البضائع [2] , وتطورت إمكانية العرب المسلمين في تسخير البحر و ركوبه , وخاصة في الخليج العربي , وكانوا أعلم الناس بالأنواء الجوية وهبوب الريح , وظاهرة المد والجزر , واسهم تجار مدينة سيراف [3] بإعداد الدفاتر التي يسترشد بها التجار الأجانب [4] .

والى جانب ذلك فقد اتخذ الخلفاء العباسيون , طريق الفتح العسكري لمد نفوذ العرب المسلمين التجاري إلى الشرق , ولكن هذا الطريق كان تأثيره قليلاً على تنشيط التبادل التجاري , ولكنه وفر الطرق الآمنة على سواحل المحيط الهندي [5] .

بعد ذلك استمر العباسيون بالتعامل السلمي مع بلاد الهند , يقوم على الأستمرار بتبادل الوفود والسفارات والهدايا , مما ترك علائق تجارية بين العرب المسلمين وبلاد الهند [6] , وقد أكرم ملوك الهند وفادة السفراء العرب المسلمين القادمين من الدولة العباسية دلالة على احترامهم للدولة العباسية [7] .

---

[1] اليعقوبي , البلدان , ص 61 .

[2] الدوري , عبد العزيز , تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري , ط3 , مركز دراسات الوحدة العربية , لبنان , بيروت , 1995, ص 131 .

[3] مدينة جليلة على ساحل بحر فارس , كانت قديماً فرضة الهند , ليس فيها إلا الأبنية , ولا يوجد فيها مأكول ولا مشروب ولا ملبوس إلا ما يحمل إليها من البلدان , وليس فيها زرع ولا ضرع ومع ذلك فهي أغنى بلاد فارس . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص 103.

[4] الدوري , تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري , ص71 .

[4] المقدسي , شمس الدين أبو عبد الله محمد , (ت387هـ / 997م) , أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم , د. ط , تح , د يغويه , مطبعة بريل , ليدن , 1906 م , ص10 .

[5] فازيليف , العرب والروم , د.ط , تر , محمد عبد الهادي , وفؤاد حسنين , دار الفكر العربي , لبنان و بيروت , د . ت , ص 374 .

[6] متز , آدم , الحضارة الإسلامية في القرن الرابع , ج2 , ص371م . .

[7] السيرافي , أخبار الهند والصين , ص 132م ..

وقال أبو زيد السيرافي[1] " إن ملوك الهند إذا شاهدوا رجلاً من العرب سجدوا له , وقالوا هذا من مملكة ينبت فيها شجر التمر لجلالة التمر عندهم وفي قلوبهم " .

ومما لاشك فيه أن انتشار التجارة الخارجية والتجارة الداخلية وتطورهما مرتبطان برقي النشاط الصناعي أولاً , وكثرة المنتجات الزراعية ثانياً , والصناعة والزراعة متوفرة في العراق والبلدان العربية الإسلامية الأخرى , وقد فاق الإنتاج الزراعي والصناعي حاجة الأسواق المحلية , لذا استوجب تصدير الفائض منها إلى الأسواق الخارجية وخاصة أسواق الهند , فنقلها التاجر العربي المسلم إلى هناك , وأهمها سلع الترف التي يستعملها أغنياء الهند من الصناعات التي تنتج محلياً مثل حياكة الأقطان والأحذية وصناعة الأدوات النحاسية , وهي سلع تطلبها الطبقات العليا في مجتمع بلاد الهند [2] .

وأصبح التجار العرب المسلمون في القرنين الثالث والربع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين , ممثلين للحضارة العربية الإسلامية , التي صارت من الناحية المادية كثيرة المطالب , وأصبحت سفن العرب المسلمين تجوب كل البلاد ومنها الهند , وبرزت التجارة العربية الإسلامية لتحتل المركز الأول عالمياً آنذاك , وغدت بغداد والإسكندرية هما اللّتان تحددان أسعار البضائع في العالم [3] .

أما التبادل الثقافي بين العرب المسلمين وبلاد الهند , فإن الفتح العربي الإسلامي لبلاد السند قد ترك آثاره الثقافية إلى جانب الأثر الديني في عموم بلاد الهند , وهذا الأثر بان أكثر مع قيام الدولة العباسية , إذ ظهرت في هذه الدولة حركة قوية لتنشيط العلوم العربية الإسلامية , بمختلف أنواعها وعلى ما هو موجود في مدن بغداد العاصمة [4] .

وهكذا أصبحت السند مركزاً لنشر الثقافة العربية الاسلامية في الهند , ومنها انطلق العرب المسلمون رحالة وتجاراً ودعاة الى باقي اجزاء بلاد الهند , فاصبح بامكان أهلها الحصول على المعرفة العربية الإسلامية بكل سهولة ويسر ومن مصدرها الاصلي [5] .

---

[1] أخبار الهند والصين , ص132 .

[2] الدوري , تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري , ص88 .

[3] متز , الحضارة الإسلامية , ج2 , ص 272.

[4] الندوي , تاريخ الصلات , ص66 .

[5] ألطرازي , موسوعة التاريخ الإسلامي , ج1 , ص394 .

كانت المدة التي احتل فيها الأمويون بلاد السند لا تتعدى الأربعين عاماً (92-132هـ/ 710-749م) , عانى خلالها العرب المسلمون بعض المتاعب السياسية والدينية والاقتصادية في هذه البلاد , بسبب قلة عددهم أمام الاعداد الهائلة لأهل الهند والسند الاصليين , ومع هذا قاموا بدورمهم في نشر الدين الاسلامي في عموم أجزاء بلاد الهند[1] , فبنوا المساجد في المدن الكبيرة , وعينوا العلماء والقضاة للاشراف على شؤون الاسلام والمسلمين , والدعوة إلى الاسلام بالحكمة والموعظة [2] .

وفي عصر الدولة العباسية , كانت الفتوحات قد صهرت ولأول مرة في التاريخ حضارات البحر المتوسط وأيران وآسيا الوسطى في دين واحد , وتقدم العرب المسلمون نحو الهند والصين , إذ فتح الطريق لتاثيرات جديدة مثمرة من حضارات الشرق الاقصى , فمن الهند جاء علم الرياضيات , ومن الصين جاء الورق , ولا يمكن إنكار ما لهذه الأشياء من أهمية في التحضير لهذه النهضة العربية الاسلامية .

تأثر اقليم السند بالنهضة العلمية في دار الخلافة في بغداد , كما تاثرت باقي الاقاليم العربية , وما حولها من حواضر الاسلام الكبيرة , فكان لاتساع الدولة العباسية وكثرة خيراتها ورواج تجاراتها الداخلية والخارجية دورٌ في احداث نهضة ثقافية كبيرة , لم يشهدها الشرق بشكل عام وإقليم السند بشكل خاص من قبل , حتى عدَّ الناس كافةً طلاب علم , فالكثير منهم كان يجوب البلاد وراء أصناف العلوم , كاللغة العربية والحديث الشريف والفلسفة الاسلامية , والعلوم العقلية كالطب والرياضيات والكيمياء والفلسفة [3] , وأصبحت بلاد السند مركزاً تجارياً وعلمياً , وقد سكنها التجار والرحالة والمبشرون , وأهل الفضل من العرب والمسلمين [4] , وآصبح هذا العصر هو العصر الذهبي لبلاد السند , فقد انتشر التبادل الثقافي بينها وبين بلاد العرب المسلمين[5] .

---

[1] ألطرازي , موسوعة التاريخ الاسلامي , ج1 , ص392 .

[2] شلبي , أحمد , تاريخ التربية الإسلامية , د.ط , مطبعة المعارف , مصر , القاهرة , 1960م , ص 84 , 85 .

[3] أحمد , مقبول , العلاقات العربية الهندية , د.ط , تر , نيقولا زيادة , الدار المتحدة للنشر , لبنان , بيروت , د. ت , ج1 , ص394.

[4] الطرازي , موسوعة التاريخ الإسلامي , ج1 , ص 394 .

[5] مقبول , العلاقات العربية الهندية , ج 1 , ص18 .

ومن العلوم العربية الاسلامية التي انتشرت في الهند اللغة العربية وآدابها , فهي لغة القرآن الكريم , فقوة العرب المسلمين في التغلب والتاثير والانتشار , هي في الحقيقة قوة ربانية , وضعها الله عز وجل في اللغة العربية [1] .

وإضافةً لذلك , فإن العرب المسلمين بنوا المدن الجديدة والمساجد , فشجّع ذلك كله السكان المحليين على تعلم اللغة العربية وآدابها , وخاصة الراغبين بدخول الاسلام , وفهم تعاليمه [2] , وكان تعليمهم يتم على يد العلماء والمفكرين العرب المسلمين , الذين اسهموا أيضاً في نشر العلوم العربية الإسلامية الأخرى [3] .

وفي القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين , عندما نشطت حركة التدوين التاريخي عند المؤرخين والجغرافيين العرب المسلمين , أخذ بعض هؤلاء يرتحلون الى بلاد الهند , لجمع أخبارها عن طريق الاتصال بالعلماء الهنود , وقد سجلوا انتشاراً للغة العربية في بلاد الهند , وعلى راس هؤلاء العالم العربي المسعودي الذي زار السند سنة (303هـ/ 915م) , وقد أشار الى وجود الكثير من العلماء والتجار العرب المسلمين في السند , ولجهودهم في نشر اللغة العربية , وشاهد الطبقة الحاكمة في السند تتحدث اللغة العربية [4] .

ومن العلوم الاخرى التي ازدهرت في بلاد السند , علم الحديث , الذي ساعد على انتشاره وفود الصحابة والتابعين الى هذه البلاد مع بدايات الفتح العربي الاسلامي , وإقامتهم مراكز لتعليم الحديث النبوي الشريف في مدن بلاد السند [5] .

وكذلك حال علم الفقه والمذاهب الاسلامية , ففي بدايات الفتح العربي الاسلامي لبلاد السند لم تكن هناك اختلافات فقهية واضحة , ولكن مع أوائل القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي , صار المذهب الحنفي المذهب الرسمي للدولة العباسية بشكل عام , وظل منتشراً في بلاد الهند حتى سنة (375هـ/985م) [6] , و نقل للسند عن طريق الرحلات التجارية العربية الاسلامية التي كانت تتوافد الى بلاد السند بحراً , لكون بلاد السند جزءاً من الدولة العباسية , إضافة إلى أن باقي

---

[1] الطرازي , موسوعة التاريخ الإسلامي , ج1 , ص 402 .
[2] الطرازي , موسوعة التاريخ الاسلامي , ج1 , ص 404 .
[3] مقبول , العلاقات العربية الهندية , ج1 , ص75 , 76 .
[4] المسعودي , مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج1 , 218.
[5] السامر , الأصول التاريخية , ص 88 .
[6] المقدسي , احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم , ص 481 . .

موانىء الهند كانت ذات صلة مع الموانىء العربية الأسلامية الأخرى - الجنوبية والشرقية - وأسهمت هذه الصلة بإدخال المذهب الحنفي ألى تلك البلاد [1] .

وفي سنة (375هـ /985م) أخذت المذاهب الدينية الإسلامية تتوافد على بلاد السندً مثل المالكي والشافعي , إضافة للمذهب الحنفي , ثم سيطرت الدولة الفاطمية الشيعية على مدينة الملتان السندية , واصبحت المدينة تخطب باسم أمير المؤمنين الخليفة الفاطمي العزيز بالله (375 - 385هـ /985-995م) وتدعو له [2] .

وفي سنة (396هـ/1005م) , احتل السلطان محمود الغزنوي مدينة الملتان , وأزال النفوذ الفاطمي فيها , وأصبحت بلاد السند جزءاً من الدولة الغزنوية [3], وبذلك انتقل الحكم الاسلامي في بلاد السند من العرب ألى الفرس الغزنويين , وهؤلاء استعملوا اللغة الفارسية بدلاً من اللغة العربية , لكن اللغة العربية بقيت ثابتة هناك وبقوة لاهميتها الروحية , ولكونها لغة القرآن والدين , حتى أثرت في لغات الهند , واتخذت اللغة السندية الخط العربي رسماً لها [4] .

ويبدو أن سكان السند كانوا يتقبلون المذاهب الاسلامية والحركات السياسية المناوئة ذات الطابع الديني , بسبب كثرة الاديان والقوميات في الهند , ومحاولة للخلاص من هيمنة الطبقات الدينية الهندوسية على المجتمع الهندي والتحرر من العبودية [5] .

وفي مجال العلوم الطبية كان الهنود يتعاطون الطب ومعاجلة الأمراض منذ عصور مبكرة [6] , إلّا ان عملهم قليل الاهمية بسبب امتزاجه بالسحر والتعاويذ [7] , ولكن العرب المسلمين أرسلوا العديد من طلاب العلم الى السند , لتنقيح الطب هناك من السحر والشعوذة , وقدموا لأهل الهند ما توصلوا إليه في مجال العلوم الطبية , كذلك أرسلت الدولة العباسية وفدا علمياً للتحري عن الأدوية والعقاقير

---

[1] المباركبوري , ابو المعالي اطهر الهندي , رجال الهند والسند , د.ط , المطبعة المالكية , الهند , 1958م , ص229 ؛ المروزي , طبائع الحيوان , ص36 .

[2] البيروني , تحقيق ما للهند من مقولة في العقل او مرذولة , ص 52 - 56.

[3] الغرديزي , زين الاخبار , ص 87 .

[4] احمد , مقبول , " بماذا تدين الهند للعرب " , ثقافة الهند , الدوريات العربية , حوليات كلية الادآب , جامعة عين شمس , العدد2 , مصر , القاهرة , 1967م , ص 1 - 8 .

[5] الطحطوح , حسين علي , المظاهر الثقافية العربية الإسلامية في الهند , رسالة ماجستير , غير منشورة , كلية الآداب , جامعة الموصل , 1979م , ص 212 .

[6] بارتولد , نيكل , تاريخ الحضارة الإسلامية , ط4 , تر, حمزة طاهر , مطبعة المعارف , مصر , القاهرة , 1966م , ص 46 .

[7] الرفاعي , أنور , الإسلام في حضارته ونظمه , د. ط , مطبعة دار الفكر , سوريا , دمشق, 1973م , ص 312 .

الطبية الهندية وجلبها الى بغداد , لدراسة امكانية الاستفادة منها في المجال الطبي [1] .

وفي علمي التاريخ والجغرافيا لم تكن هناك أية طريقة منظمة صحيحة دونت فيها المعلومات التاريخية والجغرافية لأي عصر من عصور بلاد الهند , وكل ما كان موجوداً هو بعض المعلومات عن الأساطير والخرافات تكشف عن شيء من مظاهر التاريخ القديم لبلاد الهند وجغرافيتها [2] .

وبعد وصول العرب المسلمين الى السند وضع الأساس العلمي لعلمي التاريخ والجغرافية هناك , فقد ظهرت الحاجة الى المعلومات التاريخية والجغرافية في عصر الفتوحات العربية الاسلامية عن تلك البلاد المفتوحة , وسارع المؤرخون والرحالة العرب المسلمون , إلى تدوين المعلومات التاريخية والجغرافية , وكل ما شاهدوه هناك بالتفصيل خلال القرون الأربعة الهجرية , وهي المدة التي حكم فيها العرب المسلمون بلاد السند , ولولا العرب المسلمون لكان تاريخ بلاد الهند غير معروف في تلك المدة المهمة , إذ يذكر غوستاف لوبون[3] , أن بدايات الأدوار التاريخية لبلاد الهند , لم يبدأ إلا بتدوينات هؤلاء العلماء العرب المسلمين الذين سجلوا اخباراً كثيرة عن الهند .

وقد نالت الهند في هذه المصنفات التاريخية والجغرافية التي ألفت في هذه المدة حيزاً كبيراً , وذكروا فيها عجائب أهل بلاد الهند و غرائبهم , وأكثروا من نسبة العجائب والغرائب والأساطير إليها [4] .

وقد أفاض الرحالة العرب المسلمون في الوصف الجغرافي للطرق البحرية والبرية التي سلكوها , والأقاليم والحواضر وجزر البحار التي مروا بها , والأجناس البشرية والعادات والتقاليد والأطعمة والأشربة والملبوسات والعمارة والنظم الاقتصادية , إلا أن هذه المصنفات بحاجة الى دراسة ومراجعة تجنباً للأساطير والخرافات التي حوتها بعض هذه المصنفات , لكونها تقلل كثيراً من أهمية تلك المصنفات [5] .

---

[1] الندوي , سليمان , العلاقات بين العرب والهند , د.ط , تر , عبد الله مبشر , مطبعة اله أباد , الهند , 1930م , ص 124 .

[2] الطرازي , موسوعة التاريخ الإسلامي , ج1 , ص 454 .

[3] حضارة الهند , ص206 .

[4] الندوي , تاريخ الصلات , ص 125 .

[5] السامر, الأصول التاريخية , ص23 .

ومن العلوم الأخرى التي شارك فيها العلماء الهنود العلماء العرب المسلمين , علوم الرياضيات والكيمياء والفلك والفلسفة وغيرها من العلوم الاخرى [1] , وهكذا أصبحت بلاد السند مركزاً مهما للثقافة العربية الإسلامية في الهند .

[1] الطرازي , موسوعة التاريخ الإسلامي , ج1 , ص 394.

==

المبحث الاول

سمات عصر شرف الزمان طاهر المروزيّ السياسية

اجتاحت العالم الإسلامي منذ مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أحداث عنيفة وفتن مذهبية بسبب النزاع القومي والتعصب الديني , والأطماع في السيادة والنفوذ , فانقرضت الدولة الأموية [1] في الأندلس سنة (422هـ/1030م) [2] , ولفظت الدولة البويهية [3] أنفاسها الأخيرة سنة (447هـ/1055م) [4] , وتمخضت الأحداث في المشرق الإسلامي عن ولادة سلطة جديدة باسم الدولة السلجوقية بدأت توسعها في ايران وأخذت تقوى يوماً بعد يوم , فقد أصبحت الدولة العباسية وعاصمتها مدينة بغداد عاجزة عن تلبية آمال وتطلعات الشعوب التابعة لها في الحصول على الأمن والاستقرار, ودخلت الدولة مرحلة الجمود والتردي في المصير والتفكك السياسي , ولم يعد الخليفة العباسي إلا رمزاً للسلطة من دون أن يكون له في الواقع نفوذ يذكر .

---

[1] بدأ عصر هذه الدولة بعد وصول الأمير عبد الرحمن الداخل إلى الحكم في الأندلس سنة (138هـ /756م) , بعد هروبه من المشرق إثر سقوط الدولة الاموية على يد العباسيين سنة (132هـ/ 750م) , وأعلنت الخلافة الاموية الثانية في قرطبة باعتلاء الأمير عبدالرحمن الثالث عرش الاندلس سنة (316 هـ/ 929م) , واستمر هذا اللقب في ذريته حتى زوال هذه الدولة سنة (422هـ / 1030 م) . ينظر : ابن عذارى , أبو العباس أحمد بن عذارى , (كان حياً سنة 712هـ / 1312م) , البيان المغرَّب في أخبار الأندلس والمغرب , د .ط نشر ليفي بروفنسال وكولات , دار الثقافة , لبنان , بيروت , 1967م , ج2 , ص 156 , 157.

[2] ابن عذارى , , البيان المغرَّب في أخبار الاندلس والمغرب , ج3 , 145 .

[3] أسرة فارسية حكمت خراسان والعراق سنة (320 – 447هـ / 932- 1055م) , أسسها أبو شجاع بويه بن فناخسرو وأولاده الثلاثة , عماد الدين ابو الحسن علي , وركن الدولة أبو الحسن محمد , ومعز الدولة ابو الحسن احمد , لم يكن ابو شجاع المؤسس الحقيقي لدولة بني بويه , وانما كان ذلك لأبنائه الثلاثة , أغراهم ضعف نفوذ الأتراك في آخر عصرهم بالدولة العباسية , بالتطلع نحو احتلال العراق , ومد نفوذهم إليه . ينظر : ابن الأثير , ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 630هـ / 1232م) , الكامل في التاريخ , ط2 , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , (1415هـ / 1994م) ج7, ص23 .

[4] ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , 322 .

لقد شهد التاريخ حركات اندفاع جماعات و شعوب , خرجت من مواطنها الأصلية , إلى حيث استقرت في أرض جديدة صنعت فيها أوطانها , وحملت معها عناصر من مقومات حياتها الأولى , ومن هذه الحركات الكبرى التي غيرت وجه التاريخ , خروج القبائل التركية من مواطنها الأصلية وتسربها – أحياناً – واندفاعها - أحياناً أخرى , وكانت نقطة التحول حين اعتنق الأتراك الإسلام منذ وصل إلى ديارهم , وباعتناقهم الإسلام انهار الحاجز الذي يقف بينهم وبين المسلمين , بل بينهم وبين التاريخ العالمي , وبدأ هؤلاء يتسربون إلى ديار الإسلام , ويدخلون في خدمة ملوكها وأمرائها وقوادها , يمدون هذه الممالك بالقوة العسكرية الجديدة حتى استطاعوا أن يقيموا لهم دولاً , ومن هذه الدول التركية التي رفع الإسلام من شأنها , وإدخالها نطاق التاريخ العالمي دولة الأتراك السلاجقة .

ينسب السلاجقة إلى الأمير سلجوق بن تقاق من قبائل الغز التركية , وكانوا بلا دين ولا يعبدون شيئاً , يسكنون بلاد ما وراء النهر – نهر سيحون - وكان عددهم يجل عن الحصر والإحصاء , لا يدينون بالطاعة لسلطان , وكانوا أذا قصدهم جّمع ورأوا أنه لا طاقة لهم به , دخلوا المفاوز وتحصنوا بالرمال , فلا يصل اليهم أحد [1] .

وربما كانت بعض قبائل الغز التركية تدين قبل دخولها إلى الإسلام بالديانة اليهودية أو النصرانية أو متأثرين بها , وخاصة أن فرقة من قبائل الترك كانت على دين النصرانية يقال لهم قورن[2] , ويظهر ذلك جلياً من أسماء أمراء السلاجقة أمثال إسرائيل و ميكائيل وإبراهيم و داود و سليمان , وهي أسماء ملائكة وأنبياء وردت في الكتب المقدسة - التوراة والإنجيل - قبل ظهور الإسلام .

---

[1] أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج4 , ص 155.
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 31 .

سار الأمير سلجوق بن تقاق مع قبيلته إلى ديار الإسلام , واعتنقوا الديانة الإسلامية [1] , وأقاموا بنواحي مدينة جند[2] .

عاش السلطان سلجوق بن تقاق أكثر من مئة عام , وبعد وفاته قتل ابنه السلطان ميكائيل في إحدى غزواته لبلاد قبائل الترك , وترك ثلاثة من الأبناء هم بيغو و طغر لبك و شغري بك داوود , فدانت لهم قبائل الترك بالطاعة والولاء , ثم انتقلوا للسكن في محيط مدينة بخارى [3] ومحيطها [4] .

اتسع نفوذ السلاجقة , واستولى طغرلبك بن ميكائيل على مدينة مرو[5] حاضرة خراسان , ولقب بملك الملوك والسلطان الاعظم [6] , أخذ الأمراء السلاجقة ينتقلون من نصر إلى نصر على الأمراء المحليين حتى دخلوا مدينة أصفهان[7] , وأقاموا الخطبة فيها للسلطان طغرلبك سنة (438هـ/1046م) [8] .

---

[1] حسن , حسن أبراهيم , تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي , ط14 , دار الجيل , لبنان , بيروت , كلية النهضة المصرية , مصر , القاهرة , (1416هـ / 1996م) , ج4 , ص8 .

[2] مدينة عظيمة في بلاد تركستان , مما وراء النهر , قرب نهر سيحون , وأهلها مسلمون , وبها قبر مؤسس الدولة السلجوقية سلجوق بن دقاق . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج2 , ص80 ؛ ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص 204.

[3] بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها , يعبر إليها من آمل الشط , كانت قاعدة ملك السامانية . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج , 280 .

[4] ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص236 .

[5] من أشهر مدن خراسان واقدمها , وأكثرها خيراً ومنظراً , وهي قصبة بلاد خراسان على نهر الرزيق والماجان , يخترقان شوارعها ومنهما سقي أكثر ضياعها . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج4 , ص 253 , 254 .

[6] ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص227 .

[7] وتسمى أصبهان , وهي مدينة عظيمة مشهورة , من أعلام المدن وأعيانها , من نواحي الجبل , أرضها حرة صلبة . ينظر: ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج1 , ص 167 , 178 .

[8] ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص274.

أنهت السلطنة الخلافات بين أفراد الأسرة السلجوقية وحققت نصراً على الدولة الغزنوية [1] وأرسل السلطان طغرلبك الوفود إلى الحاكم في العاصمة بغداد القائم العباسي (422-476هـ/1030-1083م) وأظهر الطاعة له , ثم قسم البلاد التي تقع تحت سيطرته بين الأمراء السلاجقة[2] .

لجأ الخليفة القائم العباسي إلى طلب المساعدة الخارجية , وحث السلطان السلجوقي طغرلبك للقدوم إلى حاضرة الدولة العباسية بغداد[3] , وفي سنة (437هـ/1045م) سمح الحاكم العباسي القائم بإلقاء الخطبة باسم السلطان طغرلبك ابن ميكائيل ونقش اسمه على النقود[4] .

دخل السلطان السلجوقي طغرلبك مدينة بغداد في شهر رمضان من عام (447هـ/1055م) [5] , وأنهى الوجود البويهي فيها فعلياً في الخامس عشر من شهر ذي القعدة سنة (451هـ/1059م) [6] , وفي عام (455هـ/1063م) توفي السلطان طغرلبك , ونصب الأمير ألب ارسلان بن شغري داوود سلطاناً عليهم [7], بدعم ومساندة وتدبير وزيره نظام الملك الطوسي[8] .

---

[1] تنسب هذه الأسرة الى سبتكتكين , أحد مماليك القائد التركي البتكين , وكان البتكين قائد الجيوش السامانية في مدينة غزنة , وبعد وفاة البتكين سنة (366هـ/976م) , لم يترك خليفة له فأجمعت قاعدة الجيش على تولي سبتكتكين أمرهم . ينظر : ابن كثير , البداية والنهاية , ج8 , ص36 .

[2] ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص322 .

[3] ابن الجوزي , ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ /1200م) , المنتظم في تاريخ الملوك والأمم , ط1 , دار صادر , لبنان , بيروت , 1358هـ , ج8 , ص190 .

[4] الراوندي , محمد بن علي (ت599هـ/ 1202م) , واحة الصدور وراية السرور , د.ط , دار الفكر , مصر , القاهرة , 1960م , ص169 .

[5] ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج9 , ص609 , 610 , 626 .

[6] ابن الجوزي المنتظم , ج8 , ص208 , 211 .

[7] الراوندي , واحة الصدور وراية السرور , ص 178 .

[8] هو ابو علي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس الطوسي , ولد سنة (408هـ/ 1017م) , في بلدة الراذ بنواحي طوس وكان من اولاد الدهاقين , حفظ القرآن منذ صغره , وشغل بالفقه على المذهب الشافعي , تولى الوزارة للسلطان ألب أرسلان , ثم لابنه السلطان ملكشاه , وبقي في هذا المنصب حتى مقتله سنة (485هـ/ 1092م) , على يد رجال الفرقة الإسماعيلية , من اعماله انشاء المدارس النظامية . ينظر: الصفدي , صلاح الدين خليل بن ايبك (ت764هـ/=

ومن الأحداث المهمة التي وقعت في عهد السلطان ألب أرسلان , الانتصار الكبير الذي حققه على إمبراطور الدولة البيزنطية في معركة ملاذ كرد سنة (463هـ/1070م) , والتي من خلالها تمكن الجيش السلجوقي وقائدهم السلطان ألب أرسلان من تحقيق الانتصار على الجيوش البيزنطية والقوى المتحالفة معها , وأسر إمبراطور بيزنطة ديو جينس رمانوس , وإطلاق سراحه مقابل فدية كبيرة وهدنة لمدة خمسين عاماً [1] , وقد قتل في هذه المعركة الآلاف من قادة الجيش البيزنطي و جنوده [2] .

كانت معركة (ملاذ كرد) نقطة تحول في التاريخ العالمي بصفة عامة , وتاريخ السلطنة السلجوقية بصفة خاصة , حيث إنها فتحت الطريق أمام السلاجقة لاحتلال آسيا الصغرى , وكانت السبب المباشر في بداية الصراع بين الشرق والغرب على شكل حروب مستمرة لاحقاً , وهي ما سميت بالحروب الصليبية على المشرق الإسلامي منذ سنة (492هـ/1098م) .

قتل السلطان السلجوقي ألب ارسلان من قبل أحد مناوئيه سنة (465هـ/1072م) , ودفن بجوار قبر عمه وأخيه في مدينة مرو , بعد أن حكم تسع سنوات ونصف تقريباً [3] , وأوصى وزيره نظام الملك الطوسي أن يكون السلطان من بعده ابنه ملكشاه [4] لإدارة الدولة السلجوقية [1] .

=1362م) , الوافي بالوفيات , د.ط , تح , احمد ارناؤوط , وتركي مصطفى , دار أحياء التراث العربي , لبنان , بيروت , (1402هـ / 2000م) , ج5 , ص77 .

[1] أبن الجوزي , المنتظم , ج8 , ص260 ؛ أبن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص 388 .

[2] أبن الجوزي , الكامل في التاريخ , ج8 , ص260 ؛ أبن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص 388 .

[3] البنداري , الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني (ت643هـ/1245م) , تاريخ آل سلجوق , د ط , دار الآفاق الجديدة , لبنان , بيروت , 1980م , ص49 ؛ السيوطي , جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ / 1505م) , تاريخ الخلفاء , ط1 , تح , محمد محيي الدين عبد الحميد , مطبعة السعادة , مصر , القاهرة , (1371هـ / 1952م) , ص422 .

[4] جلال الدولة , أبو الفتح ملكشاه ابن السلطان ألب ارسلان بن محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق , تولى السلطنة السلجوقية بعد مقتل والده ألب ارسلان سنة (465هـ / 1072م) =

اضطربت الأوضاع في الأراضي الخاضعة للسلطة السلجوقية في عهد السلطان ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان , وظهرت مشكلة الأحقِّية في العرش , فقد طالب به عمه (قاورد بن داوود) والي مدينة كرمان [2] , ودارت بين الطرفين معركة كبيرة , تمكّن فيها السلطان ملكشاه من تحقيق الانتصار على جيوش عمه قاورد بن داوود بدعم وتخطيط وزيره نظام الملك الطوسي وأسر عمه وقتله فيما بعد , وجعل مدينة كرمان ولاية سلجوقية يتوارثها أبناء عمه المقتول قاورد حتى سنة (583هـ/1187م) , وسميت دولتهم باسم سلاجقة كرمان[3] . ثم استطاع السلطان ملكشاه إنهاء تمرد والي مدينة ترمذ [4] , وأجبر والي مدينة خوارزم[5] على الخضوع والطاعة [6] .

تمكن السلطان ملكشاه أيضاً من إخماد المؤامرات التي قامت ضده في مدن وراء نهر سيحون كافة , وأعاد جميع الولايات والمدن إلى طاعته , واستقرت

= طلب من الخليفة المقتدى العباسي (467 - 487هـ / 1074 – 1094م) , أن يجعل ولاية العهد لجعفر ابن الخليفة العباسي المقتدى من زوجته توركان خاتون بنت السلطان ملكشاه , وكان للخليفة العباسي أبناء من زوجات أخرات , إضافة لابنه جعفر من ابنة السلطان ملكشاه , ورفض الخليفة الطلب , فطلب منه السلطان ملكشاه مغادرة بغداد حاضرة العباسيين , وأمهله عشرة أيام للرحيل , وقد توفي ملكشاه قبل انتهاء المهلة . ينظر : ابن خلكان , وفيات الاعيان , ج3 , ص 287 , 289 .

[1] ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص 394 ؛ ابن خلكان , وفيات الأعيان , ج4 , ص164 .

[2] ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة , ذات بلاد وقرى واسعة , وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي والضرع , تشبه مدينة البصرة في كثرة خيراتها وجودتها , تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج4 , ص132 .

[3] الكرماني , أفضل الدين أبو حامد (ت ق 6هـ/12م) , تاريخ أفضل بإبداع الأزمان في وقائع كرمان , د.ط , د.م , إيران , طهران , (1326هـ/1947م) , ص10 .

[4] مدينة تقع على الضفة الشمالية لنهر جيحون الذي كان حداً حصيناً لها , وهي مجاورة لمدينة بلخ ومتصلة بها , وكذلك متصلة بالصغانيان . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج1 , التاريخ , ج8 , ص395 .

[5] مدينة ذات خيرات وأسواق , الشتاء فيها شديد البرد , ويتجمد نهر جيحون شتاءً , والقوافل تمشي عليه , يحيط في المدينة الرمال السيالة . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج2 , ص252 .

[6] البنداري , تاريخ آل سلجوق فيها , ص57 , 58 . وخوارزم مدينة ذات خيرات وأسواق , الشتاء فيها شديد البرد , ويتجمد فيها نهر جيحون شتاءً , والقوافل تمشي عليه , وتحيط بالمدينة الرمال السيالة . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج2 , ص252 .

أحوال البلاد في صالحه[1] , وقد اتخذ لنفسه لقب (مولى العرب والعجم) [2] , وبلغت الدولة السلجوقية في عهده درجة من الرقي والازدهار ووصل بجيشه إلى حدود بلاد الصين والهند وضمت بلاد الشام واليمن وايران والعراق وبلاد ما وراء نهر سيحون , وأصبحت الدولة السلجوقية مصدر خوف للعالم المسيحي في الغرب الاوروبي آنذاك[3] .

وصف الراوندي[4] عهد السلطان ملكشاه بأنه :- "صار شباباً للدولة وربيعاً لأيام الملك وطرازاً لأبهة جديدة " , إلّا أنّ انفتاح الدنيا واتساع الأملاك والتنافس في الدولة السلجوقية , أسهم في حدوث الصراع بين الأُمراء السلاجقة , وحدث أولاً نزاع وقتال حول عائدية مدينة حلب بين سليمان بن قتلمش[5] , و الأمير تتش أخي السلطان ملكشاه , وقد أدّى هذا النزاع إلى مقتل سليمان بن قتلمش قرب مدينة حلب من قبل تتش بن أرسلان سنة (479هـ/1086م) , ثم أَقَرّ السلطان ملكشاه أبناء سليمان بن قتلمش على أمارة سلاجقة بلاد الروم , واطمأن إلى ولاء أخيه تتش [6] .

لا تختلف الدولة البويهية عن السلاجقة , فالكثير من ملامح الحكم البويهي تكررت خلال حكم السلاجقة , فدخول السلاجقة الى العراق يكاد ان يكون بنفس الطريقة البويهية , كما ان استبداد السلاطين السلاجقة كاستبداد ملوك بني بويه ,

---

(1) الراوندي , واحة الصدور , ص203 ؛ ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص 396 - 397.

(2) فييه , موريس جان , أحوال النصارى في خلافة بني العباس , ط1, تر , حسين زينة , دار المشرق , لبنان , بيروت , 1990م , ص298 .

(3) أبو النصر , محمد عبد العظيم يوسف , السلاجقة وتاريخهم السياسي والعسكري , ط1 , عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , مصر , القاهرة , 2001 م , ص98 .

(4) واحة الصدور وآية السرور , ص98 .

(5) تنحدر هذه الطائفة من نسل قتلمش بن أسرائيل الذي عينه السلاجقة في بداية تكوين دولتهم حاكماً على الموصل وديار بكر ليجعل هذه الديار لصالحهم ويخضعها لنفوذهم , وقد بدأ قتلمش يتطلع للاستقلال بالحكم بعد وفاة طغرلبك , وما لبث أن خرج على سلطة ألب أرسلان , مما دفع ألب أرسلان للقضاء عليه , لكن ابناءه وأحفاده استطاعوا أن يؤسسوا لهم دولة في بلاد الأناضول ودامت قرنين من الزمان . ينظر: أبن الأثير, الكامل في التاريخ , ج8 , ص 367 .

(6) البنداري , آل سلجوق , ص71 .

ونظرتهم مشتركة نحوا الخلافة العباسية , إذ رأى السلطان السلجوقي انه الحاكم الاول وصاحب الفضل في حماية الخليفة , ولإعطاء الطابع الشرعي لتسلطهم على الحكم قام السلطان طغرلبك بالزوج من ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله سنة (454هـ/ 1062م) في محاولة لربط النسب العباسي مع البيت السلجوقي , وبعد وفاة طغرلبك وعودة ابنة الخليفة الى بغداد جدد السلطان الب ارسلان خطبتها سنة (456هـ/ 1063م) [(1)] , ولتأكيد الشرعية في تسلطهم على الحكم قام السلطان ملكشاه بتزويج ابنته تركان خاتون من الخليفة العباسي المقتدي سنة (480هـ /1087م) [(2)] , وزاد نفوذ السلاجقة بهذا المصاهرات في المناطق التي تقع تحت سيطرتهم[(3)] .

ثم عاد السلطان ملكشاه إلى مدينة أصفهان ليواجه النفوذ المتنامي للفرقة الشيعية الإسماعيلية [(4)] , التي تمكنت من اغتيال وزيره نظام الملك الطوسي سنة (485هـ/1092م) , وكان العقل المدبر للقضاء على حركتهم [(5)] , وبعد مصرع الوزير نظام الملك عاد السلطان ملكشاه إلى مدينة بغداد وهي الزيارة الثالثة والأخيرة له إذ توفي بعد مصرع وزيره في العام نفسه (485هـ / 1092م)[(6)]

---

(1) ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص 177 , 191 .

(2) ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص451 - 452 .

(3) أبو النصر, السلاجقة وتاريخهم السياسي والعسكري , ص101 .

(4) تنسب هذه الفرقة إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر ابن الامام علي زين العابدين ابن الامام الحسين بن الأمام علي بن ابي طالب (عليهم السلام) , تقول هذه الفرقة إن الإمام بعد جعفر الصادق (عليه السلام) هو ابنه إسماعيل , وأنكرت هذه الطائفة موته في حياة أبيه , وقالت إن أباه أراد إخفاءه عن الناس , وإنه لا يموت حتى يملك الأرض وهو القائم , لأن والده أشار بذلك في حياته , واعتقدوا في سبعة أئمة آخرهم إسماعيل وأولهم الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولذلك سموا بالسبعية . ينظر : جمال الدين , محمد السعيد : دولة الإسماعيلية في إيران , ط1 , دار الثقافة للنشر , مصر , القاهرة , 1999م , ص20-21 .

(5) الراوندي , واحة الصدور , ص206 ؛ البنداري , آل سلجوق , ص65 ؛ ابن خلكان , وفيات الأعيان , ج1 , ص398 .

(6) ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص482 .

==

وكانت زيارته الاولى الى بغداد سنة (479هـ/1086م) , والثانية سنة (484هـ/1091م) [1].

وبموت السلطان السلجوقي ملكشاه ابن السلطان ألب ارسلان , أنتهى عصر دولة السلاجقة الأول – عصر السلاجقة العظام - [2] , وعاد النزاع والتخاصم والتنافس بين أفراد الأسرة السلجوقية [3] , فلم تعد الدولة تخضع لأحد , فأصبح هناك عدة سلاطين سلاجقة في آن واحد , وفقد البيت السلجوقي هيبته وقوته [4] , وضاع الحزم والعزم كله , ووقف السلاجقة المتأخرون أمام العدوان الصليبي موقف العاجز , وهبط أمر الخلافة العباسية حتى لم يعد لها في العالم السياسي أي وزن , ولم يبقَ لها إلّا الاسم والرسم , وواجهت في هذه الظروف جائحة الصليبيات القادمة من الغرب الاوروبي , بعدة حملات برية وبحرية متعاقبة , بدأت سنة (493هـ/1099م) , انشأت خلالها إمارات وممالك وقلاع على أرض عربية إسلامية كما حدث في مدن بلاد الشام وسواحلها البحرية , مما أدى إلى انحلال الدولة السلجوقية فيما بعد وقد ورثها الأتابكة [5] .

لقد بلغت الدولة السلجوقية في عهد السلطان ملكشاة درجة كبيرة من النفوذ والاتساع , فوصلت الى حدود الهند والصين شرقاً , وألى سواحل البحر الابيض

---

[1] الابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص 310 , 349 .

[2] أبو النصر , السلاجقة , ص111 .

[3] ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص483 .

[4] ابن الجوزي , المنتظم في تاريخ الملوك والأمم , ج8 , ص10 ؛ ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص483 .

[5] أتابك :- كلمة تركية الأصل , ومن بقايا عادات التركمان القديمة , وهي مركبة من لفظين (اتا) أو (اطا) و بمعنى مرب و(بك) بمعنى أمير , ومعناهما معاً مربي الأمير آو الأمير الوالد , وكان لقباً يطلق على الأمراء والقواد العسكريين , الذي يعهد اليهم بتربية أبناء السلاطين السلاجقة , وتعليمهم وتدريبهم على شؤون الحكم وفنون الحرب , ويُعَد نظام الملك أول من لقب بهذا اللقب من وزراء السلاجقة وقوّادهم , وكان هذا اللقب إذا منح لأمير ما فسيكتسب صفة الدوام ولو انقطع صاحب اللقب عن القيام بوظيفته . ينظر : براون , إدوارد جونفيل , تاريخ الأدب في إيران , من الفردوسي إلى السعدي , ط1 , تر , إبراهيم عبد الحميد وآخرون , مكتبة الثقافة الدينية , مصر, القاهرة , (1424هـ / 2004م) , ص226 ؛ الباشا , حسن , الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار, د. ط , دار النهضة العربية , مصر , القاهرة , 1978م , ص122-123.

المتوسط غرباً والى خوارزم شمالاً واليمن جنوباً , وايران وبلاد ما وراء النهر واسيا الصغرى والعراق والشام , فلا عجب ان يصنف المروزي كتابه طبائع الحيوان متاثراً بالسلاطين السلاجقة ودولتهم .

المبحث الثاني

الحياة العلميـــــــــــــة

اولاً :- المراكز العلمية -

تعتبر مدينة مرو التي عاش فيها شرف الزمان طاهر المروزيّ , من أهم المدن في المشرق الإسلامي عامة وإقليم خراسان خاصة , وأهلها من أتراك آسيا الوسطى [1] , يصفهم اليعقوبي[2] بقوله :- " أهلها أشراف من دهاقين العجم " .

تبوأت خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي – عصر المروزيّ – المكانة العلمية المرموقة بين الأوساط الثقافية في المشرق آنذاك , وشهدت نشاطاً ثقافياً وفكرياً , وأصبحت في ضوء ذلك منهلاً من مناهل العلم والمعرفة جذبت اليها حشداً من العلماء والمفكرين المسلمين الى حيز مسرحها الثقافي المتميز من بين الحواضر الفكرية الإسلامية في المشرق الإسلامي , وفي المعارف المختلفة والمتنوعة من مجالس العلم والوعظ والتذكير والمناظرات وحلقات الدرس والمؤسسات العلمية التي أسهمت في تحفيز النشاط العلمي والفكري , ومهدت السبل لإظهار نخبة من العلماء المراوزة المشهورين في مختلف مجالات العلوم , وأصبحت المراكز العلمية فيها تقدم دوراً مهماً في تطوير نشاطها الثقافي الواسع وازدهاره , وأهم هذه المراكز في مدينة مرو : -

1- المساجد : –

لقد عرف التعليم لدى الشعوب منذ قديم الزمان , وعرفت منشآت علمية تؤدي وظيفتها التربوية , ودورها التعليمي بصورة بدائية , ثم اخذ نشاطها اكثر شمولاً ودقة , وعندما انتشرت الديانة الإسلامية , وتوسعت في الأقاليم المحررة والمفتوحة , وفي قارات العالم القديم – آسيا وأوروبا وأفريقيا – وأمتزج العرب المسلمون بالشعوب الأخرى التي أصبحت ضمن حدود الدولة الاسلامية , ساعد ذلك انتعاش النشاط الفكري والنشاط العقلي , الذي اقترن باهتمامهم , وسعيهم على

---

[1] البلاذري , فتوح البلدان , ص 572 .
[2] البلدان , ص 279.

نشر العلوم في مراكز علمية انشأوها [1] , فكان المسجد العنصر المهم في المدينة الاسلامية , الذي حمل على عاتقه مهمة تحويل القيم والمبادئ الاسلامية الى سلوك واقعي بحكم شمولية مبادىء الدين الاسلامي لجوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية , إذ اكد على التمسك بالعقيدة والحفاظ على القيم والمبادئ .

إنَّ مدينة مرو من المراكز المهمة في المشرق الاسلامي لنشر العلم والمعرفة , وكانت مساجدها أول مؤسساتها العلمية التي مارست دوراً مهماً وواضحاً في احتضان طلاب العلم وتنمية مواهبهم وملكاتهم العلمية , وتزويدهم بمعارف شتى , فكان رجالها من العلماء عوناً للمجتمع آنذاك وذلك لما قدموه من خدمات جليلة أنارت دروب العلم , إذ أصبحت مدينة مرو مناراً للعلم فكرياً وعلمياً , وأصبحت مساجدها مركزاً لنشاط متعدد الألوان بالإضافة الى وظيفتها الأساس في اقامة شعائر الدين .

وكانت تقوم فيها حلقات الدرس , و طريقة الدراسة في المسجد تتم عن طريق الحلقة التي يتحلق فيها الطلاب حول شيخهم , وهذه الحلقات عبارة عن صفوف دراسية دائمة ذات عدد محدود من الطلاب , تعقد في أركان المسجد , فيختص كل أستاذ بركن من الأركان يعرف بالزاوية [2] , ويبدوا ان هذه الزوايا تختلف في قيمتها الواحدة عن الاخرى باختلاف قيمة جامعيها ودقتهم في النقل والضبط والتعليق .

ومن اهم مساجد مدينة مرو , المسجد الاول والذي يعرف بمسجد (ماهان) , وموقعه في وسط المدينة , وكان بناءه اول دخول الدين الاسلام الى المدينة , وبني حوله منازل كثيرة [3] .

ثم بني المسجد المعروف بالمسجد (العتيق) , وكان موقعه على ربض مدينة مرو [4].

أما المسجد الثالث فكان في ربض المدينة , وتحيط به الاسواق الكبيرة [1] , وكان موجوداً في القرن السابع الهجري [2].

---

[1] الغلاني , واثق محمد نذير , الربط والخوانق والبيمارستات ودورها في التربية , مجلة دراسات اسلامية , العدد الاول , السنة اولى , سنة 2000م , ص 118 .

[2] عاشور , سعيد عبد الفتاح وآخرون , دراسات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية , ط2 , منشورات ذات السلاسل , الكويت , 1986م , ص299 .

[3] المقدسي , أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم , ص 311 .

[4] الاصطخري , مسالك الممالك , ص 258 , 259 ؛ ابن الفقيه , مختصر كتاب البلدان , ج2 , ص 434 ؛

وبنيت المساجد في ضواحي مدينة مرو , مثل مسجد الصاغة [3] , ومسجد الصيارفة[4] , ومسجد ابو بكر القفال [5] .

وأنشأت بعض المساجد في قرى مدينة مرو مثل جامع قرية خرق , على ثلاثة فراسخ من مدينة مرو [6] , وذكر المقدسي [7]أن خرق مدينة , وجامعها خارج السوق , وجامع قرية كلختجان , وهي قرية على خمس فراسخ من مدينة مرو [8] .

2. المدارس : –

كان التعليم في مدارس مدينة مرو امتداداً لحركة التعليم في المساجد , فقد أستمرت المساجد في أداء وظيفتها التعليمية في العصر السلجوقي , والحقت بمعظمها خزائن الكتب التي اوقفها عليها رجال العلم أو السلطة لتحقيق المنفعة العلمية وكانت تمد الطلبة واساتذتهم بالمعلومات التي دأبوا على قراءتها [9] .

أضافة الى أن المدارس لم تكن إلا مرحلة متقدمة في سلسلة التطورات التي مر فيها التعليم في العصر الإسلامي , فلم تكن ابتكاراً مفاجئاً , ولم ترى المدارس النور في مدينة مرو إلا بعد مرورها بمراحل وظروف ساعدت على ظهورها [10] .

لقد تبوأت في مدينة مرو عدد من المدارس التي انتشرت خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين - عصر المروزيّ - وأعتلت مهمة نشر الثقافة وعقد المجالس العلمية كالمناظرات والوعظ والتذكير ومجالس الأملاء وغيرها أضافة الى التدريس , سواء من علماء وأدباء مدينة مرو , أو ممن أرتحل اليها من الأمصار الإسلامية الأخرى [11] , ومن أهم

---

[1] الاصطخري , مسالك الممالك , ص 258 , 259 ؛ ابن حوقل , صورة الارض ,, ص 321 .

[2] ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج , 4 , ص 378 .

[3] السمعاني , الانساب , ج1 , ص 302 .

[4] السمعاني , الانساب , ج1 , ص 362 .

[5] السمعاني , الانساب , ج2 , ص 238 , 239 .

[6] السمعاني , الانساب , ج2 , ص 349 .

[7] ا حسن التقاسيم في معرفة الاقاليم , ص312 .

[8] السمعاني , الانساب , ج5 , ص 87 .

[9] حلمي , احمد كمال الدين , السلاجقة في التاريخ والحضارة , ط1 , مطبعة الحرية , لبنان بيروت , 1975م , ص376 .

[10] حمودي , خالد خليل , نشأت المدارس في العصر الاسلامي , مجلة آفاق عربية , السنة الرابعة , العدد 1 , سنة 1978م , ص113

[11] عثمان , المدينة الاسلامية , ص242 .

مدارس مدينة مرو خلال فترة البحث المدرسة النظامية التي بناها وزير السلاجقة العظام – الب ارسلان وابنه ملكشاه – الوزير نظام الملك الطوسي , وهي أحدى المدارس التي تأسست في الأمصار الاسلامية ضمن الاراضي التي كانت تحت السيطرة العباسية متمثلة بالسلطة السلجوقية آنذاك وأطلق عليها النظاميات [1] , ومدرسة شرف الملك , وتنسب هذه المدرسة الى ابو سعد محمد بن منصور الخورزمي , مستوفي مملكة السلطان ملكشاه , الذي توفي في مدينة اصبهان سنة (سنة 494هـ/ 1100م) [2] , والمدرسة العميدية , وتنسب هذه المدرسة الى محمد بن منصور ابن النسوي (ت 494هـ / 1100م) , عرف بعميد خراسان , بنى هذه المدرسة وأوقفها على آل السمعاني [3] , والمدرسة الخازنية الذي فوض فيها للتدريس لابي عمر المستوفي , وهو اسماعيل بن الحسين بن ابي عمرو المستوفي النيسابوري , ولد سنة (450هـ / 1058م) بنيسابور , وتوفي في مرو سنة (530هـ/ 1138م) [4] ومدرسة القاضي الشهيد ابي بكر الحسين بن محمد المروزيّ , انتهت اليه رئاسة اصحاب ابي حنيفة في مدينة مرو , وتوفي فيها سنة (512هـ/ 1118م) [5].

ويظهر للمتتبع لأخبار المدارس في مدينة مرو وفي عموم أقليم خراسان يظهر أن المدرسين فيها من أصول عربية سكنوا هذه البلاد بعد الفتوح الاسلامية أو عن طريق الرحلات , أو كانوا من أهل البلاد الاصليين الذين تمكنوا من أتقان علوم اللغة العربية وآدابها بجدارة , إذ اصبحت مصنفات هؤلاء من المصنفات المهمة للتراث العربي الاسلامي والثقافة الاسلامية [6] .

3- الربط والخانقاهات –

ظهرت منشآت علمية لم تكن في بادئ امرها من المراكز العلمية المعروفة لدى المسلمين , وإنما كان الهدف من انشاءها لأغراض دينية وعسكرية لمراقبة الثغور الاسلامية , ثم اتجهت الى مهمة التدريس ونشر العلم اضافة للمهام الموكلة

---

[1] سالم , منيرة ناجي , البيت السمعاني من البيوتات العربية بخراسان , مجلة المورد , العدد الرابع , سنة 1976م , ص ص 31 - 34 .
[2] أبن الجوزي , المنتظم , ج9 , ص128 .
[3] أبن الجوزي , المنتظم , ج9 , ص128, 129 .
[4] ألسمعاني , التحبير , ج1 , ص 91 , 92 .
[5] ألسمعاني , الانساب , ج1 , ص 112 .
[6] معروف , ناجي , مدارس قبل النظامية , د.ط , مطبعة المجمع العلمي العراقي , العراق , بغداد , سنة 1973م , ص21 .

اليها , وكان ظهورها نتيجة لما افرزته الحياة الجديدة من دواعي اجتماعية وفكرية وعلمية , وهي الربط والزوايا والخوانق [1] .

والربط أطلق في بادئ الأمر على الثكنات العسكرية التي تبنى على حدود الدولة العربية الإسلامية قرب الثغور , وكان الجنود والمجاهدين يرابطون فيها دفاعاً عن الإسلام خشية هجوم الاعداء في أي وقت من الاوقات , وكان القاطنون بالثغور يعدون من المجاهدين في سبيل الله , لذا اتسم طابع الربط بالسمة الحربية , وعكف هؤلاء المجاهدون على قضاء وقتهم في التفقه في الدين [2] .

لكن بعد استقرار حدود الدولة العربية الاسلامية , وانقطاع الحروب في اواسط القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي , تحولت الربط من وظيفتها العسكرية الاساسية , واتجهت لتقديم خدمة عامة , وقد اشار مصطفى جواد [3]بأنها أصبحت موضعاً للتأليف والتصنيف والاقراء , ومكاناً للعبادة بعد أن أنقطع المرابطون لقراءة القرآن وعلوم الدين واللغة , ثم تطورت فأصبحت ملاذاً للعلماء والرحالة في طلب العلم , وخاصة الذين يتنقلون بين الأمصار الاسلامية [4] , وأصبحت تلقى بها المحاضرات للسماع الجماعي وتعطى فيها الإجازات , ومكتباتها ينهل منها طلاب العلم المقيمون , يدرسون ويتدارسون ويؤلفون [5] .

وهكذا تحول دور الربط من المهام العسكرية وتأمين حدود الدولة الاسلامية الى الدور الإنساني والعلمي , ولها قوامون لخزن الكتب وصيانتها ومناولتها وترتيبها [6] , ويتولى أدارتها شيوخ ورعون وقد انتشرت في أنحاء مدينة مرو [7] .

ومن اشهر هذه الربط في مدينة مرو رباط السلطان , ويبدوا من تسميته بالسلطان انه من بناء مستوفي مملكة السلطان ملكشاه السلجوقي شرف الملك , وقد

---

(1) الغلامي , الربط , ص 118.

(2) معروف , ناجي , مدخل في تاريخ الحضارة العربية , ط1 , مطبعة العاني , العراق , بغداد , سنة 1960م , ص 103 .

(3) الربط الإسلامية وأثرها في الثقافة الإسلامية , مجلة سومر , مج11 , سنة 1954م , ج2 , ص 224 .

(4) الغلامي , الربط , ص 121 .

(5) حلمي , السلاجقة , ص 377.

(6) جواد , الربط البغدادية , ص224 .

(7) معروف , المدخل في تاريخ الحضارة , ص 103.

نزله العديد من القراء , امثال أبو علي الحسين بن علي بن ابي القاسم (ت 522هـ / 1128م) وهو من أهل فرغانة , سكن مدينة سمرقند وتوفي فيها [1] .

ورباط يوسف الهمذاني , وينسب الى ابي يعقوب بن ايوب بن يوسف بن الحسن الهمذاني (ت 535هـ/ 1140م) , من أهل بوزنجرد [2] ,نزيل مدينة مرو , كان بارعاً في علم الفقه وخاصة (علم النظر) , كان له رباط مدينة مرو , اجتمع به جماعة كثيرة من المنقطعين [3] .

ورباط النسوي لابي طاهر , فضل بن عمر , نزيل مرو , ذكره ابو سعد السمعاني بانه سمع منه جده ووالده وعمه , توفي بمدينة مرو ودفن برباطه سنة (520هـ/ 1126م) [4] .

ومما تقدم يعطينا اشارة ان الربط أصبحت من المراكز العلمية المهمة في مدينة مرو وخاصة أن موقعها الجغرافي في المشرق الاسلامي يؤهلها لأن تكون حدودها مركزاً لإقامة الربط , وأن كان للمدارس فيها دوراً أكبر من ذلك , إلا أننا لا يمكن أن نقصي دور الربط في المساهمة بالازدهار الفكري , وخاصة بعد أن أصبحت مركزاً لالتقاء العلماء وذوي المعرفة من أهل مدينة مرو أو مدن اقليم خراسان , أو ممن لجأ اليها من الأمصار الاسلامية لأجراء المناظرات العلمية ومجالس الاملاء والوعظ والتذكير والقاء المحاضرات الدينية , أضافة الى خدماتها الاجتماعية , وهذا الدور كان كافياً لأهل الصلاح لأنشاء هذه الربط , وأجراء الوقف لها وتعيين موظفيها .

لقد وضح احد الباحثين المحدثين [5] أن تسمية (الربط) هو اللفظ العربي الصحيح , شاع في العراق أكثر , أما في المشرق وخاصة بلاد الشام والبلاد المصرية , فقد اطلق عليها أسم (الخوانق) وهي شبيهة بالربط .

والخانقاة : كلمة فارسية أرتبط استخدامها أكثر في المشرق الاسلامي , وهي بيت أو سكن الصوفية يجرون فيها مراسيم تصوفهم من ذكر ووعظ وغيرها من المراسيم [1] .

---

(1) السمعاني , التحبير , ج1 , ص234 , 235 .

(2) بوزنجرد : من قرى همذان على مرحلة منها مما يلي ساوة , السمعاني , الانساب , ج1 , 412 .

(3) ابن الجوزي , المنتظم , ج10 , ص 94 , 95 .

(4) السمعاني , الانساب , ج10 , ص175 .

(5) الغلامي , الربط , ص 119.

وأشار السمعاني [2] بأن الخانقاة " بقعة يسكنها أهل الخير والصوفية " , وهي مشتقة من (الخان) وهو (البيت) , وقيل في معناه (بيت الدراويش والصوفية والفقراء) [3] .

وكانت هذه الخانقاهات والربط مقراً لاستقرار المتصوفة من أهل مرو وغيرهم من الناس ممن تميز منهم بالزهد والتقوى , وحتى أن عدد من العلماء المراوزة الذين أصبحت لهم سمة التصوف صفة من علاماتهم البارزة مع ما تميزوا به من العلم , ساهموا بنشره وأدوا هذا الدور على أتم وجه , فساهموا بازدهار الحركة الفكرية عن طريق الوعظ والإرشاد , واهتموا بتنظيم الشعر الغزلي منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي , واتخذوه وسيلة لشغل السالكين وتهذيب نفوس واردي الخانقاهات , واخذوا يفضلون نظم الغزليات على نظم القصائد , بعد ان شاع الشعر السياسي بسبب الصراعات السياسية في مدينة مرو [4] فأصبحت هذه الخانقاهات ذات أثر تعليمي لا سيما أنها تمارس دوراً دينياً وعلمياً واجتماعياً بآن واحد[5] .

ومن الخانقاهات في مدينة مرو , خانقاه اليرمويي , ينسب الى ابي حفص عمر بن محمد بن علي بن حيدر اليرمويي , قرأ عليه السمعاني جميع كتاب الصحيح للبخاري , توفي سنة (535هـ/ 1140) , في مدينة مرو [6].

وخانقاه الكشميهني , وينسب الى الشيخ الامام شيخ الصوفية , ابي الفتح محمد بن عبد الرحمن بن محمد المروزيّ , توفي سنة (548هـ/ 1153م) [7] .

وعقدت المجالس ايضاً من قبل العلماء الذين نزلوا مدينة مرو , ومنهم أبو الفتح الغزنوي (ت531 / 1136م) , وهو من مدينة غزنة [8], وأبو الفتح الطرثيثي

---

(1) التونجي , محمد , المعجم الذهبي , د.ط , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , 1969م , ص 232 .
(2) الأنساب , ج2 , ص 323 .
(3) الفلاحي. , الربط , ص 119 .
(4) حلمي , السلاجقة , ص 302 .
(5) خالد , وميض , الحركة الفكرية في بيهق حتى نهاية القرن الرابع الهجري , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , الجامعة المستنصرية , 2002م , ص 86 .
(6) السمعاني , الانساب , ج1 , ص 321 .
(7) السمعاني , التحبير , ج2 , ص 196 , 197.
(8) مدينة غزنة , تعرف لدى العلماء الغزنويين (جزنة) , ويقال لمجموع بلادها هازابلستان , وهي مدينة من مدن خوارزم , تمتاز بسعتها , وهي تمثل الحد بين خراسان والهند في الطريق , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 4 , ص201 .

(ت 535هـ/ 1140) , ورد مرو وسكنها حتى وفاته ودفن فيها , ووصف انه من الامالي الدقاق [1] .

ومن العلماء الذين قدموا مدينة مرو , أبو النجيب الهروي (ت نيف و540 هـ /1145م) , عبد الفتاح بن اميرجة بن ابي سعيد المعير الهروي الصوفي , سكن مرو ومات فيها [2] , وهو من أهل مدينة هراة [3].

4- الخزائن والمكتبات –

أصبح للمكتبات دوراً مهماً في تهيئة الغذاء الفكري لمختلف أنواعه للباحثين أو غيرهم سواء في مدينة مرو أو غيرها من المدن الاسلامية , ويمكن تقسيم هذه المكتبات أو خزائن الكتب الى :-

أ- **مكتبات عامة** , ومن أهمها مكتبات المساجد التي أصبحت مستودعات الكتب , فكانت غنية بمصاحف القرآن وتفسيره , وكتب الحديث التي كانت تقدم للقراء هبة أو استعارة [4] , وأصبحت هذه الخزائن ملازمة لأغلب المساجد [5] , وهذا أمر طبيعي قبل نشوء المدارس لأن المساجد كما بينا سابقاً , كانت تقوم مقام المعاهد العلمية لنشر المعرفة أضافة لوظائفها الدينية , الأمر الذي يمكن القول ازاءه ان هذه المساجد شكلت أول نواة للمكتبات العامة , والتي يمكن الرجوع اليها للاستعانة بما موجود فيها من كتب [6] .

---

[1] طاش , كبرى زاده , مفتاح السعادة , ج2 , ص 322 ؛ السمعاني , التحبير , ج1 , ج1 , ص 551 , 552 .
[2] السمعاني , التحبير , ج1 , ص 469 , 470 .
[3] مدينة هراة : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان , تحيط بها الجبال من كل الجهات , ويوجد داخلها قندز وبها ربض ومسجد جامع , ودار امارة خارج الحصن , بمكان يعرف بخراسان أياز , ابن حوقل , صورة الارض , ج2 , ص 427 ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص 396 .
[4] حسنين , عبد المنعم محمد , سلاجقة ايران والعراق , ط1 , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر , مصر , القاهرة , 1959م , ص 194.
[5] آرنولد , سير توماس , تراث الاسلام , ط3 , ترجمة جرجيس فتح الله , دار الطليعة , لبنان , بيروت , 1978م , ص 482 .
[6] طلس , محمد أسعد , التربية والتعليم في الاسلام , ط1 , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , 1957م , ص93 .

وبهذا فأن المكتبات وليدة حاجة محلية أحس بها المسلمون بعد أن استوطنوا البلاد المحررة , وبعد أن أنتشر العلم والتعليم في طول البلاد الاسلامية وعرضها [1] .

ومن اشهر مكتبات مدينة مرو :-

1- المكتبة العزيزية :- حوت على مؤلفات عديدة وكبيرة في شتى مجالات العلوم , يقدر عددها بحوالي 12 الف مجلد [2] .

2- المكتبة الكمالية :- وفيها خزانة شرف الملك المستوفي , ابي سعد محمد بن منصور وكانت في مدرسته , وقد مات المستوفي سنة (494هـ/ 1100م) , وترك كتبا نفيسة في مكتبة المدرسة [3] .

ب- المكتبات الخاصة –

وتشمل خزائن الكتب لدى السلاطين والأمراء ورجال الدولة والعلم والأغنياء , وغالباً ما تلحق في المساجد والمدارس , أما هبة أو وقفاً .

وعد الدكتور غنيمة [4] خزائن العلم اول مكتبات جامعية في تأريخ الاسلام سواء دور العلم الأهلية او الحكومية , ومنها انتقلت فكرة المكتبات الى المدارس النظامية في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي , وأصبح من نظم المدارس أن تحتوي على خزائن كتب ينتفع بها الشيوخ والتلاميذ .

كانت هذه الخزائن تساعد الباحثين والدارسين على الدرس والبحث , فقد اكثر مؤسسوا المدارس من أيقاف الكتب على اختلاف علومها وفنونها في المدارس وأنشأوا لها المباني الخاصة , واقاموا لها المشرفين والنظار , ويدل كثرتها

---

[1] حمادة , محمد ماهر , المكتبات في الاسلام , نشأتها وتطورها , د.ط , د.م , لبنان , بيروت , 1971م , ص27 .

[2] ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص114 .

[3] أبن الجوزي , المنتظم , ج9 , ص 128 .

[4] محمد عبد الرحيم , تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى , د.ط , دار الطباعة المغربية , المغرب , تطوان , 1953م , ص 284 .

على اهتمام المسلمين بأنشاء المكتبات الخاصة وعنايتهم للعلم ورعاية العلماء والطلبة [1] .

اما ادارتها ونظمها فقد كان لكل خزانة أمين يسمى الخازن أو الشاهد , لكن نظم استعارة الكتب تختلف من خزانة لأخرى [2] .

وبما أن المكتبات شكلت دوراً مهماً في نشر المعرفة , ولما كان يتعذر على غير الميسورين اقتناء الكتب نظراً لارتفاع اثمانها , أتجه الكثير من محبي العلم الى أنشاء خزائن حوت المصادر المتنوعة والمختلفة في مدينة مرو , وكثيراً ما يكون وقف هذه الكتب في المدارس بعد تأسيسها [3] , وبعض الأحيان تنشأ دور خاصة للكتب يطلق عليها دار أو بيت أو خزانة الحكمة [4] .

ومن اهم المكتبات الخاصة في مدينة مرو :-

1:- خزانة الوزير نظام الملك الطوسي , التي لحقت في المدرسة النظامية التي بناها في مدينة مرو , وكانت تحتوي على المخطوطات والمؤلفات النادرة في كل علم وفن [5] .

2:- خزنة شرف الملك المستوفي (ت 496هـ/ 1100م) , بنى مدرسة في مدينة مرو , , وأوقف عليها كتبا نفيسة [6] .

وتحولت هذه الخزائن فيما بعد ألى معاهد , تعقد فيها الندوات والمجالس العلمية من أهل الفضل والعلم , ويشاركون فيما يدور فيها من أبحاث , وقلما تخلو مدينة ذات مستوى ثقافي وعلمي في الامصار الاسلامية من خزائن الكتب الخاصة

---

(1) معروف , مدارس قبل النظامية , ص 19 .
(2) غنيمة , تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى , ص 486.
(3) ابن الجوزي , المنتظم , ج9 , ص 128 .
(4) معروف , مدخل في تأريخ الحضارة العربية , ص 181 .
(5) ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص 114 .
(6) ابن الجوزي , المنتظم , ج9 , ص 128.

والمرموقة [1] , ولم تقتصر خزائن الكتب على المساجد والمدارس والدور الخاصة , بل كانت تقوم ايضاً في المستشفيات والربط [2] .

وهكذا يظهر أن المكتبات العامة والخاصة في مدينة مرو , أدت رسالتها فيما مضى , وحققت الغايات النبيلة من أنشائها وتأسيسها واستمرارها , فكان لها الفضل في حفظ التراث العلمي ونشره وتعميقه , وتسهيل امر التبادل الثقافي وكسب المعرفة , والاخذ بأيدي الطلاب الى موارده وينابيعه والكشف عن كنوزه وأسراره .

ثانياً :- المجالس العلمية –

شهدت الحركة العلمية في مدينة مرو الواناً متعددة ونشاطات مختلفة من مجالس العلم التي يمكن القول بأنها ساهمت الى حد كبير في تحفيز النشاط الفكري والعلمي , ومهدت السبيل الى ظهور نخبة من العلماء في مجال العلوم الدينية واللغوية والفكرية وغيرها من الوان المعرفة أزدهرت ونمت وتطورت ازاء عقد هذه المجالس ويمكن النظر الى نوعين منها :-

أ- المجالس العلمية الخاصة –

كان يعقدها السلاطين والأمراء والوزراء السلاجقة في قصورهم ودورهم التي كانت منتديات علمية واسعة النشاط يحضرها كبار رجال الدولة والعلماء .

ب- المجالس العلمية العامة –

وكانت تعقد من قبل رجال العلم والأدب والفكر في الدور والمساجد والمدارس والمعاهد العلمية , لأغراض الدرس والأملاء والوعاظ أو المذاكرة في العلوم والأدب , وحضور هذه المجالس كان سهلاً وميسوراً , إذ تكون مجالس عامة ومفتوحة لمختلف طبقات الشعب ومستوياتهم العلمية والثقافية .

وقد حققت هذه المجالس أو الحلقات العلمية بتحفيز الحركة الفكرية في مدينة مرو , واضطلعت بمهام تعليمية واسعة النشاط , أصبح لها مدى متميز بأنواع مجالسها الثلاث , مجلس الأملاء , ومجلس المناظرات , ومجلس الوعظ والتذكير .

---

[1] الديوه جي , سعيد , التربية والتعليم في الاسلام , د.ط , د.م , العراق , الموصل , 1982م , ص 72 .

[2] معروف , مدخل في تأريخ الحضارة , ص 181 .

1. مجالس الاملاء -

اعتبرت مجالس الأملاء , أحد طرائق التدريس التي أتبعها الإخباريون والمحدثون واللغويون والأدباء , وغيرهم من العلماء في مدينة مرو , أو من قبل العلماء الذين قدموا اليها , لعقد مثل هذه المجالس إذ تركز عمل مجالس الأملاء على رواية الأحاديث النبوية الشريفة , والأحكام الشرعية التي تخص الحلال والحرام , وما يتعلق بالعبادات والمعاملات الدنيوية , اضافة للأحاديث المتعلقة بالترغيب والترهيب , كما كان هناك مجالس لأملاء المؤلفات التي تتعلق بعلم الحديث وموضوعات أخرى متعددة [1] , مما حدا بالعلماء الى ايجاد أحن الطرق لتوخي الفائدة من عقدها , اذا وضعنا نصب اعيننا حقيقة واحدة , هي أن وظيفة الاملاء كانت من أعلى وظائف الحفاظ من أهل الحديث وأهل اللغة .

فقد الف ابو سعد السمعاني كتاب اسماه (ادب الاملاء والاستملاء) , تناول فيه واجبات الاستاذ (المملي) وواجبات الطالب , وما يحتاج اليه هذا وذاك من التخلق بالأخلاق السنية والاقتداء بالسنن النبوية الشريفة , إذ كان الكتاب منصباً على طالب العلم الديني , , وعلى مدرس الحديث (المحدث) وهذه القواعد قابلة للتعميم .

فيما يذكر السمعاني انها تنطبق على المدرس والطالب عموماً في كل مجال للتدريس في الحلقات التي عرفتها المجتمعات القديمة , وهذا الكتاب مجموعة من الآداب , أي يحدد الشروط وطرائق العمل والادوار الموجهة الى الاستاذ المملي , و(الاستاذ المساعد) , و(المعيد) , أو (المستملي) , و(الكاتب) , أي الطالب [2] .

2. مجالس المناظرات –

المناظرات , هي الحجاج على العقائد يرافقها أثبات بالأدلة الشرعية والعقلية , وأصبحت لهذه المناظرات أصول ومبادئ , وخاصة بعد أن توسع مداها بين الفرق الاسلامية , ولما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً لكل قائل , كان المناظرون يلجأون الى وضع أحكام وقوانين يقف المناظران عند حدودها لا يتعدوها , وبذلك أصبحت المناظرات علماً محدداً بعد أن كانت أدباً وأرشادات [3] , فنشأ (علم النظر) الذي يبحث في كيفية تناول الكلام بين المتناظرين بالأدلة , من حيث أنها ثبت بها المدعي على الغير (ومبادئه) أمور

---

[1] معروف , مدارس قبل النظامية , ص 85 .
[2] السمعاني , أدب الاملاء والاستملاء , ط2 , تحليل وتحقيق , شفيق محمد زيعو , مطبعة دار أقرأ , لبنان , بيروت , 1986م , ص 19, 20 .
[3] غنيمة , تاريخ الجامعات , ص 207 .

بينة بنفسها , والغرض منه تحصيل ملكة المناظرة لئلا يقع في الخبط في البحث فيتضح الصواب , ومن فرع علم النظر (علم الجدل) , وهو علم باحث على تحصيل ملكة الهدم والابرام , وفائدته كثير من الأحكام العلمية والعملية من جهة الالزام على المخالفين ودفع شكوكهم [1] .

فالمناظرة والجدل , تعني محاولة كل من الخصمين تقديم رأيه بالبرهان , وأبطال رأي مخالفه ودحض حجته , والأصل فيها أن يكون الحديث غير مكتوب , ولكن بعضه يكون مكتوباً كالجدل في الرسائل [2] .

وتدور في مناظرات المتخاصمين مسائل متنوعة في الفقه , والنمو والصرف وفي اللغة والمسائل الدينية , وبأماكن علمية مختلفة كالمساجد والمدارس والدور والقصور وفي حضرة العلماء [3] .

ويمكن القول ان المناظرات من الرسائل التي اعانت على دعم الروح العلمية الصحيحة بين العلماء المسلمين في مدينة مرو , والظاهر أن المناظرات كانت في الغالب تدور بين الشيوخ , وبذلك تختلف عن السؤال والمناقشة بين الطالب وشيخه اثناء الدرس [4] .

وتعتبر المناظرات من اقدم المناهج الفكرية عند العرب المسلمين , فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحاور اليهود والنصارى وخصومه في أنحاء الجزيرة العربية بالرأي والبرهان والحجة [5] .

فالمناظرات من الأسباب التي حفزت على التقدم العلمي عند العلماء والمفكرين في الأمصار الاسلامية ومنها مدينة مرو وشجعتهم على البحث والنظر , وحملتهم على الجد في تصفية المسائل المبهمة التي عقدت لأجلها المسائل [6] .

---

[1] طاش كبري زادة , أحمد بن مصطفى , (ت 968هـ/ 1560م) , مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم , د.ط , مطبعة حيدر اباد , الهند , 1328هـ , ج1 , ص 57 , 65.

[2] حسين , طه وآخرون , التوجيه الأدبي , د.ط , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر , مصر , القاهرة , 1940م , ص34 .

[3] امين , ضحى الاسلام , ج2 , ص 54.

[4] غنيمة , تاريخ الجامعات , ص 204 .

[5] غنيمة , تأريخ الجامعات , ص204 .

[6] أمين , ضحى الاسلام , ج2 , ص 54 .

أن الاطلاع على كتب التاريخ والأدب والتراجم , يقودنا الى حقيقة جوهرية , وهي أن الشيوخ و العلماء المراوزة خلال فترة البحث حرصوا على اللقاء بينهم أو مع تلاميذهم على شاكلة المناظرة , أو من يحضر مجالسهم طالباُ للعلم .

ومن المؤكد أن المناظرات ازالت الغموض عن الكثير من المسائل التي عقدت من أجلها , وتبرهن لنا عن الدور الذي لعبته المناظرات على تحفيز تفكير العلماء المنطقي وقدرتهم على التفكير والبحث في المسائل المطروحة بروح علمية رائعة .

3. مجالس الوعظ والتذكير –

عقدت الكثير من مجالس الوعظ والتذكير والارشاد في اماكن مختلفة في مدينة مرو , كالمدارس والمساجد أو القرى والارياف , وكان محورها يهدف الى توعية الناس وتقويم اذهانهم نحو السلوك الصحيح والتمسك بمبادئ الاسلام , والتهذيب بأخلاق الدين الحنيف , حتى أصبح مجالس الوعظ والتذكير من اهم الوسائل في نشر التوعية والثقافة العربية الاسلامية بين المجتمع الاسلامي في مدينة مرو , وشملت كافة طبقات المجتمع المروزيّ بغض النظر عن الفروقات الطبقية أو الأعمار , وإنما تقوم لكافة شرائح المجتمع .

أن مجاس المواعظ والتذكير هي اشد الخطب الدينية تأثيراً بين المسلمين , التي كان يتصدى لتقديمها بشدة للوعظ أهل الفصاحة واللسان , علماء كانوا أو غير علماء من أهل الفضل والصلاح والرشاد , وأكثرها تعقد في شهر رمضان وأيام الجمع بعد تأدية فريضة الصلاة في المساجد , ويكون الاقبال عليها فاعلاً [1] .

وقيام هذه المجالس في مدينة مرو , كان على المستوى التطور الفكري والثقافي الذي وصل اليه اهل العلم في هذه المدينة , إذ دلت مواعظهم فصاحتهم وقدرتهم التأثير على الناس , إذ المتعارف عليه أن الخطب الدينية تكون مؤثرة وأقرب للقبول في قلوب الناس السامعين لها , وخاصة أنها كانت تعزز بالشواهد التاريخية والآيات القرآنية والأخبار لتكون أكثر تأثيراً في نفوس السامعين مع حسن بديهيتهم وكان منهم الفقهاء والمناظرين والمحدثين وآخرون مثل القضاة مارسوا الوعظ بجانب مهنة القضاء بين الناس , وآخرون يتسمون بالصلاح والفضيلة ,

---

[1] متز , آدم , الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري , ج2 , ص117 .

وقدمت لنا النصوص التاريخية اخباراً الى اختلاف قيام هذه المجالس , إذ اشارت الى قيامها في المدارس والقرى والنواحي [1] , وبعضها كانت تعقد في المساجد والجوامع [2] .

ثالثاً :- العلوم الدينية –

1- علوم القرآن :-

بدأ الاهتمام بعلوم القرآن في مدينة مرو منذ بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي , ثم تطور وانتشر تدريجياً في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر   الميلاديين , وغدت مدينة مرو مركزاً لدراسة العلوم القرآنية وتوابعها في المشرق الاسلامي , فقد أنبرى العلماء المراوزة للاهتمام بحفظ القرآن , وظهر منهم عدد من القراء خلال فترة البحث ممن أهتم بقراءة القرآن وعلومه . ومنها علم القراءات , وعلم التفسير .

فعلم القراءات الذي يبحث في كيفية الاداء الصحيح لآيات القرآن الكريم , وفائدته صون وحفظ كلام الله من التحريف والتغيير , وقد قدمت مدينة مرو طبقة ممن اهتم بعلوم القراءات الذين لهم رحلاتهم العلمية الى الامصار الاسلامية , أو ممن نزلها من الامصار الاسلامية القريبة والبعيدة , وكانوا من المحدثين أو الفقهاء أو المتصوفة , إلا انهم اشتهروا بالقراءة , فكان لهم دور في تنشيط الجانب الفكري في مدينة مرو , فبنوا الاساس المتين لتلاميذهم ممن درس عليهم هذه العلوم , التي ارتبطت بحياة الناس كان فهمه وقراءته ضرورياً لأي مسلم لحفظ القرآن الكريم من التحريف والتغيير [3] .

---

[1] السمعاني , ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562هـ/ 1166م) , الانساب , ط2 , تح , عبد الرحمن بن يحيى المعملي اليماني , مجلس دار المعارف العثمانية , الهند , مدينة حيد ر اباد , (1382هـ/ 1962م) , ج1 , ص 664.

[2] السمعاني , ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي , (ت 562هـ/ 1166م) , التحبير في المعجم الكبير , د.ط , مطبعة الارشاد , العراق , بغداد , 1975م , ج2 , ص 120 , 121.

[3] طاش كبرى زادة , مفتاح السعادة ,ج2 ,ص 6 .

ومن اشهر قراء مدينة مرو الذين عاصروا شرف الزمان طاهر المروزيّ , ابو نصر المروزيّ (ت 484هـ/ 1091م) , وكان أماماً فاضلاً في علوم القرآن , واصبح أبناءه وأحفاده من بعده من القراء أيضاً [1] .

وعلى هذا يمكن القول أن حركة علوم القرآن في مدينة مرو قد نشطت خلال فترة البحث , وكان لعلمائها رحلاتهم خارج مدينة مرو لدراسته على اصوله في مناطق عديدة في الامصار الاسلامية .

أما أبرز كتب التفاسير التي وردت خلال فترة البحث في مدينة مرو , هو تفسير الواحدي لأبي الحسن علي بن احمد , ورد خلال ترجمة أبي سعد السمعاني , لأبي الفضل محمد بن احمد بن محمد بن حفص الماهياني (ت 525هـ/ 1130م) , إذ قال عنه : " أمام فاضل , مبرز , عارف بالمذهب , ادرك العلماء ... , سمعت منه جميع التفسير للواحدي المعروف بالوسيط , توفي بقريته [2] .

2- علم الحديث :-

ظهرت البوادر الأولى للاهتمام بعلم الحديث في مدينة مرو خلال القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي , فقد سكن مدينة مرو عدد من الصحابة المحدثين , الذين شاركوا بعمليات الفتوح , ومنهم بريدة بن الحصيب , وابناءه عبدالله وسليمان , اللذان اصبح لهما عقب وعدد في مدينة مرو [3] , وتطورت في القرون الثاني والثالث والرابع الهجرية / الثامن والتاسع والعاشر الميلادية , ووصلت الى مرحلة النضج الفكري , إذ نجد طبقة كبيرة من علمائها لهم اهتمامات في علم الحديث , واستنباط أحكامه , فارتحلوا الى الامصار الاسلامية الاخرى لدراسة هذا العلم على أصوله , وحضور مجالس الاملاء في مدينة مرو أو الامصار الاسلامية الأخرى والتي كان لها دوراً في تسجيل السماعات أو القراءات أو الاجازات .

وكانت مجالس الاملاء الواسعة تعقد في المؤسسات التعليمة المختلفة والمساجد والخانقاهات والمكتبات وغيرها من مجالس العلم في مدينة مرو , التي كانت تعقد وتقام لحفظ الحديث وروايته على أصوله الصحيحة , وهذه الإجازات تعني الأذن والرخصة , تتضمن المادة العلمية الصادرة من أجلها , يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة , سيما أن عدداً كبيراً من علماء مرو حصلوا

---

[1] السمعاني , الانساب , ج5 , ص55 .
[2] السمعاني , الانساب , ج5 , ص 183 .
[3] ابن حزم , جمهرة انساب العرب , ج1 , ص 240 .

على إجازات من شيوخهم في الحديث , وتكون شفهية أو تحريرية [1] , وقد لعبت هذه الاجازات دوراً مهماً في حفظ سلسلة السند وربطها بالمصدر الاول الذي اخذ منه الحديث [2] .

ويمكن اعتبار الاحاديث النبوية الشريفة والاهتمام بها من قبل العلماء المراوزة اثرها في تطور الكتابة التاريخية , الى جانب كونها مادة تاريخية واسعة في القرن الهجري الاول خاصة [3] .

ولما كان الحديث قد أنتظم بمدونات المسانيد والسنن والصحاح والجوامع وغيرها من المصنفات , فقد اعتمد رواة الحديث المراوزة على تداول هذه المدونات وسماعها من شيوخها والحديث بها , وتفرد عدد منهم في رواياتها عن اصحاب الاسانيد العالية , حتى حصل كثير من العلماء المراوزة على لقب مسند ومحدث وحافظ , اكثر من غيرها من الالقاب التي تطلق على رواة الحديث [4] .

ومن أبرز من حدث في مدينة مرو في عصر شرف الزمان طاهر المروزيّ , محمد بن أبي عمران الصفار (ت 471هـ/ 1078م) , ويذكر الذهبي انه كان شيخاً صالحاً وسديد السيرة [5]

3. الفقه :-

بعد توقف الفتوح في المشرق الاسلامي , وقل التوجه نحو الحياة العسكرية فيها , اخذت الامصار الاسلامية فيها تتجه نحو الحياة المدنية , ترك هذا التحول أثره في النواحي الفكرية والاقتصادية والاجتماعية , فقد اخذت المبادئ والقيم الانسانية تتغلغل بالتدريج في المجتمع الاسلامي في مدينة مرو , وظهرت محاولات المشتغلين بالفقه والحديث في بث مفاهيم الاسلام , وفي وزن المفاهيم والاعراف بميزان اسلامي لإكسابها وجهة اسلامية , وقد انتجت هذه المحاولات ظهور علم

---

[1] فياض , عبد الله , الاجازات العلمية عند المسلمين , ط1 , مطبعة الارشاد , العراق , بغداد , 1967م , ص 21 , 24 .
[2] فياض , الاجازات العلمية عند المسلمين , ص 40 .
[3] معروف , بشار عواد , أثر الحديث في نشأة علم التاريخ عند المسلمين , مجلة اقلام , ج9 , السنة الثانية , سنة 1966م , ص 118 .
[4] لمعرفة معنى هذه الالقاب . ينظر : السيوطي , تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي , ط2 , تح , عبد الوهاب عبد اللطيف , دار الكتب الحديثة , 1966م , ج1 , ص 43 .
[5] شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م) , سيرة اعلام النبلاء , ط3 , مؤسسة الرسالة , لبنان , بيروت , 1995م , ص ص382 – 384 .

الفقه , وظهور مدارس فكرية ذات طابع اسلامي [1] , لا سيما أن المقصد الاساسي من علم الفقه تطبيق احكام الشريعة على افعال الناس وأقوالهم , فالفقه هو مرجع القاضي في قضائه والمفتي في فتواه , ومراجع لكل مكلف لمعرفة الحكم الشرعي فيما يصدر عنه من اقوال وأفعال وهذه الغاية منه [2] .

أن علم الفقه وأصوله من العلوم التي شغلت مكاناً رائداً بين العلوم في مدينة مرو خلال فترة البحث , ولاقت انتشاراً واسعاً بين أوساط العلماء المراوزة , ونال الحظوة الاولى لديهم لكونه ارتبط بتنظيم حياة المجتمع الانساني , وهذا الاهتمام برز منذ وقت مبكر في مدينة مرو , من خلال القرون السابقة لفترة البحث , إلا أنه بعد القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي , ازدادت الأهمية التي اكتنفت هذا العلم من قبل الفقهاء المراوزة وتلاميذهم , وانعكس ذلك من خلال تراجم لطبقة هائلة من هذه الشريحة المثقفة في مدينة مرو , أو ممن قدم هذه المدينة للتفقه بها من الامصار الاسلامية الأخرى , أو التدريس وعقد مجالس المناظرات التي كان لها صدى واسع في المحافل العلمية التي سادت مدينة مرو , وكانت مواضيعها تدور حول المسائل الفقهية المتنوعة .

ونجد في بعض الأحيان لجوء بعض العلماء المراوزة الى التخصص الدقيق بأحد فروع أصول الفقه , أنعكس ذلك من خلال تراجم هؤلاء العلماء , وهذا الأمر يعطي إشارة مهمة الى الاهتمام بعلم الفقه الذي أصبح اشهر العلوم التي انصرف اليها العلماء المراوزة بحثاً ودراسة وتأليفاً , وكان عددهم كبيراً في كل المذاهب [3] , وقد تناول شرف الزمان طاهر المروزيّ علم الفقه في الباب الرابع من كتابه طبائع الحيوان تحت عنوان (في ذكر العلماء) وقد استفاض بالحديث عن هذا العلم وفروعه واختصاصه , فيقول :- " ان صناعة الفقه من اجل صناعة الدين وذلك بسبب ما يلزم اهله من التفقه في فروع الدين فان الله تعالى قد اكمل اصوله في كتابه وعلى لسان رسوله "[4] .

ومن أهم الفقهاء الذين عاصروا شرف الزمان طاهر المروزيّ في مدينة مرو, النعمان بن أسماعيل بن أبي حرب المروزيّ (ت 510هـ / 1116م) ,

---

[1] عثمان , المدينة الاسلامية , ص 73 , 74 .
[2] النووي , محيي الدين يحيى بن شرف , (ت676هـ / 1278م) , روضة الطالبين , د.ط , تح , عادل احمد , علي محمد , مطبعة دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , ج1 , ص9 .
[3] حلمي , السلاجقة , ص 384 , 385 .
[4] للمزيد ينظر المروزي , طبائع الحيوان , ص ص 12 - 19.

وقد كتب لعبد الكريم السمعاني التميمي أجازة , وسمع منه أيضاً والد السمعاني وأعمامه [1]

4. علم التصوف :-

ظهر في مدينة مرو في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين , طبقة كبيرة ممن اشتهر بالزهد والتصوف , وأصبحت من العلامات البارزة في تلك الفترة , وقد ساعد على ظهوره منشآت التصوف مثل الربط والخانقاهات التي انتشرت بشكل كبير في نواحي مدينة مرو خلال فترة هذا البحث .

وكان من الاسباب الاخرى لازدياد هذا الاتجاه الصوفي في العصر السلجوقي ما اشار اليه احد الباحثين [2] , بأنه نتيجة ما ساد الحياة السياسية من اضطراب ومنازعات وشيوع التعصب وكثرة النزاعات بين الفرق المذهبية الاسلامية المختلفة , وغلبة الجفاف على المباحث العلمية وحصرها داخل نطاق الاحساسات المذهبية .

ويمكن القول أن هذا السبب قد يكون أحد الأسباب التي أدت الى زيادة هذه الطبقة في مدينة مرو , لا سيما ان المدينة مرت باضطرابات سياسية , من سيطرة الغزنويين , وصراعهم مع السلاجقة , وصراع السلاجقة مع قوى أخرى سلجوقية وغيرها , وهذه العوامل ساعدت بعض الناس الى الاتجاه نحو حياة العزلة والاعتكاف , وأصبح لهم الربط و الخانقاهات, ولها مريدوها والواقفون على خدمتها من المشايخ , وبرزت الخانقاهات كملجأ لأبناء السبيل والمنقطعين , ومركزاً فيما بعد لطالبي العلم , إذ كان اكثر المتصوفة ممن تميز في أحد العلوم الشرعية , وعقدوا مجالس الاملاء والدراسة على أبرز شيوخها , وأصبحوا بعد ذلك من الاعلام البارزة .

ومن أشهر متصوفة مدينة مرو , ابو بكر محمد بن الفضل بن أحمد (ت 488هـ/ 1095م) , وكان أحد الزهاد المتقشفين , كان منزوياً يأكل من كسب يده والناس في مدينة مرو تتبرك به , توفي في احدى قرى مدينة مرو [3] .

---

[1] السمعاني , التحبير , ج2 , ص 346 , 347.
[2] حسنين , سلاجقة ايران والعراق , ص 179.
[3] السمعاني , الأنساب , ج2 , ص 488 .

ومن الجدير بالذكر فقد تم الحديث سابقاً من هذا البحث بتفاصيل عن معنى الربط والخانقاهات وانتشارها في مدينة مرو , وخزائن الكتب فيها التي اصبحت مركزاً للتأليف والتدوين والقراءة والاطلاع , وهذه الطبقة من العلماء في مدينة مرو من الطبقات التي ساهمت بنشر العلم والمعرفة , ونلاحظ ان هذا العدد الكبير من العلماء لهم شيوخهم وتلاميذهم استمراراً بالاتجاه الديني والثقافي بآن واحد , ويمكن القول ان مدينة مرو انجبت علماء معروفين بمقامهم وفكرهم بين رجال التصوف في العالم الاسلامي , مارسوا بنشاط كبير نشر تعاليم الصوفية في مدينة مرو أو غيرها من المدن التي رحلوا اليها , وقد تناول شرف الزمان طاهر المروزيّ المتصوفة في كتابه (طبائع الحيوان) وخصص للحديث عنهم الباب الخامس من المقالة الاولى من الكتاب .

رابعاً :- العلوم الإنسانية -

التاريخ والجغرافية والأنساب :-

لاقت علوم التأريخ والجغرافية والانساب خلال فترة البحث , اهتماماً واسعاً في البحث والدراسة والتأليف من قبل مجموعة كبيرة من العلماء المراوزة , التي دلت على أهمية تلك العلوم [1] .

فالتاريخ من العلوم التي أحتلت حيزاً كبيراً في مدينة مرو خلال فترة البحث في مدونات العلماء والمؤرخين , فقد قدم لنا صاحب مفتاح السعادة [2]عدداً كبيراً من هذه المصنفات التاريخية في التأريخ العام والخاص بالمدن والشيوخ والطبقات وغيرها من المصادر التاريخية التي تعكس الى حد كبير مدى اهتمام الفكر العربي الاسلامي بمجال التاريخ .

لقد اهتم العلماء المراوزة بدراسة تأريخ وجغرافية المدن التي شغلت مكاناً مهماً في مجال التصنيف , فقد دون الصفدي [3] أبرز هذه الدراسات عن تواريخ المدن وبشكل مفصل .

ونجد في تاريخ المدن أكثر من مصنف للمدينة الواحدة , تتضمن تأريخها الجغرافي والسياسي والاجتماعي والثقافي ويؤرخ لعلمائها وشيوخها , فهي بذلك تلقى الضوء على الجوانب العلمية والفكرية والسياسية والاجتماعية للمدينة من

---

[1] عاشور , تاريخ الحضارة الاسلامية العربية , ص 63.
[2] طاش كبري زادة , ج2 , ص 204 .
[3] الوافي بالوفيات , ج1 , ص 47 , 48 .

جهة , ومن جهة اخرى تعكس هذه المصادر المستوى الحضاري للفكر الاسلامي الذي حرص على تسجيل تأريخ مدينة وأعلامها وخططها [1] .

إذ يلاحظ أن تواريخ وجغرافية المدن من المصادر المهمة التي أهتم بها المؤرخون الأوائل وعنوا بتدوينها إذ ألفها رجال من هذه المدينة أو تلك , وقد كانت بعض هذه المدن الاسلامية والامصار العربية , مواضع اهتمام بعض مؤرخيها الذين ولدوا ونشأوا بها أو سكنوها [2] .

أما علم الأنساب فهو علم القرابات [3] , وقد اشار السمعاني[4] وهو من هل مدينة مرو بصدد هذا الموضوع موضحاً أهمية النسب نحو قوله :- " ومعرفة الانساب من اعظم النعم التي أكرم الله تعالى بها عباده , لأن تشعب الأنساب على افتراق القبائل والطوائف أحد الأسباب الممهدة لحصول الائتلاف , وكذلك اختلاف الألسنة والصور وتباين الألوان والقطر" .

فقد كان النسب المرآة التي يظهر من خلالها ارتباط الأنسان بقبيلته ومدى نقاء دمه إذ يقول أبن حزم [5] :- " فأن صلة الرحم محبة في الأهل , مثراة في المال , منسأة في الأجل , مرضاة في القلوب " .

لقد برز في مدينة مرو أحد كبار علماء المسلمين ممن كتب في علم الانساب , وهو ابو سعد السمعاني (ت562هـ / 1353م) , مؤلف كتاب (الأنساب) وضعه في ثمانية مجلدات [6] , وهو من المصادر المهمة في علم الانساب تم جمعه في مدينة سمرقند سنة (550هـ/ 1155م) وجعل ترتيبه على الحرف والمذاهب والألقاب والصناعات والقبائل , وقد علل السمعاني [7] اسباب تأليف مصنفه نحوا قوله :- " والعرب قد اعتنت في ضبط أنسابهم إلا أن أكثر أهل الإسلام أختلط انسابهم بالأعاجم فتعذر ضبطه بالآباء , فأنتسب كل مجهول الى بلده وحرفته أو ... حتى غلب هذا النوع " .

---

(1) عاشور , تاريخ الحضارة الاسلامية العربية , ص63.

(2) الحديثي , قحطان عبد الستار , التواريخ المحلية لإقليم خراسان , د.ط , مطبعة دار الحكمة , العراق , البصرة , د.ت , ص 12 , 13 ..

(3) أبن منظور , لسان العرب , ج1 , ص 755 .

(4) الانساب , ج1 , ص 18 .

(5) جمهرة أنساب العرب , ص 3 .

(6) أبن خلكان , وفيات الأعيان , ج3 , ص 210 ؛ الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج20 , ص 463 .

(7) الأنساب , ج1 , ص 5 .

خامساً:- علوم الكلام والفلسفة والحكمة :-

ظهر في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين عدد من العلماء المراوزة ممن أهتم بالعلوم العقلية – علوم الكلام والفلسفة والحكمة - , إلا ان المصادر وكتب التراجم والمصنفات الأخرى لم تقدم لنا إلا عدد قليل منهم , ويظهر أن الاهتمام بهذه العلوم لم يوازي الاهتمام بالعلوم الدينية في مدينة مرو خلال فترة البحث , وخاصة علمي الحديث والفقه , إذ يعدان أوسع العلوم التي لاقت الاهتمام من قبل علمائها , وأعطت نصيباً وافراً من البحث والتأليف والتصنيف والتدريس فاقت كثيراً بذلك الاتجاه نحو العلوم العقلية .

والظاهر ان هناك عوامل تظافرت بأقصاء العلوم العقلية على حساب العلوم الدينية , أهمها التوجه خلال فترة البحث للاهتمام بالجانب السياسي والاجتماعي , أضافة الى تصارع القوى السياسية في المشرق الاسلامي , وما يجده علماء الدين من تأييد وما كانوا عليه من قوة [1] , وتعصب السلاطين والأمراء وذوي السلطة والجاه والمال والفقهاء والعلماء بشدة لعقائدهم ومذاهبهم , وهذا ما لوحظ اثناء اعداد هذا المبحث من الأهتمام بأنشاء المدارس الدينية والجوامع وخزائن الكتب في مدينة مرو , أضافة الى المقاومة الشديدة التي واجهت الفلسفة من علماء الحديث للمعتقدين بظواهر الأحكام من بين المسلمين , وكانوا يرون ان كل الوان البحث والاستدلال واللجوء الى العقل والتأويل لحل المعضلات الدينية شيئاً كبيراً يزيد على المألوف [2] , اضافة الى اختصار التعليم في مدارس الاقاليم الاسلامية ومدن خراسان ومنها مدينة مرو خلال فترة البحث على العلوم الشرعية , مما ساهم في التقليل من أهمية العلوم العقلية وأحجام الطلبة عن دراستها [3] .

---

[1] حلمي , السلاجقة , ص389 .
[2] حلمي , السلاجقة , ص 389 .
[3] حلمي , السلاجقة , ص 390 .

ولعبت المتصوفة دوراً مهماً في التقليل من أهمية الاهتمام في دراسة العلوم العقلية , إذ كانت تخالفها وتعتبرها تستر الحقيقة إذ ان رجال الدين والفقهاء والزهاد لا يطلقون علماً إلا على العلم الموروث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , ويعدون العلوم الأخرى عديمة الفائدة ويطلقون عليها (علوم الأوائل) , أو (العلوم المهجورة) [1] .

وأشار بهذه التسميات السمعاني [2] إذ يقول :- " ... مؤدبي اول ما قرأت عليه شيئاً من الأدب كان يعرف شيئاً عن الفلسفة والعلوم المهجورة ".

وعليه ومن خلال ما تقدم , وعلى الرغم من هذه النظرة غير المرغوب بها للعلوم العقلية , إلا أن هذا لا يعني أنها عدمت , أو أن أصحابها لم يجدوا الاهتمام والاحترام , بل نجد في مدينة مرو , بعض من درس الفلسفة , وصنف المؤلفات الخاصة وكان لهم تلاميذ , ولكن لا أشاره في المصادر الإسلامية لأماكن تواجدهم وقد يكون في اماكن خاصة أو في بيوت شيوخهم .

وإضافة الى كل ما تقدم كان هناك اهتمامات علمية اخرى في مدينة مرو مثل علم الفلك [3] , إذ وجد من بين علمائها البارعين ممن أهتم بالفلك كعلم , وبحركة الكواكب كظاهرة علمية , إذ ارتبطت العديد من الممارسات والواجبات الدينية الاسلامية بحسابات فلكية لا بد منها , مثل معرفة مواقيت الصلاة والقبلة وحساب الاشهر والسنين , وتحديد المواقع على ظهر الارض , ومعرفة الهلال وأحكام الشريعة الاسلامية وغيرها من الامور , فأقام العلماء المراوزة المراصد والتجارب العلمية .

---

[1] حلمي , السلاجقة , ص 390

[2] الأنساب , ج1 , ص 203 .

[3] حاجي خليفة , مصطفى بن عبد الله , الملقب (كاتب جلبي) , (ت1068هـ/ 1657م) , د.ط , تح , محمد شرف الدين يلتقايا , كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون , دار احياء التراث العربي , لبنان , بيروت , د.ت , ج1 , ص238.

ومن كبار علماء الفلك في مدينة مرو الامام شمس الدين ابي بكر محمد بن احمد بن ابي البشر المروزيّ المعروف بالخرقي , (ت 533هـ/ 1138م) ذاع صيته في علم الهيئة , وله مؤلفات كثيرة منها كتاب التبصر في علم الهيئة , وكتاب منتهى الادارات في تقسيم الافلاك[1].

ومن علماء الفلك ايضاً في مدينة مرو ابو بكر الدرغاني , محمد بن ابي سعيد بن محمد البزاز المقصري , من سكنة المقصرة مدينة مرو ونسب اليها (ت548هـ/ 1153م) , وذكر السمعاني أنه تفقه على جده , وكان له نظر في النجوم وكتب عنها [2] .

وفي علم الحساب او علم العدد , وهو علم يحتاج اليه في العلوم الفلكية ايضاً , وفي المساحة وفي الطب , وقيل يحتاج اليه في جميع العلوم وبالجملة لا يستغنى عنها [3] , وفي علم الميكانيكا (علم الحيل) , وقد استعمل العرب كلمة (الحيل) للدلالة على الآلات الميكانيكية , وسمي هذا العلم ايضاً بعلم (الآلات الروحانية) لارتياح النفس بغرائب هذه الآلات [4] , ونال علم الطب والصيدلة اهمية لدى العلماء المراوزة لارتباطه بحياة الانسان , وقد تركوا بعض الكتب العلمية في الطب والصيدلة خلال فترة البحث [5] .

ولم يقتصر ازدهار الحركة العلمية في مدينة مرو على الرجال بل وجد في كتب التاريخ والتراجم والطبقات وغيرها من المصادر للنساء دوراً بارزاً في نشر العلم والمعرفة والمساهمة في كافة العلوم , اذ سجلت المصادر التاريخية اسماء العديد من

---

[1] حاجي خليفة , كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون , ج1 , ص238.
[2] السمعاني , التحبير , ج2 , ص 262 , 263 .
[3] حاجي خليفة , كشف الظنون , ج1 , ص 238 .
[4] طاش كبري زادة , مفتاح السعادة , ج1 , ص379 .
[5] حلمي , السلاجقة , ص398 .

النساء في مدينة مرو برزن في النحو والشعر والفقه والحديث , وبعضهن تنقلن بين الامصار الاسلامية , شأن علماء فترة البحث للتدريس والتأليف [1] , ووصل بعضهن الى مراحل علمية متقدمة , وناقشن كبار الحفاظ والمحدثين , وكن مثالاً رائعاً للأمانة والعدالة [2] .

نفهم مما تقدم في هذا البحث أن العصر الذي عاش فيه المروزيّ في مدينة مرو – عاصمة السلاجقة – كان زاهراً في العلوم ويتميز بالتطور العقلي في النواحي كافة مما هيأ له مناخاً ثقافياً واسعاً وغنياً , وكانت مهنته الطب ومعاينة الحيوانات ومعالجتها في بلاط الدولة السلجوقية , تمكن من خلال عمله مجالسة السلاطين السلاجقة والأمراء والوزراء ومن دونهم من رجالات الدولة والشخصيات المرموقة في عصره ومن الانتفاع من رعاية السلاطين السلاجقة والوزير نظام الملك للعلم والعلماء , حيث اتاح له ذلك جمع مادة علمية واسعة , تمكن خلالها من تأليف كتابه طبائع الحيوان , الذي يبحث في جوهره طبائع الحيوان , ولكن المقالة الأولى منه يعالج فيها الكلام على الاجناس البشرية التي عاصرها ويتناول جغرافيتها , ومنها أبواب تتحدث عن بلاد الصين والترك والهند[3] , تتضمن روايات قيمة منتخبة سنتصدى لدراسة منهجيتها ومواردها لدى المروزيّ في الفصول القادمة .

هذه صورة مجملة للحياة العلمية للعصر الذي عاش فيه المؤرخ شرف الزمان طاهر المروزيّ , خلال مدة ملازمته للوزير نظام الملك والسلطان ألب أرسلان وأبنه السلطان ملكشاه وحتى وفاة الوزير والسلطان ملك شاه سنة (485هـ/ 1092م) , وخاصة هناك إشارات على استمراره في خدمة السلطان السلجوقي سنجر بن

---

(1) عاشور , تاريخ الحضارة الاسلامية العربية , ص276 .

(2) غنيمة , تاريخ الجامعات الاسلامية , ص302 .

(3) كراتشكوفسكي , اغناطيوس يوليا نوفتش , تأريخ الأدب الجغرافي , د.ط , تر . صلاح الدين عثمان , الأدارة الثقافية , الجامعة العربية , مصر , القاهرة , د.ت , القسم الأول , ص 263.

السلطان ملكشاه بعد ذلك [1] , ونرجو ان تكون هذه النبذة كافية في القاء الضوء على الظروف العلمية المحيطة بحياة المروزيّ في القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر) , وما كان لها من تأثير على تكوين شخصيته العلمية وتعزيز مكانته الفكرية ونهجه في التأليف الى مستوى العلم في عصره , ونرى أنه قد اسهم في الحياة الفكرية العربية الاسلامية من خلال مصنفه (طبائع الحيوان) في الحقبة التاريخية التي عاش فيها المؤلف , والذي عد فيها درجة العلماء تالية لدرجة الملوك [2] .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 110 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص12 .

==

المبحث الثالث

سيرته وحياتــــــــه

أولاً - أسمه ونسبه :-

لم يترجم المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ لنفسه , ولم يفصح عن منحدره القومي , ولم ينسب نفسه الى قبيلة من قبائل العرب ولا من غيرهم , والمرويات لم تحمل أية أخبار مفصلة عنه , لذا لا يعرف عن حياته سوى شذرات قليلة [1] , ولكن نسبته تدل على أنّه من مدينة مرو , واللاحقة (زي) في مروزيّ لاحقة فارسية تدل على النسبة , وترجح ولادته وانه قضى معظم حياته فيها .

لقب بهذا اللقب الكثير من العلماء والأدباء من أهل مدينة مرو , الساكنين فيها أو المنتشرين في الأمصار الإسلامية الأخرى .

يصف ياقوت الحموي[2] مدينة مرو قائلاً :- " خرج منها خلق من أهل الفضل ينسبون مرو روزيّ ومروزيّ " , وسكنت طائفة من أهل مدينة مرو في مدينتي البصرة وسامراء , وكانوا من أكابر العلماء والأعيان فيهما .

ويقول السمعاني[3] الذي عاصر المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ وتوفي بعده :- "والمراوزة فيهم كثرة فاستغنينا عن ذكرهم لشهرتهم" , وسكن المراوزة في عاصمة الخلافة العباسية بغداد إذ يضيف السمعاني [4] أيضاً :- "وفي بغداد درب خاص يقال له درب المروزيّ أو محلة المراوزة "

---

[1] كراتشكوفسكي , تاريخ الأدب الجغرافي , القسم الاول , ص263 ؛ حمدان , عبد الحميد , مقدمة كتاب طبائع الحيوان , المقالة الأولى في أحوال الإنسان وحضارته , للطبيب شرف الزمان طاهر المروزي , د .ط , عالم الكتب , مصر, القاهرة , د . ت , ص7 .

[2] معجم البلدان , مج4 , ص253 .

[3] كتاب الأنساب , ج11 , ص207 .

[4] كتاب الأنساب , ج11 , ص207 .

وعليه نلاحظ أن شهرة اللقب والانتساب إلى مدينة مرو , كان سبباً لقلة ما ورد الينا من معلومات عن نسب المؤرخ و الجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ وبذلك يبقى أصله ونسبه مجهولين , ولعله كان فارسي الأصل أو أنه مولى , فلو كان أصله من أرومة عربية لأثبت نسبه وتفاخر به صراحة .

ولكن هذه ليست قاطعة في نسبته للأصل الفارسي ولا نستطيع أن نقدم الدليل المنطقي المدروس , فهو عارف بتاريخ العرب وحريص على العروبة وشديد الاهتمام بها , ونجد ذلك كله من خلال كتاباته في باب العرب من المقالة الاولى من كتابه طبائع الحيوان كتبه باللغة العربية , لذا يبقى نسبه محل استفهام , وعرضة للتكهنات التي يؤيدها دليل شاف , ولا ينفيها برهان قاطع .

ثانياً - نشأة المروزيّ :-

إنَّ الحديث عن سيرة المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ ونشأته , يصعب على الباحث تناوله حتى بجزء من التفصيل المعتمد على البراهين والأدلة , فهناك جوانب كثيرة في حياة المروزيّ غامضة لم يكشف عنها , ولم يصل إلينا منها أي شيء , فالجانب الاجتماعي من حياة المؤلف وكل ما يتعلق بأسرته وأجداده , والبيئة الخاصة التي عاش فيها وترعرع لم يصل الينا عنها شيء وخاصة والديه , وربما يعود ذلك إلى أنه لم يشتهر أحد من آبائه وأجداده , أو أن يتميز أحد منهم بأمر يمكن من خلاله أن تتوجه الأنظار إليهم , ويستدعي أن يدون في سجل التاريخ حتى جاء المروزيّ , فاشتهرت أسرته به وتميزت لما صار إليه من مكانة وشأن لدى البلاط السلجوقي , أما بقية تفاصيل حياة المروزيّ فإننا لا يمكن إلا أن نقول إنّه كان ميسور الحال [1] , قضى معظم حياته سعياً وراء العلم سواء أكان طالباً أم متعلماً في أول حياته , .

ولم تذكر المصادر العربية الإسلامية القديمة المتداولة تاريخاً ثابتاً عن مولده وتاريخ وفاته , على أنه يمكن أن نستدل على ذلك من خلال تحديد نسبي عن طريق

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص377 .

دراسة الاحداث التي دونها وأرّخ لها في عموم مقالات وأبواب كتابه طبائع الحيوان , وفيها أخبار حوادث شهدها المؤلف بنفسه مع بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

فقد روى مبالغة أنه شاهد رجلاً من العرب قادماً إلى مدينة مرو سنة (448هـ/1056م) , وقد سرقت ملابسه إثناء سباحته في أحد الأنهار , استطاع هذا الرجل أن يعدو خلف الفرسان الترك الذين سرقوا ملابسه وأن يسترجعها وهو عريان في نصف ساعة رغم فراهة دوابهما [1] .

وأضاف أنه شاهد رجلاً رُجم وصُلبَ , لادعائه النبوة سنة (472هـ/1079م) [2] , وأنه في سنة (474هـ/1081م) أمره الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي معاينة حيوان الزرافة الذي حمل للسلطان ملكشاه في مدينة أصفهان [3] , وقال أيضاً إنه عالج أحد فيلة السلطان ملكشاه سنة (478هـ/1085م) [4] , وشاهد فيلاً آخر للسلطان نفسه سنة (483هـ/1090م) [5] , كما اشار أيضاً الى أن بعض ضعاف الناس أكلوا حيوان الفار بسبب القحط الشديد والمجاعة عام (492هـ/1098م) [6] , وأضاف أنه حمل بعضهم الى السلطان ملكشاه أحد قرون النمل الفرسان من سفالة بلاد الهند سنة (514هـ/ 1220م) [7] .

ولو قدرنا انه أتمّ العاشرة من عمره عندما سرقت ملابس الرجل القادم من بلاد العرب إلى مدينة مرو سنة (448هـ/1056م) , وأن ذلك أول ظهور له في الحياة العامة , فيكون قد أتم الرابعة والخمسين من العمر عام القحط الشديد

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص68.
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص14 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 293 .
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 150 .
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص148 .
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 220 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 237 .

والمجاعة (492هـ/1098م) , والسادسة والسبعين من العمر سنة حمل بعضهم قرون النمل الفرسان الى السلطان ملكشاه (514هـ/ 1220م) .

إضافة إلى أن المستشرق الليتواني إغناطيوس كراتشكوفسكي[1] يشير إلى أن آخر تاريخ ذكر فيه المروزيّ كان سنة (514هـ/1220م) , ويدّعي باحث محدث أنّ المروزيّ كان حياً سنة (518هـ/ 1124م) [2] , وبذلك نستدل ان شرف الزمان طاهر المروزيّ - ربما تخميناً - قد ادرك العقد الثامن من عمره , أما مكان وفاته فغير معروف لحد الآن .

إنّ تدوين روايته عن ما حمل للسلطان ملكشاه سنة (514هـ/1220م) من قرون فرسان النمل الكبار ربما تكون وهماً في السماع أو تصحيفاً من قبل الناسخ وهو يكتب عن إملاء من المروزيّ أو غيره ويبدو أن بعض النساخ كان جاهلاً بما يكتب , حيث توفي السلطان ملكشاه سنة (485هـ/1092م) في زيارته الثالثة والأخيرة إلى مدينة بغداد وقد مضى من عمره ثمان وثلاثون سنة [3] , إلا أنّ المروزيّ استدرك ذلك في ملحق المقالة الاولى من كتابه طبائع الحيوان (في أبواب الصين والترك والهند) [4] التي نشرها المستشرق منيورسكي [5] , حيث ذكر أنّ قرون فرسان النمل الكبار قد حملت إلى السلطان الأعظم في شهور سنة (514هـ / 1120م) , ولم يذكر اسم السلطان ملكشاه صراحة , لكن هذا الملحق لم نجده في نسخة جامعة كاليفورنيا التي سنتحدث عنها في الفصل الثالث , وعلى العموم فهذا

---

[1] تاريخ الأدب العربي , القسم الاول , ص 263.

[2] حمدان , طبائع الحيوان , المقالة الاولى في احوال الانسان وحضارته , ص 7 .

[3] ابن خلكان , وفيات الأعيان , ج3 , ص289 ؛ ابن الجوزي , المنتظم في تاريخ الملوك والأمم , ج9 , ص62 ؛ السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص425 .

[4] تحقيق , مينورسكي , د.م , المملكة المتحدة , لندن , 1942م , ص 51 .

[5] مستشرق روسي (1877- 1966م) , متخصص في تاريخ ايران وآسيا الوسطى الإسلامية , له دراسات متفرقة في مجلات علمية متعددة , وحقق عدة مخطوطات منها كتاب (في أبواب الصين والترك والهند) , لشرف الزمان طاهر المروزي , وكتاب حدود العالم لمؤلف مجهول وغيرها , عبد الرحمن بدوي , موسوعة المستشرقين , ط3 , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , 1993 , ص 581 ..

===

النص دليل موثق على أن شرف الزمان طاهر المروزيّ , كان حياً سنة (514هـ / 1120م) .

والظاهر أن المقصود بالسلطان الأعظم هو معز الدين سنجر ابن السلطان ملكشاه الذي تولّى السلطنة السلجوقية سنة (511هـ/1117 م) , وبقي سلطاناً حتى وفاته سنة (552هـ / 1157م)[1] , ولا سيما أن المروزيّ يضيف في كتابه [2] :- " وكان عندنا مثل ذلك فإنه كان لملكنا (خلد الله ملكه) أسد عظيم الجثة كأعظم ما يكون من الأسود " , وكان قبل ذلك بقليل يقول عند ذكره السلطان ملكشاه عبارة (رحمه الله) , وخلاصة القول أن المقصود في عبارة (خلد الله ملكه) هو السلطان معز الدين سنجر ابن السلطان ملكشاه .

ثالثاً - ديانته ومذهبه :-

من المؤكد أن شرف الزمان طاهر المروزيّ كان مسلماً محباً لآل بيت النبوة (عليهم السلام) , فقد بدأ مقدمة كتابه طبائع الحيوان بعبارة (صلى الله عليه وآله وعترته)[3] .

وعند وصفه لمدينة الملتان[4] , يذكر أن حكام هذه المدينة يقرأون الخطبة لإمام المسلمين , وأراد بذلك الخليفة الفاطمي في مصر[5] , حيث بقايا الطائفة الإسماعيلية [6] في مدينة الملتان , ويصف كذلك الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) , بعبارة :- (علي أمير المؤمنين صلوات الله عليه) [7] , وأضاف أيضاً[8] :- " روى أبو الدنيا المعمر وكان خادماً لأمير المؤمنين علي بن

---

[1] الصفدي , الوافي بالوفيات , ج5 , ص156 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 210 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 6 .
[4] مدينة ضمن نواحي الهند , قرب مدينة غزنة , أهلها مسلمون منذ القديم . ينظر: ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج4 , ص313 .
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص84 .
[6] الكرديزي , زين الأخبار , ص79 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 8 .
[8] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص133 .

أبي طالب (عليه السلام) , وانه دعى له بالبركة في العمر , فعاش ثلاثمئة سنة , وروى عنه الحديث وإسناده عند المحدثين مشهور" .

وعند وصفه للأسد قال[1] :- " وللأسد مهابة في صدر الناس وعظم شأن , ولذلك سمي عليّ (عليه السلام) أسد الله " .

كما أن زيارته الى البلاد المصرية كان في عصر الدولة الفاطمية , وكتب عن بعض مشاهداته فيها ضمن عموم كتابه طبائع الحيوان[2] , إلا انه لم يكن متزمتاً بهذا الاتجاه , بل كان معتدلاً , وراغباً بالدولة السلجوقية السنية , حيث بسط القول في أخبار دولتهم والدعاء لهم عند ذكر سلاطينهم [3] .

رابعاً - حياته العلمية :-

عمل شرف الزمان طاهر المروزيّ في بلاط السلطان ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان (465 - 485هـ / 1072 - 1092م) في مدينة مرو [4] , وملازماً لوزيره نظام الدين الطوسي , لما عهد لهذا الوزير من رعايته للعلم والعلماء , وكان يجري لهم الرواتب العالية [5] , والأغلب أنه بقي في خدمة البلاط السلجوقي بعد وفاة السلطان ملكشاه [6] .

ولكن من المؤسف أننا لم نعثر على اشارات لهذا الكاتب في عموم مقالات كتابه , وكتب التراجم العربية الإسلامية والببليوغرافيات الشائعة قد سكتت عن ذكر العالم شرف الزمان طاهر المروزيّ , فلم يعثر على إشارة عليه في كتب السير الشائعة , مثل كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لمؤلفه ابن أبي أصيبعة [7] , أو كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) , لمؤلفه حاجي

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص208 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص149 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 110 .
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 148 , 293 .
[5] ابن الجوزي , المنتظم في تاريخ الملوك والأمم , ج9 , ص68 .
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص210 .
[7] موفق الدين , أبو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجى , المعروف بابن أبي اصيبعة , (ت668هـ/1269م) , ط1 , تحـ , الدكتور عامر النجار , دار المعارف , مصر , القاهرة , 1966م .

==

خليفة , أو تحت اسم مدينة مرو – المدينة التي عاش فيها المروزيّ - أو في كتب الجغرافية والبلدانية , فلا أثر له في (معجم البلدان) , لياقوت الحموي الذي عرف عنه التقصي لحركات القبائل والبلدان والعلماء في اواسط قارة آسيا , أو كتاب (آثار البلاد وأخبار العباد) , للقزويني , أو كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) , للحميري , ولم يورده الدميري[1] في كتابه (حياة الحيوان الكبرى) , ضمن أسماء المؤلفين الثمانمائة الذين اقتبس منهم , والأهم اننا لم نعثر عليه حتى في كتاب الأنساب لمواطنه أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني التميمي المكون من ثمانية مجلدات رغم غزارة الترجمات فيه , وقد جمعه في مدينة سمرقند سنة (550هـ / 1155م) – اي بعد وفات المروزيّ بأثنين وثلاثون سنة تقريباً - وعاصر المروزيّ وكان أصغر منه [2] .

خامساً - مؤلفاته :-

لم يخلف شرف الزمان طاهر المروزيّ كتباً , ومصنفه الوحيد هو كتابه (طبائع الحيوان) , وعلى الرغم من أهمية الكتاب وما احتواه من معلومات قيمة في علوم التاريخ والجغرافية والحيوان والعلوم الاخرى , إلا انه لم يطبع حتى الآن طبعة متكاملة محققة تحقيقاً علمياً جيداً , وكل ما طبع منه أبواب متفرقة , والنسخة الوحيدة الواضحة من كتاب طبائع الحيوان هي نسخة مدينة لوس انجلوس , جامعة كاليفورنيا , الولايات المتحدة الأمريكية برقم 52 , وتقع في مئتين وخمس وستين ورقة , كل ورقة صفحتان , ومسطرها واحد وعشرين سطراً , والمخطوطة حجرية بخط النسخ العربي الجميل[3] , والذي سندرس منهجيته وموارده في ثلاثة أبواب - الصين والترك والهند - وردت في المقالة الأولى من الكتاب .

من المحتمل أن للمروزيّ كتاباً آخر قد ألفه قبل كتابه (طبائع الحيوان) , حيث أشار الى معلومات سابقة قد ذكرها في (أخبار التبع الكبير) [4] , الذي يعتقد بأنه (قهر الملك في الشرق والغرب) , وذلك لما عرف عن المروزيّ بأنه أهتم بتاريخ اواسط قارة آسيا , والمعروف في الميثولوجيا العربية بأن تبع الاكبر قد توغل في قارة آسيا , وأنتهى به المطاف الى بلاد الصين [5] , وربما هذه اخبار

---

[1] كمال الدين محمد بن موسى (ت808هـ / 1406 م) , د.ط , تح , اسعد الفارس , مقدمة المحقق , دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر , سوريا , دمشق , 1992م .

[2] السمعاني , الأنساب , ج1 , ص 18 .

[3] ينظر: حمدان , طبائع الحيوان , المقالة الاولى , ص7 .

[4] ينظر: حمدان , طبائع الحيوان , المقالة الاولى , ص7 .

[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 210 ؛ الحصناوي , طبائع الحيوان , المقالة الاولى , ص 38 .

التبع الكبير جزء من كتاب (طبائع الحيوان) وخاصة في باب الصين , حين تناول بلاد التبت وفقدت منه .

سادساً - رحلاته العلمية:-

إن حب الاستطلاع عند المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ , جعله يرتحل إلى العديد من الأماكن داخل ديار الإسلام , فالرحلة في طلب العلم من لوازم طريق العلماء ومنهجهم في التحصيل العلمي , فرحل باحثاً عن المعرفة في علوم التاريخ والجغرافية والحيوان وغيرها من العلوم وردت في أبواب كتابه و مقالاته , وإضافة مصادر جديدة لمعلوماته , فقام برحلات صغيرة الى مدن أصفهان مبتدأ الدولة السلجوقية [1] , وغزنة عاصمة الغزنويين , التي تقع جنوب غرب مدينة كابل , وكانت أحد المراكز العلمية في عصر المروزيّ [2] وسجستان[3] , والصغانيان [4] وبخارى [5], ونواحي مدينة الطالقان[6] , ولكن هذه المدن قريبة من مدينة مرو عاصمة السلاجقة , و المصادر العربية الاسلامية لم تقدم الينا معلومات واضحة ووافية عن هذه الرحلات , ولم تذكر تاريخاً لها , والمروزيّ لم يزودنا بمعلومات كافية وواضحة عن رحلاته , حيث كان يتحدث عنها عرضاً في مناسبات متباينة في عموم كتابه مقتضباً أحياناً , وبعبارات يشوبها الغموض احياناً اخرى , ولم يشر إلى الوقت الذي بدأ رحلاته فيها .

زار المروزيّ مدينة بغداد مرافقاً لوزير دولة السلاجقة نظام الملك الطوسي وألتقى علماءها كالكاتبة البغدادية وهي مجهولة لنا [7], ووصف عظام مبانيها كالأبواب الحديدية على نهر المعلى , ودار التاج – دار الخلافة – وباب النوبي وباب العامة الذي حمل من مدينة عمورية على عجلات بعد غزو المدينة في زمن

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 293 .

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص272

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص137 . ناحية كبيرة وولاية واسعة , وأرضها سبخة , والرياح لا تسكن فيها ابدأ , وهي جنوب مدينة هرات , وفيها نخل كثير . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص23 .

[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 214 . ولاية عظيمة ما وراء النهر متصلة بالأعمال بولاية ترمذ , كثيرة الخيرات , شديدة العمارة , وفيها الصيد والمراعي . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص190-191 .

[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 137.

[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص445 . أكبر مدينة في طخارستان , وهي مدينة بمستوى الأرض , وفيها نهر كبير وبساتين ومقدارها نحو ثلث بلخ . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص239 .

[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص276 .

===

الخليفة المعتصم العباسي [1] , لكن لا يعرف عدد المرات التي زار فيها مدينة بغداد ومدة اقامته فيها .

ومع أن وسائل السفر والارتحال في عصر المروزيّ كانت بدائية , ألّا أن المروزيّ كان صاحب همة عالية , فهو يعلم فضل الرحلة في طلب العلم فقد وصل في ترحاله الى البلاد المصرية على الرغم من تباعد الطريق [2] , ووصف ما شاهده فيها استناداً إلى ملاحظاته الشخصية , ودوَّن ذلك ضمن كتابه طبائع الحيوان , ساعده في ذلك سهولة التنقل والارتحال بين إنحاء العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي , على الرغم من انقسام الدولة العباسية و تفككها آنذاك إلى دويلات مستقلة , غير أن هذا الانقسام صاحبه ازدهار ثقافي وحضاري كبير , إذ يقول نقولا زيادة [3] :- " إلا أن وحدة الدين ووحدة اللغة , وهاتان ربطتا الحجاج وطلاب العلم ورسل السلاطين وحملة البضائع وزعماء الصنائع فاحتفظوا بالصلة , بل لعل الرحلة كانت أقوى في عهد التفريق السياسي منها قبلاً , لاعتياد العالم الإسلامي درجة من المعيشة , ونوعاً من الحياة ولوناً من التفكير , تُحتِّم على أفراده الاتصال والاتجار والتبادل الفكري والأدبي " .

فضلاً عن أن الحدود بينها بقيت مفتوحة تؤلف مملكة واحدة سميت مملكة الإسلام , أو دار الإسلام , ويستطيع المسلم الارتحال والتنقل فيها بسهولة [4] , وقد توسعت نظرات الناس وتشبعت بروح الأمة الإسلامية , وتخلص معظم العلماء المسلمين من أنانية التعصب للعرق والأصول والقبيلة , واصبح هناك دار حرب ودار سلم , وصار العلماء ينتمون الى بلدانهم أو بلداتهم التي ظهروا فيها , وقد أدى هذا الأمر الى سفر العلماء من بلد الى آخر في بلاد المسلمين يشجعهم على ذلك ما يجدوه من تسهيلات وخدمات [5] , فلذلك تمكن المروزيّ من الوصول الى البلاد المصرية وكانت في ذلك الوقت تحت سيطرة الخلافة الفاطمية .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص309 .

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 287 .

[3] الجغرافية والرحلات عند العرب , د . ط , دار الكتاب اللبناني , لبنان , بيروت , 1987م , ص 15 .

[4] متز , آدم , الحضارة الإسلامية , د.ط , تر , محمد عبد الهادي أبو ريده , مكتبة الخانجي , مصر , القاهرة , د.ت , ص21 , 22.

[5] الخربوطلي , علي حسني , المسعودي (سلسلة نوابغ الفكر العربي) , ط2 , دار المعارف , مصر , القاهرة , د. ت , ص 17 .

ولا شك في أنَّ رحلته الى مصر أثَّرت في تكوينه الفكري والعلمي , إذ أنّ مصر كانت إحدى المراكز العلمية في البلاد العربية الاسلامية , ربما قابل خلالها الكثير من نوابغ العلماء والأدباء والمؤرخين المعاصرين له وبعض الأسر العلمية فيها وزادت صلاته بهم , وتمكن برحلته هذه عن الوقوف عن كثب على نماذج أخرى من المجتمعات العربية الاسلامية , وعاش حياته اليومية فيها , واختلط بأفرادها على مختلف مستوياتهم العلمية والمذهبية , فأخذ من كل علم نصيب , وصار رجلاً موسوعياً شارك ونظر في كل فرع من فروع العلم والمعرفة ويظهر ذلك جلياً من خلال ما تضمنه كتابه (طبائع الحيوان) في مختلف العلوم .

سابعاً :- موقفه من السلطنة السلجوقية .

أمّا موقف شرف الزمان طاهر المروزيّ من أخبار السلطة في عصره , فقد عاش في مدينة مرو – عاصمة السلاطين السلاجقة – وكان مقرباً منهم ومن وزيرهم نظام الملك الطوسي كما مر بنا سابقاً , ومن خلال ذلك يمكن عَدَّهُ مطلعاً على الأحوال السياسية في عصره .

ويلاحظ أنه كان يترحم على وزيرهم ويترحم عليهم ويدعوا لهم كلما ذكرهم - الأحياء والأموات منهم - نحو قوله [1] " وكان عند نظام الملك (رحمه الله) قربة شديدة وصحبة أكيدة " , و قوله [2] " وقد رأينا في مرو سنة ثلثة وثمانين واربعمائة فيلا للسلطان ملكشاه (رحمه الله) " , وقوله أيضاً [3] : " فان لملكنا خلد الله ملكه " .

لم يكن مدحاً بحيث يزور الأحداث لصالحهم , وإنما كان ينقل أخبارهم بالمواقف التي يمر بها بتوجيههم أو بحضورهم , وكان المتعارف عليه أن الكثير من المؤرخين العرب المسلمين في عصر المروزيّ وقبله , يمدحون الخلفاء والسلاطين والأمراء , إمّا اتقاء لشرهم أو اعتزازاً بهم , والذي يظهر أن المروزيّ

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 129 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 148 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 210 .

كان صادقاً في محبته للسلاطين السلاجقة في عصره ومحسوباً عليهم , وهذا الأخير هو الذي نرجحه .

المبحث الاول

الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين حتى عصر المروزي

جاء الرسول الكريم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآلة وسلم) , يدعو الناس الى الإسلام , وأنزل الله (سبحانه وتعالى) , آيات القرآن تباعاً على نبيه , وأكّدت بعض هذه الآيات على أمثلة من التاريخ الغابر , وقصص الأولين وأخبارهم , وتدعو هذه الآيات إلى دراسة أحوالهم والعبرة منهم [1] .

تأثرت كتابة التاريخ في صدر الإسلام بحياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) , لأن المؤرخين اتخذوا من الحديث ولاسيما ما يتصل منه بالغزوات مادة لما دونوه , ومن ثم أخذت تظهر كتب السير والمغازي[2] .

سُميت الدراسات الأولى لحياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) , باسم المغازي , وتعني لغوياً غزوات الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) وحروبه [3] , ولكنها في الحقيقة عصر الرسالة بكامله [4] .

---

[1] ماجد , عبد المنعم , التاريخ السياسي للدولة العربية , ط7 , مكتبة الانجلو المصرية , مصر , القاهرة , 1982 , ج1 , ص8 .

[2] الدوري , نشأت علم التاريخ , ص24 ؛ حسن , تاريخ الإسلام السياسي , ج3 , ص286 .

[3] المغازي : جمع مغزى ومغزاة , وكلاهما معناه موضع الغزو أو الغزو نفسه , واطلق على الدراسات التاريخية الاولى لحياة الرسول باسم المغازي , وتعني المغازي لغوياً غزوات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحروبه , ولكنها في الحقيقة تناولت الحديث عن مدة الرسالة بكاملها من هجرة وسيرة وغزوات . ينظر: هوروفيتس , يوسف , المغازي الاولى ومؤلفوها , د.ط , تر , حسين نصار , مطبعة البابي الحلبي , مصر , القاهرة , 1949م , ص2 ؛ امين , أحمد , ضحى الاسلام , د.ط , د . م , لبنان , بيروت , د . ت , ج2 , ص 319 .

[4] الدوري , نشأة علم التاريخ عند العرب , ص 24 .

أخذ المؤرخون العرب المسلمون الأوائل , في تدوين مغازي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) , وظهرت النواة الأولى لتدوين السيرة والمغازي , ومن اقدم المصنفات التي وصلت الينا عن السيرة النبوية , كتاب (المبتدأ والمبعث والمغازي) [1] , لإبن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار (ت151هـ/768م) , إلا أن ابن هشام أبا محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت213هـ / 828م) , ألفّ كتاب (سيرة ابن هشام) [2] , ويعرف أيضاً بسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) , استمد معلوماته ونقّحها من كتاب شيخه ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي) , إلا أن ابن هشام فاقه بذلك , وأمدنا بصورة واسعة محيطة عن حياة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) , وما قام به من تبليغ الرسالة ونشر الدين الاسلامي , إلّا أنه يبدوا غيّر وحذف لتحقيق ميول وأهواء وإخفاء حقائق وله كتاب آخر بعنوان (تاريخ الخلفاء) [3] , وهو مفقود وردت عنه إشارات فقط , والأغلب أنه تناول فيه الخلفاء الراشدين وحكام بني أمية , وربما دوّن أيضاً سيرة حياة بعض حكام بني العباس لكونه توفي في العصر العباسي سنة (213هـ / 828م) .

كذلك كتاب (الطبقات الكبرى) , المعروف بطبقات ابن سعد لمصنّفه محمد بن سعد بن منيع الواقدي (ت 230هـ/ 844م) , وهو مصدر يتضمّن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) , وأخبار الصحابة والتابعين ومساكنهم في الأمصار الإسلامية خارج الجزيرة العربية , التي حُررت أو فُتحت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

---

[1] د . ط , تح , محمد حميد الله , معهد الدراسات والابحاث والتعريب , المغرب , الرباط , (1396هـ / 1976م) .

[2] د . ط , تح , مصطفى السقا وآخرون , مطبعة البابي الحلبي , مصر, القاهرة , (1375هـ /1955م) ؛ الدوري , نشأت علم التاريخ عند العرب , ص 35 .

[3] ياقوت الحموي , ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/ 1228م) , معجم الأدباء , د.ط , دار احياء التراث , لبنان , بيروت , د. ت , ج 18, ص8 ؛ الدوري , نشأة علم التاريخ عند العرب , ص35 .

اتسعت الدولة العربية الإسلامية , بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) , وكان الإسلام أعظم حادث نجم على الاطلاق في تاريخ العرب , أخرجهم من بلادهم الجزيرة العربية , الى بلاد اخرى واسعة فسيحة جداً , وفي قارات العالم القديم - آسيا وإفريقيا واوروبا - وأخذت تظهر المراحل المبكرة للتدوين التاريخي[1] , ومرحلة ظهور الاخباريين ونشوء مدارسهم في كل من الكوفة والبصرة ومدرسة الحديث في المدينة المنورة - خلال القرنين الاولين للهجرة النبوية [2] .

لقد ساهمت بعض العوامل التي شجعت العرب المسلمين على الاهتمام كثيراً بتاريخ الأنساب والعناية به , منها مسائل الميراث والرحم , وكان للنسب أهمية كبيرة في توزيع الخمس والصدقة والزكاة , فعلم الأنساب قد بنيت عليه أمور وأحكام شرعية كالتوارث والوصية والوقف والنفقات والعقيقة والاضاحي والقصاص والشهادة والدية وغيرها [3] , وربما كان وراء العناية بالأنساب وتدوينها دوافع عملية لها صلة بتدوين الديوان وتوزيع العطاء .

ويرى الدكتور صالح أحمد العلي[4] أن العناية بالأنساب ازدادت بعد الفتوحات العربية الاسلامية , لأنه يوضح علاقة الناس بالعرب الفاتحين الحكام , ويوضح العلاقة بين النبي (صلى الله عليه وآلة وسلم) , وأصحابه الذين أصبح الانتساب اليهم فخراً , وبالحكام والولاة الذين قد يؤدي الاقتراب منهم الى بعض المصالح , ويضيف الدكتور العلي أن الأهمية الكبرى التي كانت للأنساب في

---

[1] مصطفى , شاكر , التاريخ العربي والمؤرخون , ج1 , ص 74.
[2] للوقوف بالتفصيل على هذه المدارس , وأشهر رجالها , ينظر :- الدوري , عبد العزيز , بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب , ص 61 – 102 , 118 -130 ؛ وينظر :- مصطفى , شاكر , التاريخ العربي والمؤرخون , ص149 – 201 .
[3] الحسيني , عبد الرزاق كمونة , منية الراغبين في طبقات النسابين , د.ط , مطبعة النعمان , العراق , النجف , 1973م , ص6 .
[4] محاضرات في تاريخ العرب , د.ط , دار الكتب للطباعة والنشر , جامعة الموصل , العراق , الموصل , 1981م , ج1 , ص130.

صدر الإسلام جعلتها تمتد الى غير العرب , فألّفت لهم على مر الأيام شجرات من النسب اوصلتهم بأجدادهم العرب القدماء جداً .

وأدّى كذلك التنافس القبلي والسياسي بين القبائل العربية نفسها الى ظهور طبقات جديدة في المجتمع العربي الاسلامي , وتوزع القبائل العربية في الامصار التي بنيت خارج الجزيرة العربية في العراق وبلاد الشام ومصر وخراسان والمغرب والاندلس , وتنازعها للمفاخرة والمناصب والعطاء الى ضرورة الاهتمام بعلم الأنساب [1] .

ولعل مرحلة اواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي , كانت المنعطف [2] في تكوين علم التاريخ , وبلوغه فترة الاستقلال بمادته واسمه ومناهجه ورجاله ورسمت معالمه التي لم تتغير فيما بعد الا في شكلها الخارجي وهذه المعالم ترسخت على ايدي مؤرخين كبار [3] , الذين نالوا شهرة واسعة في الجغرافية والتاريخ معاً , والذين ضربوا بسهم كبير في وفرة الانتاج الفكري والتأليف , واخذوا يوفقون بين المواد المستمدة من كتب السيرة والكتب الاخبارية المتنوعة , وعناصر التاريخ الاجنبي , لتنسيقها وادماجها في رواية تاريخية واحدة متصلة الزمن , وما زالوا يخضعونها لفكرة تاريخية متزايدة النمو والوضوح في ابعاد الزمن والمكان , وتنوع الامم حتى استكمل علم التاريخ عناصره في المنهج والمادة , ووضع هؤلاء أسس علم التاريخ عند العرب المسلمين , وصار علماً مستقلاً , واستعملوا بحرية كل ما أتيح لهم من المصادر العربية الاسلامية من مواد السيرة ومن كتب الإخباريين ومن كتب الانساب والمصادر الاخرى المتيسرة و الاجنبية المترجمة للغة العربية بالرغم من تنوعها , وأصبحت مؤلفاتهم المصدر الرئيس لأحداث القرون الثلاثة الأولى من التاريخ العربي الاسلامي , وامتازوا بالنظرة المتفحصة الناقدة الى المادة التي اخذوا ينتقونها أساساً لمؤلفاتهم ونظرتهم التاريخية

---

(1) مصطفى , التاريخ العربي والمؤرخون , ج1 , ص66 .
(2) الدوري , نشأت علم التاريخ عند العرب , ص55 .
(3) مصطفى , التاريخ والمؤرخون , ج1 , ص234 .

رحبة واسعة , بصرف النظر عن مكانة علم التاريخ غير البارزة بين العلوم الاسلامية الاخرى , وعن أثر نشأته الاولى في تلك المكانة , وتحيف علماء الدين وعلوم الدين عامة لهذا العلم [1] .

لقد نظر العرب المسلمون الى الشعوب التي دخلت ضمن الدولة الاسلامية , من خلال وحدة التاريخ الكوني للأمم , فقد وضع المؤرخ العربي احمد بن اسحاق اليعقوبي (ت292هـ/ 905م) , كأول مؤلف من مؤلفي الجغرافية التاريخية , مصنفاً مزج فيه في بودقة واحدة تاريخ الامم , رادها الى أصول مشتركة , تضمن تاريخ العالم القديم , تناول فيه تاريخ الانبياء والامم , وتنتهي بسيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والامة الاسلامية , وكأنه اراد ان يقول وفق النظرة التاريخية – القرآنية – لنشأة المجتمعات أنها أمة إسلامية واحدة , صدرت عن نفس واحدة (آدم) (عليه السلام) [2].

وكان من مصادره الكتب المقدسة التوراة والانجيل , والكتب اليونانية القديمة المترجمة الى اللغة العربية , ويمكن جعل كتابه التاريخ بمصادره ومعلوماته , بداية لتاريخ المؤرخ الكبير محمد بن جرير الطبري بمعنى العالمية للكلمة [3] , لذا يعتدّ من المصادر التاريخية العربية الإسلامية المهمة والمعتمدة [4] التي صدرت نهاية القرن الثالث الهجري , ويهمنا هنا أن نشير الى منهج اليعقوبي في العرض التاريخي , فقد أتبع طريقة العرض حسب توالي عهود الخلفاء العرب المسلمين , فجمع بين أسلوب التاريخ حسب العهود والتاريخ حسب السنين والحوليات [5] .

ومع بداية القرن الرابع الهجري أخرج المؤرخ محمد بن جرير الطبري (310هـ/ 922م) , مصنفه الكبير (تأريخ الرسل والملوك) , تناول فيه التاريخ

---

[1] مصطفى , التاريخ العربي والمؤرخون , ج1 , ص268 , 269 .
[2] الحصناوي , طبائع الحيوان , المقالة الاولى , ص 8 .
[3] مصطفى , التاريخ العربي والمؤرخون , ج1 , ص253 .
[4] حسن , تاريخ الإسلام السياسي , ج3 , ص405 .
[5] مصطفى , التاريخ العربي والمؤرخون , ج1 , ص 253 .

منذ بدء الخليقة حتى سنة (302هـ/ 914م) , ذكر فيه قصص الانبياء من ادم (عليه السلام) وتاريخ الدول القديمة مثل الفرس والروم .

يعد كتاب محمد بن جرير الطبري في التاريخ العام , بداية لمرحلة شامخة في الكتابة التاريخية , صب في هذا المصنف الكبير كل الروايات والاخبار , والكتب والرسائل التاريخية الأولى التي فقدت , ولم يبق لها وجود إلا بين دفتي تاريخ الطبري[1] , وكان تاريخه يمثل قمة ما وصلت اليه كتابة التاريخ عند العرب المسلمين في فترة التكوين , ودليل ذلك أن الأجيال المتعاقبة في العصور الاسلامية المتوالية ظلت عيالاً عليه في كل ما يختص بالقرون الاسلامية الثلاث الأولى من التاريخ الاسلامي [2] .

وقد أثرى هذا الضرب في فن الكتابة التاريخية في هذا القرن , المؤرخ ابو الحسن على المسعودي (ت346هـ/ 957م) , فقد تحدث في مصنفه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) , عن موضوعات الأمم والأسر , والدول والحكام , والكتابة عن اليهود , والفرس , والروم , والهنود , وأهل الصين , والعرب , والترك في العصور القديمة , وبيّن كذلك التاريخ حسب الدول والحكام الذين عاصروا الدولة العربية الإسلامية , بشكل موضوعي منذ بدء الخليقة الى قبيل وفاته [3] .

وهكذا يبدو من خلال الاستعراض السابق لأبرز المؤرخين المسلمين الذين ظهروا قبل عصر المروزيّ , ومحاولة التعرف على منهجهم وأهم مميزات كتاباتهم التاريخية , فنجد أنه قد تحددت بعض الطرائق في مجال تنظيم المادة التاريخية , وأخذ بعضهم بنظام المنهج الحولي والترتيب السنوي المتعاقب , ولكن لما كان لهذا المنهج بعض العيوب التي من أهمها أنه يمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة ,

---

[1] السالم , التاريخ والمؤرخون , ص 97 .
[2] كحالة , التاريخ والجغرافية في العصور الوسطى , ص 38 , 39 .
[3] العزاوي , عبد الرحمن حسين , التاريخ والمؤرخون في العراق , د.ط , دار الشؤون الثقافية , العراق , بغداد , 1993م , ص 194 , 195 .

التي تمتد عبر عدد من السنين [1] , لجأ بعض المؤرخون العرب الى نظام التاريخ حسب الموضوعات , ويعني التزام المؤرخ طريقة التاريخ أما للدول أو لعهود الخلفاء أو الحكام , وأما للسير والطبقات , كما أتضح لنا التزام بعظهم بإيراد الأسانيد وإهمالها من قبل بعضهم الآخر, كما يلاحظ ايضاً أنه بدأ ظهور نوع من التواريخ العالمية التي لم تقتصر على التاريخ للأمة الإسلامية فحسب , بل تعدى الى ادخال تواريخ الأمم الأخرى قديمة كانت أم معاصرة فيها , وكان من أبرز المؤرخين الذين خطوا هذه الخطوة كل من اليعقوبي والطبري والمسعودي , وإن كانت قد ظهرت قبلهما بدايات على أيدي كل من ابن قتيبة وابي حنيفة الدنيوري , والظاهر ان المروزيّ قد سار على خطاهم في تناول التاريخ العالمي حسب الموضوعات في مقالته الأولى من كتابه طبائع الحيوان .

وغير هؤلاء الأعلام ظهر العديد من العلماء منذ بدايات العصر البويهي (334- 447هـ / 945- 1055م) , اتسمت أعمالهم بالتنوع والشمول , إذ كان العالم الاسلامي كله مجالاً مفتوحاً وحراً لأي عالم للانتقال من منطقة الى أخرى , حتى لقد ندر أن تجد احد من العلماء من استقر في بلده , وكانت الرحلات خاصة الى الامصار الكبرى وأهمها بغداد , وكانوا عقولاً مفتوحة لاختصاصات متعددة , وتعبر هذه الفترة فترة اهتمام المؤرخين بعملية التدوين التاريخي , واقبالهم عليه كان في الواقع جزءاً من تلك الفعالية الواسعة التي شملت جميع نواحي المعارف في تلك الفترة , فهم لم يتركوا علماً من العلوم ولا فناً من الفنون إلّا نهلوا منه , فنرى الطبيب منهم أصبح اديباً ومؤرخاً وجغرافياً , والمؤرخ طبيباً أديباً , والأديب جامعاً لهذين العلمين , وغير ذلك من العلوم والفنون , وقليل من المؤرخين العرب المسلمين لم يخرجوا عن محيط التاريخ , فإذا ما ألقينا نظرة على آثار هؤلاء الأعلام نجد الغالبية منهم لم تقتصر على التأليف في التاريخ , ولم تخرج بما الفته

---

[1] مصطفى , التاريخ العربي والمؤرخون , ج1 , ص 256 – 260 ؛ الدوري , نشأت التاريخ عند العرب , ص 56.

في غير التاريخ عن دائرة التاريخ واختصاصه [1] , ومن هنا ظهرت في هذا العصر ميزة جديدة , وهي ظاهرة الموسوعية التي اتصف بها العلماء , وعدم اقتصارهم على علم دون آخر , فنرى شخصاً عالماً بالتفسير والفقه والحديث واللغة , الى جانب بروزه في التاريخ والجغرافية وعلوم الفلك والطب وغيرها .

ومن هؤلاء العلماء الذين ظهروا في القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) – عصر المروزيّ – في المشرق الاسلامي , ويمتلكون جوانب متعددة في المعرفة :- ابو الريحان محمد بن احمد البيروني (ت 440هـ / 1047م) , من مواليد اقليم السند , له اهتمامات متعددة بالنجوم والفلك والرياضيات , معادلة لاهتماماته بعلم التاريخ , وبجانب مؤلفاته في هذه العلوم , فله مصنفات عديدة في التاريخ مثل كتاب , الاثار الباقية عن القرون الخالية , وقد تضمن هذا الكتاب دراسة عن تواريخ الاقدمين وتواريخ المتنبئين واممهم , وحساب ايام الاعياد عندهم , تخلل ذلك اشتات من المعلومات التاريخية , وهو الذي وصف بلاد الهند وعقائدها واحوالها في اللغة العربية , وقد قضى اربعين سنة في الهند بكتابه :- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة [2] .

لقد مهّد هؤلاء للمؤرخين العرب المسلمين اللاحقين ليوسعوا مداركهم في النظر الى الكون في افق مواضيعهم التاريخية , وربط ذلك بتاريخ العالم الشمولي , وشملت دراستهم تاريخ الدولة العربية الاسلامية بصورة منظمة , وتعدى إلى ادخال تواريخ الأمم الأخرى قديمة كانت أم معاصرة لهم , وبهذا خرج علم التاريخ عند العرب المسلمين بتفكيره من النطاق المحلي الاقليمي لدى كثير من مؤرخي الاسلام , الى خدمة الحضارة العالمية والثقافة الانسانية بشكل عام , مع التركيز على تاريخ الاسلام وحضارته , ومن هنا أردنا الوصول الى منهج المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ ومصنفه (طبائع الحيوان) الذي مزج فيه تاريخ العرب المسلمين وجغرافيتهم مع تاريخ وجغرافية البلاد والدول

---

[1] العزاوي , التاريخ والمؤرخون في العراق , ج2 , ص 49 .
[2] العزاوي , التاريخ والمؤرخون في العراق , ج2 , ص 98 .

التي عاصرها المروزيّ وخاصة في المقالة الأولى من كتابه الذي تضّمن ذكر جوهر الأنسان وما حوله وطبقاته من أعلى مراتبه الى أدنى منازله في هذه البلاد (الأنثروبولوجيا).

هذا فضلاً عن أن التلاقح والامتزاج الثقافي بين الحضارة العربية الاسلامية , وبين حضارات الأُمم الأخرى قد ازداد تفاعلاً بأثر من حركة الترجمة – قبل عصر المروزيّ – وخاصة من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية , وفي مجالات متعددة كالفلك والعلوم الطبيعة والرياضيات والطب وسائر أبواب الفلسفة أضافة الى علم التاريخ , وقد عكف العلماء العرب المسلمون على دراسة هذه العلوم المترجمة , والنظر فيها حتى فهموها جيداً وغاصوا في أعماقها , ومن ثم قاموا بشرحها وتحليلها , وبعد ذلك الرد والزيادة عليها والأخذ بالبعض فقط [(1)] , كما فعل أيضاً مؤرخنا الطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ في مجمل مقالات كتابه (طبائع الحيوان) .

[(1)] دي لاس اوليري , الفكر العربي ومركزه في التاريخ , ط 1, دار الكتاب اللبناني الجديد , تر , اسماعيل البيطار , لبنان , بيروت , 1932 م , ص96 .

المبحث الثاني

الكتابة الجغرافية عند العرب المسلمين حتى عصر المروزيّ

تقع شبه الجزيرة العربية بين الهند والشرق الاقصى من جهة , وعالم البحر الابيض المتوسط والغرب من جهة , هذا الموقع جعلها على مفترق الطرق التجارية القديمة , وادى ذلك الى نشاط تجاري واسع للعرب , والى سيطرتهم لفترة طويلة على مفترق الطرق التجارية العالمية , وكان ذلك طريق مسالك التعارف والاتصال في معرفة الآخر[1] .

لم يكن لدى عرب الجاهلية قبل الاسلام معارف وتصورات جغرافية منظمة , ولم تتجاوز مداركهم الجغرافية حدود جزيرتهم إلا نادراً , وقلما وجدت لديهم أفكار في الجغرافية [2] , على الرغم من انهم أحوج الشعوب الى المعرفة الجغرافية , فالحل والترحال في صحاري شبه الجزيرة العربية الشاسعة يتطلب معرفة بالمسالك والمسارب الصحيحة التي تدل على مواطن الكلأ وموارد المياه , وللمحافظة على أبلهم وأغنامهم وهي أعز ما يقتنون , وأن يعرفوا حيوان الصحراء وأين يعيش , وهم لا ينزلون أرضاً قبل أن يتخلوا عن غيرها , لذا ظهر بين أفراد القبائل ما يعرف بالجغرافيين المحترفين , وهم الأدلاء الذين يملكون المعرفة الواسعة بديار قبائلهم من حيث النبات والماء والحيوان والمسالك [3] .

وبعد أنتشار الإسلام , وتأسيس الدولة العربية الإسلامية الأولى في الجزيرة العربية , أهتم العرب المسلمون بالمعرفة الجغرافية , وقد تضمنت آيات القرآن

---

[1] الحصناوي , طبائع الحيوان , المقالة الاولى , ص1 .
[2] كراتشو فسكي , تاريخ الادب الجغرافي , القسم الاول , ص44 .
[3] بدوي , موسوعة الحضارة الاسلامية , ص444.

الكريم المظاهر الطبيعية للأرض كالجبال والبحار والرياح والقمر والنجوم والسماء , وأخذوا يتأملون هذه المظاهر [1] .

أحتلت هجرة العرب المسلمين الاوائل الروحية خارج مدينة مكة الى الحبشة ومقابلتهم للنجاشي , بداية تحولهم للانفتاح على العالم الخارجي , لأنها تتعلق بالأساس بتاريخ ظهور الاسلام الاول في مكة والصعوبات الكبيرة التي واجهته هناك [2] .

ولا بد ان نشير الى بداية الرحلات عند العرب المسلمين , وكانت في عصر النبي (صلى اله عليه وآله وسلم) , واحدة تنسب الى تميم الداري [3] ورحلته في بحر الشام [4] , والثانية الى عبادة بن الصامت [5] ورحلاته الاولى الى كهف الرقيم قرب القسطنطينية [6] , ورحلته الاستطلاعية الثانية في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى ساحل البحر , وأخيراً الثالثة الى ملك الروم ليدعوه الى الاسلام , فكانت محملة بالعجائب ما ابهرهم [7] .

---

[1] كراتكوفسكي , تاريخ الادب الجغرافي , القسم الاول , ص45.
[2] الطبري , الرسل والملوك , ج2 , ص 33 .
[3] تميم الداري :- تميم بن اوس بن خارجة بن سود الداري , ابو رقية , صحابي , نسبتهالى الدار بن هانئ , من قبيلة لخم , اسلم عام (9هـ/ 630م) , وأقطعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , قرية حبروت وبيت عينون في مدينة الخليل في فلسطين , وكان يسكن المدينة , ثم انتقل الى الشام بعد مقتل عثمان , وسكن بيت المقدس , واسرج السراج في مسجدها , روى له الباري ومسلم , توفي في فلسطين سنة (40هـ/ 660م) , ابن الاثير , عز الدين علي بن محمد الجزري (ت 230هـ/ 844م) , أسد الغابة في معرفة الصحابة , ط1 , تح , علي محمد معوض , وعادل احمد عبد الموجود , دار الكتب العلمية لبنان , بيروت , د.ت , ج1 , ص 26 .
[4] للمزيد عن هذه الرحلة , ينظر حاجي خليفة , كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون , ج1 , ص 132 , ج2 , ص 1088 ..
[5] عبادة بن الصامت بن قيس الانصاري , من كبار الصحابة .ولد (38ق هـ / 586م) , شهد العقبة الاولى والثانية وغزوة بدر وسائر المشاهد , وكان احد النقباء حضر فتح مصر , وولي القضاء في فلسطين , ومات في مدينة الرملة أو بيت المقدس , سنة (348هـ / 654م) , ابن الاثير , اسد الغابة في معرفة الصحابة , ج 3 , ص ص 158 -160 .
[6] ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 , ص 416 .
[7] للمزيد عن هذه الرحلات , ينظر :- ابن قتيبة الدنيوري , عبد الله بن مسلم (ت276هـ/ 889م) , الاخبار الطوال , تح , عبد المنعم عامر , مراجعة جمال الدين الشيال , سلسلة = =تراثنا

هذه الروايات قدمت افاق جديدة لمعرفة البلدان , ولكنها اقتصرت على الاماكن المقدسة الي وردت في القرآن الحكيم .

وعندما بدأت عمليات التحرير في الدولة الراشدة طلب الخليفة عمر بن الخطاب من الحكماء وصفاً لبلاد العراق وبلاد الشام ومصر وغير ذلك من الارض , وقد رد عليه الحكيم بوص الشام ومصر واليمن والحجاز والعراق والجبال [1] .

وتوالى طلبات الحكام العرب في الدولة الاموية , من ولاتهم وصف البلاد المفتوحة وشعوبها للتعرف على الآخر , بعد أتساع الدولة العربية الإسلامية , والحاجة لإدارة وضبط الأقاليم المحررة والمفتوحة , وظهرت ملامح ما يسمى بالجغرافية الإدارية أو السياسية , وأزداد تنقل العلماء والجغرافيون والفقهاء والمؤرخون والرحالة والتجار العرب المسلمين بين الأقاليم الاسلامية وغير الإسلامية , واصبحوا الممثلون الحقيقيون للثقافة الاسلامية في مسالك التعارف والاتصال مع الشعوب , ودوّنوا ما شاهدوه , وبذلك أخذت تظهر النواة الأولى للدراسات العربية الإسلامية في علم الجغرافية والرحلات [2] وساعد على ظهورها بعض التجار من الجغرافيين البارزين [3] .

ومن العوامل التي ساعدت على ظهور علم الجغرافية , مواسم الحج إلى بيت الله الحرام , فكان لأتساع الدولة العربية الإسلامية وامتداداتها في قارات العالم القديم – آسيا و أفريقيا و أوربا - وانتشار الديانة الاسلامية بين الدول والشعوب والقبائل الأخرى خارج الجزيرة العربية , إضافة إلى انتشار العرب المسلمين في الأمصار العربية المحررة والمفتوحة , وقطع مسافات بعيدة من أقاصي الأرض

وزارة الثقافة والارشاد القومي , مصر , القاهرة , 1959م , ص18 , وفيه عبدالله بن الصامت وليس عبادة بن الصامت .

[1] المسعودي , مروج الذهب , ج 2 , ص 179 .

[2] السامرائي , دراسات في تاريخ الفكر العربي , ص226-227 .

[3] بدوي , موسوعة الحضارة الاسلامية , ص 444 .

بوسائل نقل بدائية براً وبحراً للوصول إلى الجزيرة العربية حيث مهبط الوحي في مدينتي مكة والمدينة , وقد تمتد هذه الرحلة لمدة تزيد عن السنة ذهاباً وإياباً , حققت هذه الرحلات الطويلة معلومات جغرافية مهمة , دُوّنت في المصنفات الجغرافية العربية الإسلامية الأولى , وقد تعمّد بعض هؤلاء الجغرافيين العرب المسلمين تكرار هذه الرحلة للحج والعمرة بغية الاستفادة القصوى من المعلومات والمشاهدات ومعاينتها وتوثيقها , أذ أصبحت الرحلة علماً عربياً إسلامياً , وتفوقوا فيه على علماء الجغرافية في قارة أوروبا آنذاك[1] , ودونوا أخبار أسفارهم وتنقلهم , فذكروا الحواضر التي هبطوها والمسافات بينها , ووصفوا ما تعرضوا له من صعوبات الطريق وكيفية تغلبهم عليها , ووصفوا أيضاً زراعة البلاد وصناعاتها وتجارتها وعاداتها وتقاليدها وديانتها , وأتوا على وصف حياة سكانها , وذكروا الطيب من عاداتهم وانتقدوا عيوبها [2] .

وفي العصر العباسي الأول , وبعد بناء مدينة بغداد المدورة في منتصف القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي [3] , واتصالها بأقاليم الدولة العربية الإسلامية البعيدة والدول المجاورة براً وبحراً وترميم الطرق وتعبيدها , وجعلها آمنة , أثر ذلك في تسهيل الأسفار وتمهيد السبل أمام الرحّالة العرب المسلمين للقيام بالرحلات العلمية والجغرافية المهمة , والبدء في وضع المصنفات الجغرافية , ووصفوا ما شاهدوه في البلدان التي اختلفوا أليها , وصفاً دقيقاً شاملاً مبنياً على المشاهدة والمعاينة , وبذلك خلف لنا الجغرافيون العرب المسلمون , ثروة كبيرة هي خلاصة مشاهداتهم وتجاربهم التي اكتسبوها من أسفارهم في كثير من الأقاليم والبلدان .

---

[1] الهيتي , صبري فارس , الفكر العربي عند العرب , بحث منشور , ضمن مجموعة حضارة العراق , تأليف مجموعة من الباحثين العراقيين , دار الجيل , لبنان , بيروت , 1985م , ج8 , ص191- 194 .

[2] زيادة , الجغرافية والرحلات عند العرب , ص16 .

[3] سوسة , احمد , فيضانات بغداد في التاريخ , ط1 , مطبعة الاديب البغدادية , العراق , بغداد , ص228 .

ونجد في هذا العصر ما بقي لنا من اخبار , عن اقدم الرحالة العرب المسلمون , الذين تناولوا الجانب الآخر من العالم , وعرضوا لنا في رواياتهم العلاقات العربية الاسلامية مع تلك الشعوب , كرحلة سلام الترجمان سنة (227هـ/ 842م) , الى الاصقاع الشمالية لقارة آسيا للبحث عن سد يأجوج وماجوج [1] , ورحلتا محمد بن موسى المنجم , كانت الاولى الى بيزنطية , سنة (237هـ/ 851م) , والرحلة الثانية الى بلاد الخزر برفقة سلام الترجمان [2] .

ومن اوائل الرحالة الذين جابوا بلاد الهند والصين وبحارها , ابو زيد السيرافي (ت 237هـ/ 851م) , الذي انتقل من ميناء سيراف على الخليج العربي , الى المحيط الهندي حتى جزيرة سيلان , ومنها الى شواطئ الصين , وطاف البلاد ووصف البر الصيني ومدن الصين , لقد ذيل السيرافي رحلته بأخبار [3] ابن وهب القرشي (ت257هـ / 870م) , وهو من اعيان مدينة البصرة , وقد غادر البصرة الى عاصمة الصين (خمدان) , ولهذه الرحلة مميزة خاصة لأنها تمت بعد القضاء على الوجود العربي الاسلامي في مدينة (كانتون) , وانقطاع الاتصال المباشر للتجارة العربية مع الصين , وأصبح آخر نقطة وصول للتجار العرب جزر الملايو [4] .

وكان وصف الرحلات السابقة بدائية , وخالية من التجربة والملاحظة , وبعد مرورها بتجارب عديدة ونضوجها , اخذت تعالج الموضوعات بنزعات تجديدية , وكانت البداية من أحمد بن ابي يعقوب اليعقوبي (292هـ/ 905) , صاحب كتاب (البلدان) , جعل فيه بلده بغداد مركز العالم , وقسم كتابه الى اربعة اقسام , وهي الجهات التي تحيط بمدينة الخلافة معتمداً في تقسيمه النظرية الاقليمية , وتضمن كتابه ما شاهده في رحلاته , حيث جال شرقاً وغرباً , ودخل بلاد فارس

---

[1] أبن خرداذبة , المسالك والممالك , ص ص 297 – 304

[2] أبن خرداذبة , المسالك والممالك , 108 .

[3] السيرافي , الرحلة , مقدمة المحقق , ص 8 .

[4] السيرافي , مقدمة المحقق , ص 10 .

والهند ومصر والمغرب والاندلس , ودون في كتابه المسافات بين المنازل والبلاد من خلال مشاهداته ومعاينته ونتائج رحلاته [1] , إذ كان يسأل شرائح من الناس عن جوانب البلد أو المدينة , ويقارن ذلك مع بغداد وسامراء , والذي تعتبر مادته في هذين المدينتين , وتشغلان ربع الكتاب تقريباً [2] .

وقدم الينا احمد بن فضلان (ت 309هـ/ 921) , وصفاً رائعاً عن رحلته إلى بلاد الصقالبة[3] برسالته الموسومة " رسالة ابن فضلان " التي استمرت أحد عشر شهراً والتي قام بها في سنة (309هـ/921م) , بطلب من الخليفة المقتدر العباسي (295-320هـ/ 907-932م) , الذي أرسله على راس بعثة رسمية لبلاد البلغار [4] , مر خلالها في بلاد الترك والخزر[5] والروس[6] والصقالبة , وكان وصفه لهذه البلاد وصفاً دقيقاً جميلاً ورائعاً , يضعه في المرتبة الأولى من الرحالة الأدباء [7] , وقدم وصفاً للمجتمعات التي مر بها وتعرّف عليها وصفاً مسهباً , عن حضارة البلغار وعاداتهم وتجارتهم , لذا يعدّ من الأوائل الذين كتبوا في

---

[1] السيرافي , مقدمة المحقق , ص 10 .
[2] اليعقوبي , البلدان .
[3] أقوام حمر الألوان , صهب الشعور , يتاخمون بلاد الخزر , في أعالي جبال الروم وقيل إن الصقالبة بلاد بين البلغار وقسطنطينية , وينسب اليهم الخرم الصقالبة , وهم من أبناء يافث بن نوح (عليه السلام) . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص196 .
[4] مدينة الصقالبة , ضاربة في الشمال شديدة البرودة لا يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفاً ولا شتاء وقل ما يشاهد اهلها ارضاً ناشفة , ويبنون بيوتهم من الأخشاب المسمرة , وكان ملك البلغار وأهلها قد أسلموا في ايام المقتدر العباسي , وارسلوا الى بغداد طالبين ارسال من يعلمهم الشرائع الاسلامية . ينظر: ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص 485 .
[5] هي بلاد الترك , خلف باب الأبواب , المعروف بالدربند , قريب من سد ذي القرنين , ويقال هو مسمى بالخزر بن يافت بن نوح (عليه السلام) , وقيل الخزر اسم إقليم من قصبة تسمى اتل , واتل اسم النهر الذي يجري الى الخزر من بلاد الروس والبلغار والخزر, وملوكهم يدينون باليهودية . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج2 , ص ص 231-233 .
[6] أمة بلادها متاخمة للصقالبة والترك , ولهم دين ولغة وشرائع لا يشاركهم فيها احد , و يعيشون في جزيرة موبوءة يحيط بها بحيرة , تعدادهم ما يزيد على مائة ألف إنسان , ليس لهم زرع ولا ضرع , ويمارسون التجارة مع الأقوام المجاورة . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج2 , ص429 .
[7] رسالة ابن فضلان , مقدمة المحقق , ص25 .

الجغرافية البشرية [1] , إلا أنّه لم يصف لنا طريق عودته الى مدينة بغداد أو نتائج رحلته , ربما ان رسالته لم تصل الينا كاملة , ألا ان شرف الزمان طاهر المروزي قدم لنا الملامح الاولى لبداية الرحلة الى بلاد البلغار والروس في المقالة الاولى من كتابه طبائع الحيوان [2].

ومن أشهر كتّاب الجغرافية والرحالة العرب التي أخرجت مصنفاتهم في القرن الرابع الهجري , العاشر الميلادي , الجغرافي شمس الدين المقدسي (ت 390هـ/ 999م) وكتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) , وذكر في اسباب رحلته انه كان يريد ان يتبع سنة من الف قبله في الرحلات والاسفار [3] وهو مصنف جغرافي تاريخي ذو قيمة عظيمة [4] , دوّن فيه الأقاليم الإسلامية , وما فيها من صحاري وبحار وبحيرات وانهار , ووصف أمصارها ومدنها , ومنازلها المسكونة وطرقها , وذكر موضع الأخطار عند عبور الصحاري (المفازات) , وذكر المسافات بين المنازل , والسباخ والصلاب والرمال والجبال والسهول والتلال والحدود , وبيّن مساحات الأقاليم العربية الإسلامية بالفراسخ وكان متصيداً لشواذ الافعال في الاقاليم الاسلامية في بلاد آسيا [5] .

---

[1] زيادة , الجغرافية والرحلات عند العرب , ص19 .

[2] للمزيد , ينظر :- الحصناوي , المقالة الاولى , الباب التاسع , في ذكر الترك وأهله من النص المحقق .

[3] المقدسي , احسن التقاسيم , ص1 .

[4] حسن , تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر و وسوريا و وبلاد العرب , ط3 , مكتبة النهضة المصرية , مصر , القاهرة , 1964 م , ص521 .

[5] المقدسي البشاري (ت 380هـ / 990م) , أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم , ص ص1-3 .

وكان ابو دلف الخزرجي (390هـ/ 1001م) , رحلتان جال خلالها بلاد بخارى والهند والصين وبلاد فارس واربيجان وارمينية , فوصف مشاهداته والسلوك الاجتماعي في بلاد الصين واطراف الهند , وحال العرب هناك [1] .

وخلّف لنا ابو الريحان البيروني (ت 440هـ/ 1048م) , مصنفه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) , وقد تناول فيه بلاد الهند وعلومها وعاداتها وتقاليدها , وأخبار تنقلهم , ووصف البلاد وزروعها , ومشاهدته حياة سكانها وجوانبها الاجتماعية وأسفارهم وتنقلهم , وذلك خلال تجواله في انحاء بلاد الهند مدة اربعين سنة , ويعرف كتابه أيضاً ب (تاريخ الهند) [2] .

وضع ابو عبيد البكري (ت487هـ / 1094م) , كتاباً جغرافياً بعنوان (المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب) , وهو جزء من كتابه المعروف (المسالك والممالك) [3] , كان أبو عبيد البكري أول من وضع المعاجم الجغرافية العربية , فقد وضع معجمه (معجم ما استعجم) ذكر فيه جملة مما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار, وذكر المنازل والقرى والأمصار والديار والجبال والمياه والآبار محددة ومبوّبة على حروف المعجم [4] .

لقد كانت الموسوعات الكبرى من اهم مراحل تطور علم التاريخ , رغم انها لم تكن تاريخية خالصة , وانما مزيجاً بين عدة علوم , وفي مجالات مختلفة , منها الجغرافية والادب والنظم السياسية والاقتصادية والعمران والخطط .

---

[1] ابو دلف , مسعر بن المهلهل الخزرجي (ت 390هـ/ 1001 م) , الرسالة الاولى , تح , مريزن سعيد مريزن عسيري , مركز احياء التراث الاسلامي , السعودية , مكة المكرمة , 1995م .

[2] حسن , تاريخ الإسلام السياسي , ج4 , ص548 .

[3] البكري , أبو عبيد محمد بن عبد العزيز ابو بكر الأندلسي (ت487هـ/ 1094م) , المغرّب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب , د.ط , دار الكتاب الإسلامي , مصر , القاهرة , د . ت .

[4] البكري , ابو عبيد محمد بن عبد العزيز ابو بكر الأندلسي (487هـ/ 1094م) , معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع , ط3 , تح مصطفى السقا , عالم الكتب , لبنان , بيروت , 1403هـ .

وبرز المروزيّ في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي , من بين أهم أصحاب هذه الموسوعات , من خلال مؤلفه (طبائع الحيوان) .

وبذلك قدمنا لوحة عامة منظمة وملخصة لتطور الأدب الجغرافي العربي الإسلامي وآثاره المختلفة , ابتداء من التصورات الأولى عند العرب , وشخصياته المهمة عبر العصور العربية الإسلامية وحتى عصر المروزيّ والدور الذي لعبوه في تطوير علم الجغرافية , وذلك على ضوء الاستقراءات التي وصل اليها هذا البحث المعاصر .

وبالاستناد لما تقدم يلاحظ أن هناك ثلاثة اتجاهات حدثت أو تطورت في التأليف الجغرافي العربي الإسلامي منذ نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي , الأول العناية الشديدة بأقاليم العالم الإسلامي , وهذا يبدو من كتابات المقدسي البشاري , والثاني نوع التخصص في قطر واحد فالبيروني كتب عن الهند , وابن فضلان وصف بلاد البلغار , أما الاتجاه الثالث فكان تصنيف المعاجم الجغرافية , وهذا الشيء بدأ في القرن (الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) , وكانت البداية من أبي عبيد البكري ومعجمه (معجم ما استعجم) , وهو من الذين عاشوا في عصر الجغرافي شرف الزمان طاهر المروزيّ , ومن هنا بدأت تظهر المعاجم الجغرافية تباعاً , وبذلك نرى أن المروزيّ قد تميز عن هؤلاء أنه جمع الكتابة الجغرافية للعالم الإسلامي وجغرافية الدول التي عاصرها في مصنفه طبائع الحيوان , والتي تعتبر اعظم رواياته قيمة هي التي تحدثت عن الشرق الاقصى – الصين والترك والتبت والهند - [1] , ومن خلالها وجدنا ان المروزيّ ليس بعيد عن الجغرافيين العرب , إن لم يكن افضل حالاً منهم .

---

[1] الحصناوي , المقالة الاولى , ص 15 .

المبحث الثالث

علم الحيـــــوان عند العرب المسلمين حتى عصر المروزي

هو علم باحث عن أحوال خواص أنواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها و مضارها , وموضوعه جنس الحيوان البري والبحري والماشي والزاحف والطائر وغير ذلك , والغرض منه التداوي والانتفاع بالحيوانات والاحتماء من مضارها , والوقوف على عجائب أحوالها وغرائب أفعالها [1] .

لم يعثر على مصادر عربية قديمة موثقة تناولت حياة الحيوان قبل ظهور الإسلام , لذا يعد القرآن الكريم من أقدم المصادر وأصدقها على الإطلاق , ولا سبيل إلى الشك في صحته , لأنه كلام منزل من الله سبحانه وتعالى , نزلت آياته تباعاً على رسوله سيدنا محمد(صلى الله عليه وآلة وسلم) , فقد ذكر الله عز وجل في محكم آياته مجموعة من القصص الخاصة بالحيوان , وضّح في خلقه وتناسله , وقدّم لنا مجموعة من الحيوانات ضمن محتويات القصص التي تناولت حياة الأنبياء والمرسلين قبل سيدنا محمد (صلى الله عليه وآلة وسلم) , وكان للحيوان فيها دور مهم وترك أثره فيما بعد في تاريخ حياة الإنسانية وحياتهم .

---

[1] حاجي خليفة , كشف الظنون , مج 1, ص695 .

لقد تضمّنت سور القرآن الكريم استعمال كلمات مطلقة للحيوانات مثل كلمة الطير وقد تكررت ثماني عشرة مرة [1] , وكلمة الأنعام ستاً و عشرين مرة [2] , وكلمة الدابة ايضاً ست عشرة مرة [3] , ومرة واحدة لكلمات الوحوش [4] والجوارح[5] والعِير [6] .

ومجموع الحيوانات البرية والبحرية والطيور التي وردت بأسمائها الصريحة لمرة واحدة او أكثر في القرآن الكريم ثلاثة وثلاثون حيواناً [7] , تكررت مئة وتسعاً وعشرين مرة في ثمان وأربعين سورة قرآنية [8] .

---

[1] سورة البقرة , الآية 260 ؛ سورة آل عمران الآية 49 ؛ سورة يوسف , الآيتين 36 , 41 ؛ سورة المائدة , الآية 110 ؛ سورة الأنعام , الآية 38 ؛ سورة النحل , الآية 79 ؛ سورة الأنبياء, الآية 79 ؛ سورة الحج , الآية 31 ؛ سورة النور , الآية 41 ؛ سورة النمل , الآيات 16 , 17 , 20 ؛ سورة سبأ , الآية 10 ؛ سورة ص , الآية 19 ؛ سورة الواقعة , الآية 21 ؛ سورة الملك , الآية 19 ؛ سورة الفيل , الآية 3 .

[2] سورة آل عمران , الآية 14 ؛ سورة الأنعام , الآيات , 136 , 138 , 138 مرة ثانية , 139 , 142 ؛ سورة يونس , الآية 24 ؛ سورة النحل , الآيتين 5 , 66 ؛ سورة النمل , الآية 80 ؛ سورة طه , الآية 54 ؛ سورة الحج , الآيتين 30 , 34 ؛ سورة المؤمنون , الآية 21 ؛ سورة الفرقان , الآيتين 44 , 49 ؛ سورة الشعراء , الآية 133 ؛ سورة السجدة , الآية 27 ؛ سورة فاطر , الآية 28 ؛ سورة يس , الآية 71 ؛ سورة الزمر, الآية 6 ؛ سورة غافر, الآية = = 79 ؛ سورة الشورى , الآية 11 ؛ سورة محمد , الآية 12 ؛ سورة النازعات , الآية 32 ؛ سورة عبس , الآية 32 .

[3] سورة البقرة , الآية 164 ؛ سورة الأنعام , الآية 38 ؛ سورة الأنفال , الآيتين 22 , 55 ؛ سورة هود , الآية 6 , سورة النحل , الآيتان 49 , 61 ؛ سورة الحج , الآية 618 ؛ سورة النور , الآية 45 ؛ سورة لقمان , الآية 10 ؛ سورة سبأ , الآية 14 ؛ سورة فاطر , الآيتين 28, 45 ؛ سورة الشورى , الآية 29 ؛ سورة الجاثية , الآية 4 ؛ سورة النمل , الآية 82 .

[4] سورة التكوير , الآية 5 .

[5] سورة المائدة , الآية 4 .

[6] سورة يوسف , الآية 8 .

[7] الحيوانات :- الإبل , البقر , البعوضة , البعير , الثعبان , الجراد , الجمل , الجياد , الحمار, الحوت , الحية , الخنزير , الخيل , الذئب , الذباب , الضأن , الضفادع , العجل , العنكبوت , الغراب , الغنم , الفراش , الفيل , القردة , قسورة , القمل , الكلب , المعز , الناقة , النحل , النمل , النعجة , الهدهد .

[8] السّور :- الأنعام , الغاشية , آل عمران , يونس , النحل , النمل , طه , الحج , المؤمنون , الفرقان , الشعراء , السجدة , فاطر , يس , الزمر , غافر , الشورى , محمد , النازعات , عبس , يوسف , الأعراف , القمر , المرسلات , المائدة , ص , الجمعة , المدثر , لقمان , الكهف ,

وسُميت بعض السور القرآنية بأسماء الحيوانات كسورة البقرة (286 آية) , وسورة الأنعام (165 آية) وسورة النحل (182 آية) وسورة النمل (93 آية) , وسورة العنكبوت (69 آية) وسورة الفيل (5 آيات) .

والقرآن في محكم آياته وضّح وبشكل صريح فوائد الحيوانات ومنافعها بما فيه حليّة تناول لحوم بعضها , وقد أجمل ذلك نحوقوله تعالى :- **"وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)"** [1] .

وذكر الحيوان بأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل تحريم الحمر الأهلية [2] , وتحريم الميتة وكل ذي ناب [3] , وحرمة قتل الضفدع [4] , وبيان حكم طعام الإنسان الذي سقطت فيه حشرة وماتت [5] , والكثير من الأحكام الأخرى .

وفي القرن الأول الهجري كان أول من وصف الحيوان وصفاً علمياً دقيقاً هو الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) , فعند قراءة كتاب نهج البلاغة [6] , الذي جُمع فيه كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) , نجد أن حياة الحيوان وصفاته و دورة حياته قد أخذت حيزاً مهماً في جميع فنون الكتاب ومتشعباته من خطب ومواعظ وحكم وأمثال , وما يتضمن من عجائب البلاغة

الصافات , القلم , الأنفال , الحشر , هود , النور , الجاثية , سبأ , الواقعة , الملك , الفيل , النساء , الذاريات , العنكبوت , الأنبياء , القارعة , الشمس , التكوير .

[1] سورة النحل , الآيات 5 , 6 , 7 , 8 .

[2] فنسك , ارند جان , المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف , د.ط , مطبعة مكتبة بريل , ليدن , 1967م , ص177.

[3] الصنعاني , محمد بن إبراهيم , (ت 1182هـ / 1768م) , سبل السلام شرح بلوغ المرام , د.ط , دار الكتب العلمية , اليمن , صنعاء , د. ت , ج4 , ص 72 .

[4] الصنعاني , سبل السلام شرح بلوغ المرام , ج4 , ص79 .

[5] العسقلاني , احمد بن علي , (ت 852هـ / 1447م) , تلخيص الحبير في تخرج أحاديث الرافعي الكبير , د.ط , دار المشكاة للبحث العلمي , مصر, القاهرة , د . ت , ج46 , ص 139 .

[6] أبو الحسن , الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) , كتاب نهج البلاغة .

وغرائب الفصاحة , فقد ذكر الإمام امير المؤمنين(عليه السلام) , خمسة وستين حيواناً ضمن هذه الفنون , تكررت فيه أكثر من مئة وسبعة وأربعين مرة , تضمّنت وصفاً رائعاً لها , مبتعداً عن الخرافات والأساطير واللامعقول .

وعند حديثه (عليه السلام) عن النمل يقول [1] :- " انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها , لا تكاد تنال بلحظ البصر , ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على أرضها , وحبت على رزقها , تنقل الحبة إلى حجرها , وتعدها في مستقرها تجمع حرها لبردها , وفي وردها لصدرها , مكفول برزقها مرزوقة بوفقها , لا يغفلها المنان , ولا يحرمنها الديان ولو في الصفا اليابس , والحجر الخامس " , وكلامه هذا مطابق لسلوك النمل الاجتماعي ودورة حياته المدهش .

ووصف أمير المؤمنين الأمام عليّ بن ابي طالب[2] (عليه السلام) خلقة الجرادة , وصفاً دقيقاً رائعاً قائلاً :- "وإذا سألت قلت في الجرادة , إذ خلق لها عينين حمراوين , وأسرج لها حدقتين قمراوين , وجعل لها السمع الخفي , وفتح لها الفم السوي , وجعل لها الحس القوي , ونابين بهما تقرض , ومنجلين بهما تقبض , يرهبها الزراع في زرعهم , ولا يستطيعون ذبها , ولو أجلبوا بجمعهم , حتى ترد الحرث في نزواتها , وتقضي منه شهواتها وخلقها كله لا يكون أصبعاً مستدقة " .

وإضافة للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأحاديث امير المؤمنين الأمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وخطبه , فإن الباحث قد يجد ضالته عن حياة الحيوان قديماً في بلاد العرب , في معاجم اللغة العربية التي ظهرت بعد انتشار الإسلام , وتضمنت هذه المعاجم أسماء حيوانات تسمى بها أبناء العرب قديماً , لكون هذه المعاجم تجاوزت معاني المفردات إلى دراسة الحيوان ودورة حياته وصفاته وأطوار معيشته , استفادت هذه المعاجم من الشعر العربي القديم الذي أكثر من وصف الحيوان واحتل حيزاً كبيراً فيه , وخاصة تلك التي عاشت في أعماق

---

[1] أبو الحسن , الامام أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب (عليه السلام) كتاب نهج البلاغة , ص339 – 340 .

[2] نهج البلاغة , ص 341 .

الصحراء كالجمال والخيل والبغال والحمير والضب والأفاعي والطيور وغيرها من الحيوانات الأليفة والمفترسة [1] , فالقصيدة قديماً كانت أبياتها موزعة

بين الأطلال ووصف الفرس والناقة [2] .

وأخذ الحديث عن الحيوان كذلك حيزاً كبيراً في القصص والأساطير والأمثال الشعبية التي كانت شائعة في جزيرة العرب آنذاك , ونجد أشكال الحيوانات في معبودات و عقائد العرب القديمة [3] مثل الأصنام والتماثيل [4] , ويبدو مما تقدم أن الحيوان أثّر حتى في مسميات قبائل العرب في الجزيرة العربية , مثل كلب وأسد ونمر ويربوع وضبع وضبة وعجل وسرحان وثعلب وغيرها [5] .

ومع بداية القرن (الثالث الهجري/التاسع الميلادي) أُخذ العلماء العرب المسلمون يتجهون إلى تأليف المصنفات التي تتناول حياة الحيوان بشكل علمي واسع وكان ابرز هؤلاء حتى عصر شرف الزمان طاهر المروزيّ :-

1- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري , (ت255هـ/868م) .

---

(1) للمزيد ينظر : ابن منظور , محمد بن مكرم بن علي بن أبي الفضل جمال الدين الأنصاري الروفيعي الإفريقي , (ت 711هـ/1311م) , لسان العرب , تح , عبد الله علي اكبر وآخرون , دار المعارف , مصر , القاهرة , د . ت ؛ الزبيدي , محي الدين أبي فيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الحسيني الحنفي , (ت 1205هـ/ 1790م) , تاج العروس من جواهر القاموس , تح , علي شيري , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , لبنان , بيروت , د . ت .

(2) الصالحي , عباس , الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري , د.ط , مطبعة دار السلام , العراق , بغداد , 1974م , ص253 .

(3) علي , جواد , المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام , ط1, مكتبة جرير , لبنان , بيروت , 1427هـ / 2006م , ج6 , ص640 .

(4) علي , جواد , المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام , ج6 , ص199 .

(5) للمزيد من هذه الاسماء . ينظر : ابن حزم , ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي , (ت 456هـ/ 1063م) , جمهرة أنساب العرب , ط5 , دار المعارف , مصر , القاهرة , (1382هـ / 1962م) .

ولد الجاحظ في مدينة البصرة سنة (159هـ/ 775م) , اختلف في أصله فهناك من يرى أنه من الموالي وأن جده كان اسود البشرة , كان حمّالاً يقال له فزارة [1] , وربما كان جده افريقياً , يعمل حمالاً في تجارة القوافل , واكتسب النسب العربي عن طريق ولائه للقبيلة العربية المعروفة كنانة [2] .

وضع الجاحظ , مُصنّفه الحيوان[3] , اعتمد فيه على الرحلة العلمية , والمشاهدة والمعاينة الشخصية وتنوع البيئة عند جمعه المعلومة , ودوّنها بأسلوب علمي وديني وأدبي , متأثراً بالعالم الإغريقي القديم أرسطو طاليس [4] وكتابه طبائع الحيوان [5] ولكنه رفض الكثير مما ورد فيه من معلومات , لكونها لا تتناسب مع العصر المتقدم الذي عاش فيه الجاحظ آنذاك – مقارنة مع عصر ارسطوطاليس - واعتمد الجاحظ ايضاً على الأدلة المنطقية والآيات القرآنية إضافة الى تراث عصره , وأكّد على الحكمة من دراسة حياة الحيوان [6] .

واعتنى الجاحظ ايضاً بنشر الفوائد التي يمكن أن يكتسبها الإنسان عند دراسة الحياة الاجتماعية للحشرات وخاصة النحل , مركزاً على الأدلة الملموسة رافضاً الدراسة من دون إسناد ودليل , وكان دائماً يؤكد على كشف أخطاء النساخ

---

[1] ياقوت الحموي , معجم الأدباء , ج16 , ص74 .

[2] السمعاني , الأنساب , ج5 , ص98. وهي قبيلة عربية عدنانية , تعود في أصولها إلى مالك بن النظر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان , وقيل ان قبيلة قريش تتفرع منهم , وجدهم قريش بن بدر بن يخاد بن النظر , كان دليل قومه في الجاهلية في متاجرهم . ينظر : ابن حزم , جمهرة أنساب العرب , ص12 .

[3] د.ط , تح , عبد السلام محمد هارون , مطبعة مصطفى البابي الحلبي , مصر , القاهرة , 1945م .

[4] عاش نحو (383-322 ق م) , من أشهر فلاسفة اليونان , تلميذ أفلاطون ومعلم الاسكندر ملك مقدونيا , ولد في مملكة مقدونيا , وتلقى العلم على يد أفلاطون في مدينة أثينا , وعلم الاسكندر اثنتي عشر سنة , وبعد موت الاسكندر اتهم بالإلحاد فانتقل الى مدينة اسطاغير – المدينة التي ولد فيها في مملكة مقدونيا - وهناك توفي . ينظر : بن أبي اصيبعة , عيون الانباء في طبقات الاطباء , ص59 - 76 .

[5] د.ط , تر , يوحنا ابن البطريق , تح , عبد الرحمن بدوي , طبع وكالة المطبوعات الكويتية , الكويت , 1977م .

[6] الجاحظ , الحيوان , ج5 , ص149 .

والسقطات الوهمية , والابتعاد عن التسرع والضجر , وأكّد ايضاً على المنطقية بعيداً عن الإسهاب في الدراسة [1] .

وقدم الجاحظ معلومات قيمة عن خصوصية الحيوان وعاداته وأجزائه ومعلومات أخرى متشعبة تخص حياة الحيوان , مما جعله من العلماء الذين تناولوا دراسة الحيوان بعمق ليصل إلى الحقيقة , حتى أطلق عليه المستشرقون الغربيون لقب (عالم البصرة الموسوعي) [2] .

2- إخوان الصفا وخلان إلوفا :

ظهرت هذه الجماعة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي [3] , وتناولوا في رسائلهم سلوك حياة الكثير من الحيوانات البرية والمائية , ووصفوا أجزاء الحيوان وأجهزتها وتشريحها , وقسموا الوجود على الارض على أربعة مراتب , المعادن , النبات , الحيوان , ثم الإنسان [4] , ووضعوا تصنيفاً متقدماً للحيوانات , اعترف بها علماء الحيوان المعاصرين على الرغم الفارق الزمني وعدّوها من أرقى التصانيف الحيوانية التي وضعت في العصر الاسلامي قديماً [5] .

---

[1] الجاحظ , الحيوان , ج6 , ص35 .
[2] الدميري , حياة الحيوان الكبرى , ص11 .
[3] جماعة علمية , من مختلف طبقات المجتمع العربي الإسلامي , منهم أبناء الملوك والأمراء والوزراء والعمال والكتاتيب , ومنهم أولاد الإشراف والدهاقين والتجار والثناء وأولاد العلماء والأدباء والفقهاء ورجال الدين , ومنهم طائفة من أبناء الصناع والمتصرفين وأمناء الناس , وعددهم غير متفق عليه , تدعي الطائفة الإسماعيلية أن الرسائل من تأليف أئمتهم لتكون بالتالي جزءاً من التراث الاسماعيلي , اغلب المحدثين يحددون تاريخ كتابة الرسائل في القرن الرابع الهجري , العاشر الميلادي , مكان إقامتهم الرئيس مدينة بغداد , وهناك رأي ان أقامتهم كانت في مدينة القاهرة , علماً أن كلمة أخوان الصفا وردت في الشعر الجاهلي . للمزيد ينظر :- معصوم , فؤاد , أخوان الصفا وخلان ألوفا , فلسفتهم وغايتهم , د.ط , دار المدى , سوريا , دمشق , 1998م , ص 45 - 67 .
[4] الفارس , علم الحيوان عند العرب بين الماضي والحاضر , ص11 .
[5] حسين , مساهمة العرب في علوم الحياة , ص53 .

جمع لنا الدكتور محمد باقر علوان [1] أهم كتب الحيوان والبيطرة عند العرب المسلمين , واخترنا منها ما صنف قبل عصر شرف الزمان طاهر المروزيّ , التي عرفت وكشف النقاب عنها وكما يأتي :-

1. **كتاب النحل والعسل :- أبو عمر الشيباني (ت 206هـ/ 821م) , نحوي وعالم لغة عربية , عد من الثقاة وروى الحديث , وكان له اهتمام بالشعر , حيث جمع اشعاراً من ثمانين قبيلة , ولد في الكوفة , وهو اعجمي الاصل , امه نبطية , جاور قبيلة بني شيبان وانتسب اليها , انتقل الى بغداد وتوفي فيها [2] .**
2. **كتاب الحيوان و كتاب الحيات والعقارب :- أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 210هـ/ 825م) , قدم الى الخليفة هارون العباسي , وقرأ عنده بعض كتبه , وهي تقارب مئتي مصنف , عاش مئة عام , فقيل مات سنة (209هـ / 824م) , وقيل (216هـ / 831م) [3]**
3. **كتاب النحل والعسل :- ابو سعيد عبد الملك الأصمعي البصري (ت216هـ/ 831م) , ولد سنة بضع وعشرين ومائة هجرية , تصانيفه ونوادره كثيرة , اكثر مؤلفاته مختصرات وقد فقد اكثرها [4] .**
4. **كتاب النحلة والبعوضة :- علي بن عبيد الريحاني (ت219هـ/ 834م) , احد البلغاء الفصحاء , كان يسلك طريق الحكمة في مؤلفاته عاصر الخليفة المأمون (198هـ / 813م – 218هـ/ 833م) , له عدة مؤلفات منها كتاب الفرس , كتاب الجمل [5] .**

---

[1] الحيوان عند العرب , المورد , العدد1 , السنة الاولى , د . م , وزارة الثقافة , العراق , بغداد , 1972م , ص26-27 .

[2] عبد الله , إبراهيم , موسوعة السرد العربي , د.ط , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , دار الفارس للنشر والتوزيع , الاردن , عمان , د.ت , مج13 , ص502 .

[3] سير أعلام النبلاء ج1 , ص 446 , 447 .

[4] الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج10 , ص176 - 181 .

[5] ياقوت الحموي , معجم الأدباء , ج4 , ص178 -181 .

5. **كتاب الذباب :- ابن محمد بن زياد الهاشمي الأعرابي (ت231هـ/845م) ولد بالكوفة سنة (150هـ/ 767م) , له مصنفات كثيرة ادبية , وتاريخ القبائل , توفي في سامراء [1] .**
6. **كتاب الجراد :- أبو النصر احمد بن حاتم (ت231هـ / 845م) , صاحب الاصمعي , وقيل ابن اخته , روى عن الاصمعي كتبه , اقام في بغداد , له مؤلفات في الابل والخيل والطير والجراد [2] .**
7. **كتاب القول في البغال :- الجاحظ (ت255هـ/868م) .**
8. **رسالة في أجساد الحيوان إذا فسدت :- الكندي ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح (ت 260هـ/ 873م) [3] .**
9. **كتاب الاحناش والحيوان والحيوان , البرقي ابي جعفر احمد بن محمد بن خالد (ت 274هـ/ 887م) , من علماء الامامية , والاحناش نوع من الحيات مفردها حنش [4] .**
10. **كتاب المنافع التي تستفاد من اعضاء الحيوان , عيسى بن علي المترجم (كان حياً سنة 279هـ / 892م) , وهو احد تلاميذ حنين بن اسحاق , وكان طبيب المعتمد على الله [5] .**
11. **رسالة فيما يصلح من الحيوان للضحايا وما لايصلح , ابي الحسن ثابت بن قرة الحراني (ت 288هـ/ 900م) [6] .**

---

[1] الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج10 , ص688 .

[2] السيوطي , جلال الدين عبد الرحمن , (ت911هـ/1505م) , بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة , ط2 , تح , محمد أبو الفضل إبراهيم , دار الفكر , مصر , القاهرة , (1399هـ/1979م) , ص301 .

[3] ابن النديم , ابو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت 483هـ/ 1046م) كتاب الفهرست , قابله على اصله أيمن فؤاد سعيد , مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي , المملكة المتحدة , لندن , ص 362.

[4] البغدادي , هدية العارفين , أسماء المؤلفين وأثار المصنفين , ط3 مكتبة الاسلامية والجعفري تبريزي , ايران , طهران , 1967م , ج1 , ص 67 .

[5] ابن النديم , الفهرست , ص 414 ؛ ابن أبي اصيبعة , عيون الانباء , ج2 , ص 170 .

[6] ابن النديم , الفهرست , ج2 , ص 201 .

12. كتاب الفرق بين الحيوان الناطق وغير الناطق :- قسطا بن لوقا (ت 300هـ/ 912م) , فيلسوف رياضي نصراني , رومي الاصل , ترجم كثيراً من الكتب اليونانية الى اللغة العربية , له تصانيف كثيرة , ولد في بعلبك , اختلف في سنة وفاته وعلى الاكثر سنة (300هـ/ 912م) , وقيل سنة (286هـ/ 899م) , ويقال انه كان فصيحاً باليونانية , وجيد العبارة في اللغة العربية [1] .
13. كتاب في سبب قتل ريح السموم اكثر الحيوان , مقالة لابي بكر الرازي محمد بن زكريا الرازي الطبيب (ت 313هـ / 925م) , صاحب كتاب (الحاوي في الطب) [2] .

14. رسالة في أعضاء الحيوان وأفعالها وقوتها :- الفارابي (ت 339هـ/ 950م) شيخ الفلاسفة الحكيم ابو النصر محمد بن محمد بن طرخان التركي الفارابي , له تصانيف مشهورة , ارتحل الى الامصار الاسلامية , مدينة حران , مدينة دمشق , مصر , كان مهتماً بعلم الكيمياء , توفي في مصر , عن ثمانين عاماً , وصلى عليه سيف الدولة بن حمدان , وقبره في الباب الصغير [3]
15. كتاب الحيوان :- ابن ابي الاشعث احمد بن محمد بن ابي الاشعث الطبيب (ت362هـ/ 972م) , أصله من فارس , شرح الكثير من كتب الطبيب جالينوس , انتقل الى مدينة الموصل , واقام فيها الى ان توفي[4] , وقد اختصر كتابه ابن اللباد موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي (ت 629هـ/ 1231م) , فسماه (اختصار كتاب الحيوان لابن ابي الاشعث) [5] .

---

[1] ابن النديم , كتاب الفهرست , ص293 ؛ الزركلي , خير الدين , الاعلام , ط5 , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , د.ت , ص 197.
[2] أبن أبي أصيبعة , عيون الانباء , ج2 , 245 .
[3] الذهبي , سير اعلام النبلاء , ج15 , ص 417-418 .
[4] ينظر : الزركلي , الاعلام , ج1 , ص209 .
[5] أبن أبي اصيبعة , عيون الانباء ’ ج3 , ص 232 ؛ البغدادي , هدية العارفين , ج1 , ص 614.

16. كتاب تناسل الحيوان :- ابي القاسم مسلمة بن احمد بن عبدالله المجريطي (ت 398هـ/ 1007م) , ويبحث الكتاب عن طرق تكاثر الحيوانات [(1)] .

17. كتاب منافع اعضاء الحيوان :- شرف الدين علي بن عيسى الكحال (ت نحو430هـ/ 1039م) [(2)] .

18. كتاب منافع اعضاء الحيوان :- أبن زرعة ابي علي عيسى بن اسحاق بن زرعة بن مرقس البغدادي (ت 448هـ / 1056م) [(3)] .

19. طبائع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها :- عبيد الله بن بختشوع (ت453هـ/ 1061م) كان فاضلاً بصناعة الطب , جيد بعلم النصارى ومذهبهم , له مصنفات طبية [(4)] .

20. كتاب الحيوان :- ابو عبد الله محمد بن يوسف الطبيب (ت 485هـ/ 1092م) , من تلاميذ ابن سينا [(5)] .

21. مقالة في ان الحيوان يموت مع ان الغذاء يخلف عوض ما يتححل منه :- ابي حكيم ظافر بن جابر بن منصور السكري الطبيب الموصلي (ت نحو 485هـ/ 1092م) [(6)] .

وإلى جانب هذه المؤلفات العامة في علم الحيوان , فقد وصلت أيضا ًمجموعة أخرى من المصنفات التي تناولت حياة الحيوان , مثل دراسة الخيل التي بلغت من

---

(1) البكري , عادل , الكامل في التراث الطبي , المجمع العلمي العراقي , العراق , بغداد , 2005م , ص 297 .

(2) بروكلمان , تاريخ الادب العربي , ط1 , نقله الى العربية محمد عوني عبد الرءوف وآخرون , دار الكتاب الاسلامي , ايران , قم , 2008 م , مج 4 , ج 9 , ص 235 .

(3) ابن النديم , الفهرست , ص 370 .

(4) أبن أبي اصيبعة , عيون الأنباء في طبقات الأطباء , ج3 , ص 214 .

(5) البكري , الكامل في التراث الطبي , ص 386 .

(6) بن أبي اصيبعة , عيون الانباء , ج3 , ص 240 .

الرقي ما يكاد يجعلها علماً مستقلاً , فقد وضعت فيها بضعة رسائل تصف أنواعها وأعضاءها وألوانها بالإضافة الى بيان خصالها المحمودة والمذمومة [1] .

هذه صورة مختصرة عن البدايات الأولى لعلم الحيوان لدى العرب المسلمين , وتطوره ومصنفاته وما قدمه العرب من اسهامات علمية في علوم الحياة وعلم الحيوان بصورة خاصة حتى عصر المروزيّ , ربما كان لها تأثيرها على كتابات المروزيّ ونهجه في تأليف مقالات كتابه طبائع الحيوان وكانت من اهم مصادره فيها .

[1] حتّي , فيليب وآخرون , تاريخ العرب , ط4 , دار الكشاف للنشر والطباعة , لبنان , بيروت , 1995م , ص 453 .

المبحث الأول

وصف الكتاب

أولاً - عنوان الكتاب :-

ينسب كتاب (طبائع الحيوان) للمؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ , ولا يوجد اختلاف في لفظ الكتاب وتسميته من قبل المؤرخين - القدامى والمحدثين - .

وكان المؤرخ سديد الدين محمد العوفي البخاري (ت635هـ/1237م)[1] , هو من ساعد على كشف نسبة الكتاب (طبائع الحيوان) إلى شرف الزمان طاهر المروزيّ إذ نقل أجزاء منه , وذكره صراحة في كتابه الكبير (جوامع الحكايات في القصص الخلقي والتاريخ والروايات) المدون باللغة الفارسية , والذي أتمه سنة (633هـ / 1235م) , وخاصة في الفصول الجغرافية منه , إذ يسميه (كتاب الطبائع) [2] , ويذكر المستشرق اللتواني كراتشوفسكي [3] أنه وجد في كتاب جوامع الحكايات الكثير من الروايات المقتبسة من كتاب (طبائع الحيوان) للطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ .

أما المروزيّ فلم يشر إلى عنوان الكتاب ضمن مقدمته ومقالاته وأبوابه صراحة , بل اكتفى بالعنوان على غلاف الكتاب .

وخلاصة القول , وبعد البحث تبين أنّ عنوان الكتاب وهو (طبائع الحيوان) , لا يحتاج الى تحقيق أو جهد في نسبته الى شرف الزمان طاهر المروزيّ , لعدم العثور على موارد تعارض ذلك من المؤرخين القدامى أو المحدثين .

---

(1) هو سديد الدين , أو نور الدين محمد , ينسب إلى الصحابي عبد الرحمن بن عوف , ولد في النصف الثاني من القرن السادس الهجري , الثاني عشر الميلادي , في مدينة بخارى , دخل إلى إقليم السند وقت الغزو المغولي , وكان اديباً وشاعراً , بقي عنه القصائد والقطعات , وكتابه (باب الألباب) . ينظر : اشياني , إقبال عباس , تاريخ إيران بعد الإسلام , من بداية الدولة الطاهرية , حتى نهاية الدولة القاجارية , (205-1343هـ /820-1925م) , د.ط , نقله عن اللغة الفارسية , محمد علاء الدين منصور , دار الثقافة المصرية , مصر , القاهرة , 1989 م , ص573 .

(2) عبد الستار, مؤيد , الصين في كتاب طبائع الحيوان , لشرف الزمان طاهر المروزيّ , جريدة الاتحاد العراقية , العدد1214 في 2006/4/15م , ص 7 .

(3) تاريخ الأدب الجغرافي , القسم الاول , ص 328 .

ثانياً - اختيار العنوان:-

لعل من المفارقات التي تواجه من يبحث عن أصل الانسان ونشأته الاولى , ان يجد مظاهر عناية الله (سبحانه وتعالى) في خلقه , ويرى أن هذا المخلوق الذي يرغب دائماً في ان ينتصر على قوى الطبيعة المحيطة به , هو نفسه حيوان ينتمي الى المملكة الحيوانية في تركيبه العضوي , بل هو جزء من الحياة العامة على سطح الأرض , يعيش مع بقية المخلوقات والنباتات على تربة هذه الأرض في تلاؤم مع الطبيعة , ولكن الله أكرمه وقوّمه حين نمّى عقله وأحسن صورته , وحرر يديه ونصب قامته ووسّع مجال رؤيته في الآفاق ومهارته , وساعده في النطق والتفكير , وعلّو مكانته بين سائر المخلوقات , وفي رغبته في مغالبة الطبيعة وخلق الرقي والحضارة وسيادة أقاليم الأرض .

وخلاصة القول نجد أن اختيار العنوان (طبائع الحيوان) من المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ كان موفّقاً , فهذا العنوان يعبّر تماماً عن المادة العلمية التي يحتويها الكتاب , والهدف الذي أُلف من أجله , وفي جميع مقالاته الخمسة , التي يغطي في المقالة الأولى فيه ذكر الإنسان وما حوله , والثانية في ذكر البهائم والوحوش , والثالثة في الطيور البرية والبحرية , والرابعة في الحشرات , والخامسة والأخيرة في الحيوانات البحرية , والجميع يعيش على تربة هذه الارض .

هناك كتابان يحملان الاسم نفسه , الأول بعنوان (طبائع الحيوان البري) للعالم اليوناني أرسطو طاليس – (عاش حوالي 383-322 ق.م) – وقد اقتبس منه المروزيّ في كتابه طبائع الحيوان و ذكره صراحة [1] , والكتاب الثاني (طبائع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها) لمؤلفه عبيد الله بن جبرائيل (ت453هـ/1061م) [2] , وهو من المعاصرين لشرف الزمان طاهر المروزيّ , ولكن لم تذكر المصادر أنهما التقيا آنذاك , ولم يقتبس من كتابه , ربما لبعد المسافة بين مدينة مرو – مدينة المروزيّ – ومدينة ميافارقين [3] – مدينة عبيد الله بن

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 186 .

[2] أبو سعيد عبيد الله بن جبرائيل بن عبد الله بن بختشوع بن جبرائيل بن بختشوع بن جرجيس ابن جبرائيل , كان متقناً لمهنة الطب , جيد المعرفة بعلم النصارى ومذاهبهم , له تصانيف طبية كثيرة , و أخرى غير طبية , توفي سنة (453هـ / 1061م) . ينظر : بن ابي أصيبعة , عيون الاطباء , ص166 .

[3] أشهر مدينة في ديار بكر , من أبنية الروم لأنها في بلادهم , فتحت من قبل خالد بن الوليد ومالك الاشتر النخعي , قيل فتحت عنوة في خلافة ابو بكر , وقيل صلحاً على خمسين ألف دينار . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج4 , ص349 , 350 .

جبرائيل – ولا وجود لما يرجح أنهما قد التقيا لصغر سن المروزيّ حين وفاة عبيد الله بن جبرائيل سنة (453هـ/ 1061م) .

ثالثاً - الديباجة :-

استهل شرف الزمان طاهر المروزيّ كتابه (طبائع الحيوان) بالبسملة وحمد لله والثناء عليه والصلاة على نبينا وسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) , على غرار معظم المصنفين العرب والمسلمين [1].

رابعاً - تأريخ تأليف الكتاب :-

لم يقدم شرف الزمان طاهر المروزيّ تاريخاً محدداً ابتدأ فيه تأليف كتابه (طبائع الحيوان) , وسكتت المصادر العربية الإسلامية عن ذكر ذلك , إلا أن الأحداث والروايات الواردة في المقالة الأولى من كتابه , تغطي عصر السلاطين السلاجقة , السلطان ألب ارسلان , وابنه السلطان ملكشاه , والسلطان سنجر ابن ملكشاه , يمتد هذا العصر من (455هـ/1063م) , ولغاية (514هـ/1120م) , وكان نظام الملك الطوسي قد أستوزر لدى السلطانين الب ارسلان , وأبنه ملكشاه فترة تزيد عن الثلاثين سنة , إنتهت مع وفاة السلطان ملكشاه سنة (485هـ/1092م) , ومقتل الوزير نظام الملك في السنة نفسها [2] .

يبدو أن شرف الزمان طاهر المروزيّ قد بدأ الكتابة بعد وفاة السلطان ملكشاه , حيث يشير إليه ضمن مقالات الكتاب وأبوابه بعد ذكر اسمه بعبارة (رحمه الله) صراحة [3] .

وجاء في مقدمة ترجمة كتاب زين الأخبار من اللغة الفارسية الى العربية , أن كتاب (طبائع الحيوان) للمروزيّ قد انتهى مؤلفه من تأليفه سنة (514هـ/1120م) [4] , وذكر المروزيّ[5] في ملحق المقالة الأولى قائلاً :- " ... حمل بعضهم إلى حضرة السلطان الأعظم قرناً واحداً من قرونها – النمل الفرسان – وكان على ما وصفنا , ووزنّاه فكان وزنه ثلثي درهم , فقضينا منه العجب , وذلك في شهور سنة أربع عشرة وخمسمئة " , وبذلك يؤكد انه استمر

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص1 .
[2] حسن , تاريخ الإسلام السياسي , ج4 , ص36 0
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 74 , 79 , 0107
[4] الغرديزيّ , زين الأخبار , ص36 .
[5] منيورسكي , في الصين والترك والهند , ابواب منتخبة من كتاب طبائع الحيوان , ص71 .

بخدمة السلطان سنجر معز الدولة ابو الحارث لأوقات طويلة , بعد موت والده السلطان ملكشاه .

وعلى العموم تكون مدة تأليف كتاب (طبائع الحيوان) بين سنة (485هـ/1092م) تاريخ وفاة السلطان ملكشاه , وحتى قبيل وفاة المؤلف , أي في عصر السلطان سنجر معز الدولة أبو الحارث , الذي قبض على زمام الحكم السلجوقي مدة واحد وأربعين عاماً (511-552هـ/1117-1157م) [(1)] , وقد ذكره المروزي بعبارة (خلد الله ملكه) [(2)] , وعليه يبدو ان الكتاب لم يكن مكتملاً سنة (514هـ/1120م) , ربما تم خلال هذا الوقت الجمع والتسويد , أما تبييض الكتاب وإتمامه فكان بعد ذلك .

خامساً - مخطوطات الكتاب :-

لم يخلف شرف الزمان طاهر المروزيّ أي مصنف آخر , مخطوطاً كان أم مطبوعاً او مفقوداً , ومصدره الوحيد هذا الكتاب (طبائع الحيوان) , الذي يتسم بالموضوعية والشمولية , خاصة أنه حافل بالموضوعات , غزير المواد وتنوع العلوم والمعارف الطبيعية والعلمية والانسانية , ومن اشار اليه لأول مرة في العصر الحديث (1296هـ/ 1879م) هو الطبيب الفرنسي لوسين لوكليرك [(3)]في كتابه الموسوعي (تاريخ الطب العربي) , إلا أُنه لم يطبع لحد ألآن طبعة حديثة ومتكاملة , ولم يُحقّق إلى الآن تحقيقاً علمياً شاملاً بجميع مقالته الخمس , وإنما حقق منه المقالة الاولى بعنوان (في ذكر الانسان وأنواعه وطبقاته من اعلى مراتبه الى ادنى منازله) دراسة وتحقيق , كأطروحة دكتوراه في معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا , للباحث احمد محبس حسن الحصناوي وبأشراف الاستاذة الدكتورة نبيلة عبد المنعم داود وكان ذلك سنة (1413هـ/ 2012م) .

أما مخطوطات الكتاب المتوافرة حالياً فهي التالي :-

1- نسخة جامعة كاليفورنيا , الولايات المتحدة الامريكية , تحمل الرقم 52 , وتقع في مئتين وخمس وستين ورقة , كل ورقة بصفحتين , بمقياس 250 ×150ملمتر ,

---

(1) حسن , تاريخ الإسلام السياسي , ج4 , ص37 .

(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص220 .

(3) طبيب ومستشرق فرنسي , ترجم امهات الكتب الطبية العربية الى اللغة الفرنسية , أهمها كتاب (الجامع لمفردات الادوية) للطبيب ابن البيطار , وقد ألف لوسيان كتابه الموسوعي (تاريخ الطب العربي) سنة (1296هـ/ 1879م) وكان باللغة الفرنسية , تضمن التعريف بعلماء الطب العرب , ودورهم التاريخي في مجال الطب , اعيد طبعه للمرة الثانية في المغرب سنة 1980م ,.

ومسطرها واحد وعشرين سطراً , كل سطر يحتوي على معدل عشر كلمات , وهي طبعة حجرية بخط النسخ , تمكن الباحث من الحصول على نسخة منها , لكن يبدوا فقدت بعض الصفحات في آخرها فقط , وذلك لان نهايتها مقتضبة اقتضاباً , وليس لها ختام كما هو الشأن في جميع الكتب الكاملة .

2- مخطوطة مستلة تحوي خمسة أبواب من المقالة الأولى من كتاب (طبائع الحيوان) , هي أبواب الصين , والترك , والهند , والحبشة , وأهل الأطراف البعيدة والجزائر , نشرت مصورة , ووضع لها مقدمة باللغة الانكليزية , وصدرت عن الجمعية الملكية الأسيوية في المملكة المتحدة , مدينة لندن سنة 1942م , بعنوان (في أبواب الصين والترك والهند , أبواب منتخبة من كتاب طبائع الحيوان) , وقد حققها ونشرها المستشرق منيورسكي[1] , ولكن العنوان لم يكن شاملاً لمضمون الكتاب , إذ لم يتطرق إلى باب الحبشة , وباب في صفة أهل الأطراف البعيدة والجزائر الواردة ضمن محتويات المخطوطة , وهناك قطع في أرقام تسلسل الصفحات , ووجود ملحق بصفحة واحدة لم يعثر عليه في نسخة جامعة كاليفورنيا , لذا أُعتمد على نسخة جامعة كاليفورنيا - وترقيم أوراقها لسد النقص الحاصل في مخطوطة المستشرق منيورسكي ومطابقة النسختين , لتحقيق الفائدة المرجوة من هذه الدراسة على أحسن صورة , ويبدوا أن المستشرق منيورسكي اراد من هذا الاستلال خدمة لأعماله التخصصية من جهة , ولتسهيل قراءته على القراء من جهة أخرى .

3- نسخة من المخطوطة في مكتبة الهند الرسمية , اكتشفها المستشرق آرثر جون اربري[2] (1905-1969م) , وهي نسخة متضررة غير مكتملة النهاية [3] .

---

[1] مستشرق روسي , (1877-1966م) , متخصص في تاريخ إيران واسيا الوسطى الإسلامية , له دراسات متفرقة في مجلات علمية متعددة , وحقق عدة كتب منها , كتاب شرف الزمان طاهر المروزيّ , أبواب الصين والترك والهند من المقالة الأولى من الكتاب , و كتاب حدود العالم لمؤلف مجهول و غيرها . ينظر : عبد الرحمن بدوي , موسوعة المستشرقين , ط3 , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , 1993م , ص581 .

[2] مستشرق انكليزي , تخصص بالتصوف الإسلامي والآداب الفارسية , ولد في انجلترا , قام بنشر العديد من المؤلفات , منها ترجمة للقرآن الكريم , وحقق بعض المخطوطات العربية والإسلامية , وتنقل في مصر وبلاد الشام والهند , درس العربية والفارسية , وترجم منهما إلى اللغة الانجليزية , توفي في انجلترا . ينظر : بدوي , عبد الرحمن , موسوعة المستشرقين , ص5 ؛ عبد الستار , الصين في مخطوطة طبائع الحيوان , ص7 .

[3] عبد الستار, الصين في مخطوطة طبائع الحيوان , ص 7 .

4- نسخة أخرى مخطوطة في المتحف البريطاني , وهي نسخة متطابقة للنسخة التي اكتشفها المستشرق آرثر جون اربري , وهي متضررة أيضاً [1] .

سادساً - الغرض من تأليف الكتاب :-

جرت عادة معظم المؤرخين العرب المسلمين الذين عاصروا شرف الزمان طاهر المروزيّ أو عاشوا قبله , بالكلام على أسباب تأليف مصنفاتهم , لذا يقول المروزيّ في مقدمة كتابه (طبائع الحيوان) عن أسباب تأليف مصنفه [2] " لما كان الحيوان أشرف موجود في العالم السفلي , أحببنا أن نفرد له كتاباً نذكر فيه أجناسها وأنواعها وأشخاصها وفصولها وأحوالها وأوصافها وأخلاقها ومساكنها ومنافعها ومضارها وتنافرها وإتلافها وتعادلها وتصادقها , فجمعنا في هذا الكتاب منها بما انتهى إلينا علمه وتيسر لنا السبيل إلى معرفته " , لذا نجد أن السبب الأول لتأليف الكتاب هو الرغبة والدافع الذاتي .

ويبدو من فحوى كتاب (طبائع الحيوان) , أن المروزيّ كان مختصاً بعلم الحيوان وكيفية معالجته وكان مقر عمله في بلاط الدولة السلجوقية , ويظهر ذلك من خلال مجمل مقالاته الأربعة الأخيرة وأبوابها التي أراد فيها كتابة خلاصة وافية لحياة الحيوان كما جاء في مقدمة الكتاب , أضافة لمهارته بعلوم التاريخ والجغرافية والعلوم الأخرى في المقالة الأولى , وكان لذلك الأثر الكبير في توجهاته العلمية والفكرية التي كانت تلبي حاجة المجتمع الثقافية انذاك وفقاً لمتطلبات عصره .

كما أن من الاسباب التي دعت المروزيّ الى تأليف كتابه هو النمط السائد في كتب الطبائع , إذ يظل النمط المميز هو وصف طبائع الحيوان والمسالك , والذي يقابله في اليونانية تسمية (كوزمو غرافيا) [3] .

ويرى الباحث انه جهد ضخم موسوعي خُصص لدراسة الأنسان والحيوان وما يتصل بهما , حاول المروزيّ فيه جمع شتات علوم مختلفة لتحتويها صفحات كتابه , والى الدرجة التي وصل فيها العلم في عصره , كما يبدو أنه أراد من ناحية أُخرى أن يكون شاملاً يحتوي كل ما جمعه من معارف خلال تحصيله العلمي , بصورة واسعة محيطة , ولا يقتصر على مادة واحدة , أو موضوع واحد , لغرض إغناء القارئ , وإلا يمكنه التوجه الى المصنفات الأُخرى , لإكمال ما يحتاج اليه , وأن يقترن اسمه بالمؤرخين العرب المسلمين الكبار القدامى والمعاصرين له , وأن

---

(1) عبد الستار , الصين في مخطوطة طبائع الحيوان , ص 7.
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 1 , 2 .
(3) الحصناوي , المقالة الاولى في ذكر الانسان , ص 66.

يلبي حاجة السلطان و المؤرخ والجغرافي والرحالة والطبيب والقارئ , بكل ما وصل اليه وخبره خلال حياته العلمية الطويلة .

وكذلك نجد أن المدة السياسية التي عاصرها المروزيّ , شهدت الكثير من المظاهر الحضارية , وصار عهد الدولة السلجوقية امتداد للحضارة العربية الإسلامية , فعلى الرغم من انشغال السلطان السلجوقي ألب ارسلان , بالحروب الداخلية والخارجية , إلا أنهُ اهتم بالعلم والعلماء , وأنفق عليهم الأموال مما ادّى الى يسر في حياتهم المادية [1] .

ومما يدعم هذه الصفات للسلطان السلجوقي ألب ارسلان , هو تقريبه للعالم والوزير نظام الملك الطوسي , صاحب كتاب (سياستنامة او سير الملوك) , وإليه يعود الفضل بإنشاء إحدى عشرة مدرسة تسمى بالنظاميات , وأختار لها نظام الملك كبار العلماء , وتوزعت هذه المدارس بين مدن العراق وخراسان حتى قيل إنهُ كان في كل مدينة من مدن العراق وخراسان مدرسة [2] , وكان يجري عليها الأرزاق للطلاب والعلماء والموظفين[3] , وألفت الكتب في هذه المدارس وقدمت له [4] .

وقد يكون سبب انشاء هذه المدارس رداً سياسياً ومذهبياً على الدولة الفاطمية في مصر , بعد أن نهض الجامع الازهر في مدينة القاهرة من سنة (359هـ / 969م) , في عهدهم بالتعليم في مختلف العلوم [5] .

اتخذ السلطان ألب ارسلان , الوزير نظام الملك أباً ومستشاراً له في أعماله , ثم أصبح قيّماً ووزيراً للسلطان ملكشاه , بوصية من والده السلطان ألب ارسلان , وواصل عمله هذا طوال ثلاثين عاماً , وهي فترّة حكم السلطانين ألب ارسلان ,

---

[1] البنداري , تاريخ الدولة السلجوقية , ص59 .
[2] الرحيم , عبد الحسين , الخدمات العامة في بغداد (400- 656هـ / 1009- 1258م) , ط1 , دار الشؤون الثقافية العامة , العراق , بغداد , , 1987م , ص 603 .
[3] محبوبة , نظام الملك , ص12 .
[4] ابن الأثير , الكامل في التاريخ , ج10 , ص77-78 .
[5] الطيباوي , عبد اللطيف , محاضرات في تاريخ العرب والاسلام .ط 1 , دار الاندلس , لبنان , بيروت , 1963م , ص 23 , 24 .

وابنه ملكشاه الذي توفي سنة (485هـ/1092م) [1] , وكان يتشبه بوالده في تقريب العلماء والفقهاء [2].

ومن خلال دراسة مجمل مقالات وأبواب كتاب (طبائع الحيوان) للمروزيّ , يشاهد أنه كان مرافقاً وملازماً للوزير نظام الملك الطوسي , حتى مقتل الوزير بالسنة نفسها التي توفي فيها السلطان ملكشاه ابن السلطان ألب ارسلان (485هـ/1092م) [3] , وكانت طائفة الموظفين في العصر السلجوقي من اظهّر الطبقات , بعد طبقة السلاطين والأُمراء , وكان همّ الوزير نظام الملك أن يدقق في اختيار الموظفين , فيختار من كان أغزر علماً منهم وأعف يداً وأقل طمعاً [4] , ويبدو ان هذه من صفات شرف الزمان طاهر المروزيّ مما جعله مقرباً من الوزير نظام الملك الطوسي حتى وفاته , وأن يستفيد من تشجيع سلاطين السلاجقة والوزير نظام الملك الطوسي للعلماء والأطباء , وحصوله على الهبات والعطايا [5] , وكان مجلس الوزير نظام الملك يضم فحول العلماء في شتى فنون المعرفة , ورتب لهم رواتب ثابته تصرف لهم بانتظام [6] ما جعل التنافس بين العلماء قائماً للكتابة والتأليف [7] .

ولابد من أن يذكر هنا انّ المروزيّ سكن مدينة مرو , التي كانت مركزاً ثقافياً كبيراً كما مر بنا وفيها نشأ وتلقى العلوم , إذ يقول ياقوت الحموي [8] " خرّجت مرو من الأعيان والعلماء والدين والأركان مالم تخرّج مدينة مثلهم " , ما جعلها حافزاً للعلماء للنشر والتأليف .

---

[1] ابن الجوزي , المنتظم , ج8 , ص279 .

[2] رايس , تامارتالبوت , السلاجقة , تاريخهم وحضارتهم , د.ط , تر , لطفي الخولي , إبراهيم الداقوقي , مطبعة الإرشاد , العراق , بغداد , 1968م , ص31 .

[3] ابن الجوزي , المنتظم , ج9 , ص74- 79 .

[4] نظام الملك , الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي (ت485هـ /1092م) , سياستنامة أو سير الملوك , ط2 , تر , يوسف حسين بكار , نشر دار الثقافة , قطر , الدوحة (1407 هـ / 1978م) , ص 70 .

[5] البيهقي , ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد (ت 465هـ/ 1072م) , تاريخ حكماء الإسلام , د.ط , تح , محمود كرد علي , مطبوعات المجمع العلمي العربي , سوريا , دمشق , 1946م , ص7.

[6] البنداري , آل سلجوق , ص 56.

[7] ابن القلانسي , ابي يعلى حمزة بن ابي علي التميمي , (ت 555هـ / 1160م) , ذيل تاريخ دمشق , د.ط , تر وتعليق , الدكتور محمد العزاوي , مكتبة المثنى , مصر, القاهرة , 1975م , ص 121 .

[8] معجم البلدان , مج5 , ص114 .

ولا نستبعد رغبة السلطان ملكشاه بالحيوانات وتربيتها وصيدها , فذكر أنه بنى منارة القرون في مدينة الكوفة من صيده , وبنى مثلها في بلاد ما وراء النهر , زاد ما صاده بنفسه عشرة الاف حيوان , فتصدق بعشرة الاف دينار[1] .

وخلاصة القول أن تلك الاشارات ربما كانت من ضمن الدوافع والحوافز التي شجعت وقتها المروزيّ على تأليف كتابه (طبائع الحيوان) وخاصة الأبواب الثلاثة - بحث الدراسة - من خلال معرفة الأوضاع السكانية والاقتصادية والدينية والاجتماعية , ومستويات التحضر التي وصلت أليها تلك البلاد في ذلك العصر , و تغطية حاجة السلطان عن تاريخ ومعارف بلاد الصين والترك والهند .

سابعاً - ترتيب الكتاب وتقسيمه :-

يقع كتاب طبائع الحيوان لمصنفه المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ في مجلد واحد , وقسم منهجياً على مقدمة عامة يذكر فيها السبب الذي دفعه الى تأليف الكتاب , ثم تأتي بعدها مقالات كتابه , وقد جعلها خمس مقالات :-

المقالة الأولى :- قدّم المروزيّ في هذه المقالة أحوال الأمم التي عاصرها , وما زالت حية باقية محافظة على تراثها وأمجادها حتى ظهور الاسلام , إضافة إلى العلوم الأخرى .

ودّون المروزيّ في دراساته تلك اسهامات قيمة وبحوثاً على درجة عالية من الأصالة والتعمق , كان وما زال اكثرها مواضيع دراسة واهتمام من قبل العلماء والدارسين في العصور السابقة وحتى في عصرنا الحاضر , وهذه الابواب سجل قيّم تبحث في ذكر الإنسان وأجناسه وطبقاته وجغرافيته وظروفه الاجتماعية والنفسية والطبية , ومن أعلى مراتبه إلى أدنى منازله , من حيث هو أحد المخلوقات التي يتكّون منها هذا العالم , تشتمل على أثنين وعشرين باباً وهي :-

1) **الباب الأول**

في ذكر الأنبياء (عليهم السلام) ومراتبهم , قسمه المروزيّ على مرتبتين , الأعلى مرتبة هو الأنسان , والأدنى مرتبة وهو النبات [2] .

2) **الباب الثاني**

في ذكر المتنبين المبطلين , تضمن المتنبين عبر العصور التاريخية , وقسم هذا الباب الى قسمين , الاول أعلى الدرجات وهم الانبياء , والثاني أدنى

---

[1] أبن الجوزي , المنتظم , ج9 , ص 70 ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج8 , ص 323 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 3 - 6 .

الدرجات وهم المجانين , وبينهم المتشبهة بالأنبياء, قدم المروزيّ من خلاله الدعاة الاسيويين من بلاد فارس وبلاد العرب [1] .

3) الباب الثالث

في ذكر الملوك وعدهم الدرجة التالية للأنبياء , وقسم الباب على قسمين , فمنهم من يقترن كالأنبياء داود وسليمان ويوسف , ومنه من ينفرد بالملك فقط , وضمن هذا الباب بحديث مطول عن الاسكندر المقدوني[2] , كانت معظم معلوماته مقتبسة عن البيروني [3].

4) الباب الرابع

في ذكر العلماء العلوم , وقد قسم الباب الى قسمين , الاول العلوم العليا وصنفهم بورثة الانبياء , والثاني أصحاب العلوم الدنيا , وهم ذوو الحرف والمهن [4] .

5) الباب الخامس

في ذكر الصوفية والزهاد , قدم خلاله مراتب الصوفية وطرقهم [5] .

6) الباب السادس

في ذكر أخلاق الناس , معتمداً على مرويات من التراث العربي , وقصص الاسكندر المقدوني [6] .

7) الباب السابع

في أهل فارس , ينتقل المروزيّ في هذا الباب الى المادة التاريخية والجغرافية في مباحثه , فيستعرض أهل فارس – سرة الارض – متحدثاً عن خط الاستواء وطبائع أهله [7] .

8) الباب الثامن

في ذكر أهل الصين [8]

9) الباب التاسع

في ذكر الترك وأهله [9] .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 6- 15 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 15 - 19 ؛ .
[3] الحصناوي , طبائع الحيوان , المقالة الاولى , ص 68 .
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 19- 23 .
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 23 - 29.
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 23 - 29.
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 29 -33.
[8] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 33 -50 .
[9] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 50 -59 .

10) الباب العاشر

في ذكر الروم إذ بين المؤلف اعجاباً بالرومان واليونان , مستعرضاً وصف الرحالة هارون بن يحيى , الذي أخذ اسيراً الى بلاد الروم سنة (288هـ/ 900م) على تقدير الوصف [1], وأضاف المروزيّ أخبار التجار والرحالة والمغامرين [2] , .

11) الباب الحادي عشر

في ذكر العرب , محدداً موقعهم الجغرافي وعمقهم التاريخي وعلومهم وأخلاقهم وطبائعهم وطعامهم [3] .

12) الباب الثاني عشر

في ذكر الهند [4]

13) الباب الثالث عشر

في ذكر الحبشة [5] .

14) الباب الرابع عشر

في ذكر خط معدل النهار والاستواء [6] .

15) الباب الخامس عشر

في أصحاب الجزائر والأطراف [7] .

16) الباب السادس عشر

في مساكن الجنوب [8] .

في هذه الابواب الثاني عشر, والثالث عشر , والرابع عشر, والخامس عشر , والسادس عشر , انطباعات للفكر العربي اتجاه البلاد ذات الأمزجة القريبة من الاحتراق , وقد ابدع المروزيّ في نقل الواقع الجغرافي لتلك البلاد النائية [9] .

17) الباب السابع عشر

في ذكر الطبيعة [10] .

---

[1] ابن رسته , الاعلاق النفيسة , ص ص 119 – 130 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 59- 64.
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 64-75 .
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 75 - 89 .
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص89 - 92.
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 9- 94.
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 94- 97 .
[8] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص97 - 101.
[9] الحصناوي , طبائع الحيوان , المقالة الاولى , ص69 .
[10] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 101 - 106 .

18) الباب الثامن عشر

في ذكر الذكورة والأنوثة [1] .

في البابين السابع عشر والثامن عشر يتجه المروزيّ الى الطب والانثولوجيا , فيتحدث عن الصفات الذكورية والانثوية في طبيعة فسلجة الجسم , والتشريح ونمو الجنين .

19) الباب التاسع عشر

في صفة الخصيان , عرض فيه الحالات غير الطبيعية في السلوك البشري وهم الخصيان والغلمان [2] .

20) الباب العشرون

في طول الأعمار وقصرها [3] .

21) الباب الحادي والعشرون

في العادات [4] .

في الباب العشرون والباب الحادي والعشرون , يقدم المروزيّ الطبيعة البشرية لطول الاعمار وقصرها وعادات الشر المكتسبة .

22) الباب الثاني والعشرون

في منافع عظم الإنسان [5] , وهو مبحث طبي ختم فيه المروزيّ المقالة الاولى ليكون مدخلاً لمقالته الاخرى من الكتاب [6].

والابواب بعمومها مكملة بعضها البعض في الترتيب وتسلسل الافكار , فلم يخرج المروزيّ في هذه الابواب عن السياق النهجي لمقدمته , ومن هذه المقالة أخترنا أبواب - الصين والترك والهند - , ماده منتخبة لدراسة منهجيتها ومواردها لدى المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ من كتابه (طبائع الحيوان) , والتي تعد من أهم ابواب الكتاب , تحدث فيها عن الشرق الاقصى لقارة اسيا , وأهمها بداية تواجد المسلمين في بلاد الصين , والطرق والمستعمرات , واهم المدن والطرق البرية والبحرية فيها , التي كانت مبهمة في رحلة ابي دلف ورواية اسلام الروس , ورواياته عن هجرات شعوب اسيا الوسطى .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 106 - 125.

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 125- 130.

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 130- 135 .

[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 135- 139.

[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 139- 143 .

[6] الحصناوي , المقالة الاولى في ذكر الانسان , ص 70 .

أما بقية المقالات والأبواب في الكتاب ندرجها في أدناه للإفادة .

المقالة الثانية :- تبحث في ذكر البهائم , والوحوش , والسباع , وذوات القوائم الأربعة , وهي تشتمل على خمسة وثلاثين باباً [1] .

المقالة الثالثة :- في الطيور البرية والبحرية , وهي تشتمل على باب واحد [2] .

المقالة الرابعة :- في الحشرات , وهي باب واحد [3] .

المقالة الخامسة :- في الحيوانات البحرية وهي باب واحد [4] .

قدم المروزيّ إلى المكتبة العربية الإسلامية والحضارة الانسانية , ثروة علمية عظيمة الأثر, ووثيقة تاريخية مهمة , وهنا يمهد الجادة لمن يأتي فيما بعد فيرغب بإكمال دراسة بعض من أبواب هذا الكتاب , فالمقالات والأبواب خارج بحث هذه الدراسة من كتاب طبائع الحيوان , إذا ما بحثت ودرست دراسة جديدة ومعمقة , ستكون النتائج جيدة ومثمرة , فكتاب كهذا جدير بأن تظهر كنوزه وتفتح أبوابه .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 143- 299

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص299- 396 .

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص396-475.

[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص475 - 518 .

المبحث الثانـــي

منهجية المؤلف في عرض مادته في الأبواب الثلاثة

النهج والمنهج والمنهاج كلها بمعنى واحد , وهي تعني الطريق الواضح , يقال النهج الطريق الواضح أي استبان وصار شيئاً واضحاً بيناً , ونهجت الطريق أيضا أذا سلكته [1] , فهو يعني السبيل الفكري , والخطوات العملية التي يتبعها الباحث في مساره بقصد تحصيل العلم .

أما المنهج في الدراسات التاريخية , فانه يعني القواعد والشروط التي يجب مراعاتها عند معالجة أي حدث تاريخي , سواء بالكتابة أم بالتأليف , أو بالدراسة والتعليم , وهذه الشروط تتناول الكاتب ذاته , كما تتناول المصادر التي يستمد منها , كما أنها تعني الغاية والهدف من الدراسة والتأليف , وتعني كذلك بالأسلوب والمصطلحات [2] .

من المؤكد أن شرف الزمان طاهر المروزيّ قد أدرك ما وصل أليه علما التاريخ والجغرافية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي عند العرب المسلمين , كما بينا سابقاً , فسار علي هذا النهج في كتابة المقالة الاولى من كتابه (طبائع الحيوان) , وباهتمامات متعددة في ذكر الإنسان وأنواعه وطبقاته , من أعلى مراتبه إلى أدنى منازله , تشتمل على مواضيع ومظاهر حضارية عالمية , على جانب كبير من الأهمية , أعطى لكل حضارة من حضارات العالم القديم باباً خاصاً , وقام بتدوين صورة في مقدمة كتابه عن أقاليم الأرض السبعة ووضع المعمور عليها , ودون البحار والأنهار والجبال والمسالك البرية والبحرية المشهورة في كل إقليم وحدوده من بين الأقاليم [3] .

وهناك أبواب أُخرى في هذه المقالة لم يتم التطرق إليها في هذه الدراسة , تحتوي على بلاد وأمم ومواضيع علمية اخرى , أوردنا عناوين هذه الأبواب في المبحث الأول من هذا الفصل , والهدف من ذلك اخذ نموذج من كتاب (طبائع الحيوان) لكشف منهجية المروزيّ ودراستها و موارده في كتاباته التاريخية , ولذا

---

[1] الجوهري , إسماعيل بن حماد , (ت 398هـ / 1007م) , الصحاح , ط2 , تح , احمد عبد الغفور عطار , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , د. ت , ج1 , ص346 .
[2] السلمي , محمد صايل , منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه , ط1, دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع , مصر , المنصورة , 1408هـ / 1988م , ص 83 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص1 .

فإن اهتمامنا سيتركز هنا على ما تضمنته الأبواب الثلاثة المنتخبة فقط , أما بقية الأبواب التي تشتمل أخبار الأمم الأخرى وتواريخها وبشكل كامل وموسع لا يمكن الإحاطة بتفاصيلها , وإلقاء الضوء عليها في مثل هذه الدراسة , وتحتاج الى دراسة منفصلة .

لذا يجب أن ينوه هنا أن هناك دراسة عالجت جزءاً من المقالة الأولى , أعدّها وقدّمها الدكتور عبد الحميد صالح حمدان بعنوان , المقالة الأولى في أحوال الإنسان وحضارته , وهذه المقالة اشتملت على ثلاثة عشر باباً من أصل واحد وعشرين باباً , احتوتها المقالة الأولى , تناولت جوانب مختلفة من فكر وتراث المروزيّ من كتابه (طبائع الحيوان) , لكن لم يكن بينها دراسة مخصصة لفحص منهج المروزيّ التاريخي , ولم تكن في مستوى التحقيق الذي قدمه الدكتور الحصناوي الذي نوهنا عنه سابقاً , فيمكن الرجوع إليه لمن أراد الاستقصاء في هذا الجانب , وقد صدر الكتاب من دار الكتب بالقاهرة بطبعة أولى فقط ومن دون تاريخ .

اولاً- منهجية المروزيّ :-

يقول روزنتال [1]عن منهجية المؤرخين , إن لكل مؤرخ منهجية :- " محددة واضحة المعالم قبل الشروع بأي بحث " , وعليه فان المروزي قد اختط لنفسه منهجاً يميزه من غيره من المؤرخين العرب المسلمين الذين عاشوا قبله و في عصره , وذلك من حيث أختياره المنهجية والأسلوب في عرض الأخبار وتنظيمها , لذا لا بد لنا من أن نلقي بعض الأضواء على أسلوبه وطريقته في الكتابة وموارده , وأن نرى أي الأساليب أقرب إلى نفسه وأيهما كان له الحظ والتأييد من جانبه .

ومؤرخنا شرف الزمان طاهر المروزيّ , من المؤرخين الذين لديهم إحساس تاريخي , وإدراك شديد لما يقدمه ويعرضه من مادة تاريخية , وتدقيق أسلوب هذا المؤرخ يضعه في مكانة جيدة بين أقرانه ممن نالوا الشهرة في عصره , فأسلوبه تميز بالتصوير الدقيق والملاحظة القوية في أسلوب عال مرسل , ولغته العربية رائقة وأنيقة العبارة والتراكيب , تامة المعنى , تكاد تكون سلسة أصيلة حسنة , يسهل على القارئ فهمها , وابتعد عن السجع والتكلف في اللفظ في معظم الأحيان , ويستخدم أساليب مشوقة وجذابة , وبعض الغرائب والنوادر نجدها في أثناء أبوابه , ربما حتى يستطيع أن يستحوذ على ذهن القارئ , فيملكه لئلا ينتقل إلى غيره من المصادر , ويدب الملل والسأم إلى نفسه , تكاد تكون رواياته خالية

---

[1] مناهج العلماء المسلمين , ص 16 .

من الألفاظ الغريبة والأعجمية التي تشكل على القاريء وتشغل تفكيره , والمحسنات البديعية التي تثقل كاهل الأسلوب وتقيد الأفكار , وحسن الوصف للروايات والحوادث التي ينقلها مما يساعد على فهم الحقائق التاريخية على وجهها الصحيح .

أمّا الشعر فأن المروزيّ لم يستشهد في الأبيات الشعرية عند نقله للحوادث التاريخية في الابواب الثلاثة - بلاد الصين والترك والهند - إلا أن الإقتباسات الشعرية نجدها واضحة في الباب الحادي عشر , من المقالة الأولى - في ذكر العرب - وهو خارج بحث الدراسة , وبذلك يطابق منهجية المؤرخين العرب المسلمين البارزين قبله والمعاصرين له , إذ يقول المستشرق فرنتز روزنتال [1] :- " أنه يندر أن نرى كتاب تاريخ خالياً تماماً من الاقتباسات الشعرية " .

وإذا استثنينا ألفاظ النقد وبداية النقل عند المروزيّ , فإنه أبتعد عن التكرار وإعادة الألفاظ , والفصاحة عنده إيضاح بإيجاز واختصار , نحو قوله [2] :- " وأهله أحذق الناس بالصنائع المهنية " , وقوله [3] :- " وقد رايت رجلا ذا حبكة قد دخل الصين " , وقوله أيضاً [4] :- " وهو جالس على عجلة يحبسها اذا شاء ويرسلها اذا شاء " , وقوله أيضاً [5] :- " خلصوا نجيا وتوجهوا نحو الشرق ", وقوله [6] :- " ولم تثبت لهم قدم في شيء من ديار الاسلام " , وقوله [7] " يديمون الجولان ويقتفون الاثار " , وقوله ايضاً [8] :- " ولئن شسعت الديار لقد تدانت القلوب " .

يلاحظ أن المروزيّ قد قدم جزء من تاريخ الدولة العربية الاسلامية , وتاريخ الامم العالمية الاخرى , وعلى درجة عالية من الوعي في كتابة التاريخ , كان قد ذكر أبواباً أخرى غير الأبواب الثلاثة بحث الدراسة , في ذكر الأمم العالمية التي عاصرها المروزيّ ومواضيع علمية أُخرى , ركز في ملاحظاته على إبراز العناصر الحضارية والفكرية في تاريخ تلك الأمم , مما يشجعنا على القول أن

---

(1) مناهج العلماء المسلمين , ص 97.
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص35 .
(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 36.
(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 37.
(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 38.
(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 38.
(7) المروزيّ, طبائع الحيوان , ص 25.
(8) المروزيّ, طبائع الحيوان , ص 41.

المقالة الأولى من كتاب طبائع الحيوان للمروزيّ , يعدّ من المحاولات الجادة في تثبيت دعائم فن الكتابة , في مجال التاريخ العالمي المتصل بصلب الشعوب القديمة وقلبها , بأسلوب عربي فصيح بعيد عن العامية .

قدم المروزيّ بعض الروايات بشكل ملخص ومختصر في الأبواب الثلاثة , وجعله لا يتابع الكثير من الأحداث فيها , وهذا يؤدي إلى الاخلال بمضمونها , وتجعل القارئ لا يكتفي بها , ويبقى مشتاقاً للبحث عن هذه المرويات في المصادر الأخرى أكثر من الموجود لدى المروزيّ , إلا أن الاختصار والإيجاز في بعض الروايات لا يخل بسياق الأحداث , ولا ينقص من المعلومات المهمة الأُخرى , إذ أن اختصاره في بعض الروايات يكون عن عدم التوسع بذكر التفاصيل , وربما أراد من ذلك ان يكون كتابه موسوعياً مع الحرص على عدم تضخيم كتابه قدر الإمكان .

أما في كتابات المروزيّ الجغرافية فإن نشاطه في هذا المجال وجهده واضح كل الوضوح , فمن مميزات منهج المروزيّ انه كثيراً ما يذكر الموقع الجغرافي للمكان الذي يورد روايته عنه , مما ساعد على فهم تفاصيل الرواية , بل يوصل إلى تصوير معالم مكان الرواية , فقد أعطى وصفاً دقيقاً لشكل الأقاليم السبعة , والموقع التقريبي لبلاد الصين , ضمن ثلاثة من هذه الأقاليم [1] , ووصفه بعض المدن والطرق البرية والبحرية في بلاد الصين والمسافات بينها [2] , وأهم الموانئ

البحرية ومواقعها[3] , إضافة الى تحديد موقع بلاد التبت [4] والهند [5] , لكنه سكت عن تحديد حدود بلاد الترك [6] , ربما بسبب عدم استقرار قبائل الترك وحركتها المستمرة صيفاً وشتاء بحثاً عن القطر والكلأ .

لكن هذه الكتابات الجغرافية تفتقر إلى حسن التبويب والتنظيم , فقد وردت مشتتة ومنثورة في أثناء الأبواب الثلاثة , لا تستند على أساس في تشكيلها , ومثال ذلك كما بيّنا سابقاً أنه يتحدث عن الأقاليم السبعة وموقع الصين منها , ثم ينتقل فجأة إلى موضوع حذق أهل الصين في الصناعة [7] , ثم إلى الجانب الاجتماعي لدى

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 33 , 34.
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 34 , 35 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 42.
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 48.
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 58.
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص49 , 50 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص35 .

أهل الصين [1] , وأنواع التجارات فيها [2] , بعدها يعود ثانية إلى وصف مدن الصين [3] , والطرق البرية فيها وموانئها [4] .

ومهما يكن من أمر , فإن هذه المعلومات الجغرافية في الأبواب الثلاثة , لو نسقت بطريقة علمية منظمة , مع المعلومات الجغرافية في الأبواب الأخرى من المقالة الأولى من كتاب طبائع الحيوان , لظهرت لنا ملاحظات وأفكار جغرافية قيّمة , ربما بزّ فيها المروزيّ بعض أقرانه من الجغرافيين العرب المسلمين , وعُدّ من البارزين منهم في القرن الخامس الهجري / الحادي العشر الميلادي .

وعلى العموم فإن المروزيّ كان مبدعاً في منهجه , مقدّماً على وضع تاريخ متكامل , يعالج فيه شؤون الحياة والناس في بلاد الصين والترك والهند , فقد ابدع المروزيّ في وصف هذه البلاد وموقعها وحركة القبائل التركية فيها , ومنطلقاً فيه إلى آفاق رحبة واسعة محيطة في قارة آسيا غير محصورة أو مقيدة بزمان أو مكان .

ثانياً - أساليب عرض الروايات :-

عرض المروزيّ مادته العلمية في هذه الأبواب حسب الموضوعات , قوامها البلاد التي تدور فيها الأحداث , ويبدو أنهُ استحسن هذه الطريقة ولاقت هوى ورغبة لديه لتميزها بالترتيب والتنظيم فاستخدمها في عرض مادته العلمية , وفي جميع مقالات الكتاب الاخرى وأبوابه , وهكذا يقرأ أن المروزيّ قد جمع الحوادث التاريخية , وما يتعلق بها من أحوال الشعوب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها , تحت أبواب باسم البلاد والمواضيع التي تصدى لدراستها بهدف أبراز الموضوعات , مما يسهل على القارئ الوصول إلى ما يرغب قراءته دون جهد أو عناء .

يعد المروزيّ من المؤرخين العرب المسلمين الذين جمعوا بين علمي التاريخ والجغرافية , بأسلوب موضوعي وتنظيم وعرض علمي جذاب , وخاصة في بداية الأبواب الثلاثة بحث الدراسة , إذ قدّم مدخلاً جغرافياً لكل بلد , توّسع بالحديث فيها عن جغرافية بلاد الصين , وأوجز في بلاد الترك والهند , وللإفادة يذكر المستشرق

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص35 .
[2] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص 36 .
[3] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص38 .
[4] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص42 .

الالماني فرانتز روزنتال [1] أن هذا الأسلوب أول من وضعه المؤرخ العربي المسلم الكبير أبو الحسن المسعودي , إذ يعد أول من عمّق الصلة والترابط بين علمي التاريخ والجغرافية بكتاب واحد في العصور الاسلامية , وبأسلوب علمي رائع كان يرى أن كلاً منهما مكمل للآخر .

ضمت أبواب الصين والترك والهند , معلومات جغرافية مهمة , منها حدود هذه البلاد البحرية والبرية والحدود المشتركة بينها , وبذلك برزت أهمية المكان للحدث التاريخي والحدود بين هذه البلاد , إذ يكمل كل واحد منهما الآخر , وتداخل الأحداث التاريخية والحدود الجغرافية بحكم الموقع والمكان , وحركة شعوب هذه البلاد فيما بينها .

نظّم المروزيّ مروياته , وعرضها في الأبواب الثلاثة بنجاح , من دون أن يخرج عن وحدة الموضوع , أو يقطع تسلسل الأحداث , وتجاوز بهذا بعض المصادر العربية الإسلامية , التي كانت تأخذ المنهج الحولي في عرض مروياتها , فجاءت الأبواب الثلاثة متسلسلة ومتناسقة وثقافية في أغلب مظاهرها و يتقبلها القارئ بسهولة .

قدّم المروزيّ أبواب الصين والترك والهند في اثنين وأربعين صفحة من صفحات كتاب طبائع الحيوان , تضمنت هذه الصفحات معطيات عن حياة الشعوب الصينية والتركية والهندية وأنظمتها السياسية ومعتقداتها الدينية ومظاهرها الحضارية , وموقع الأقوام وأجناسها التي تسكن في كل بلد من هذه البلدان .

عرض باب الصين في (17) صفحة [2] , وباب الترك في (10) صفحات [3] , وباب الهند في (15) صفحة [4] , وفي تقويم منهج المروزيّ , يُلاحظ أنه لم يتبع منهجاً واضحاً للموازنة في مادته التاريخية بين بلاد الصين والترك والهند , ويشاهد أيضاً أن وصف المروزيّ لأجزاء البلاد الثلاثة – الصين والترك والهند - غير متساوٍ وكمية المعلومات والمساحات الموزعة لكل باب , لقد أختلف تعامله مع أخبار هذه البلاد الثلاثة بحسب أهمية هذه البلاد عن تلك وكثرة أخبارها , فقد كتب في باب الصين وخصص لها صفحات أكثر من باب الهند , والهند أكثر من باب الترك ولو أن الفارق قليل , ولعل المعول على ذلك يبدو تقديره لمقتضيات

---

[1] علم التاريخ عند المسلمين , ط2 , تر , الدكتور صالح أحمد العلي , مؤسسة الرسالة , لبنان , بيروت , 1983م , ص151 .

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 33 - 49.

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 49- 58.

[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 75- 89 .

الظروف والأحوال , و قلة المعلومات العلمية والتاريخية المروية والمدونة التي اعتمد عليها المروزيّ في المدة التي عاش فيها , وخاصة في المناطق البعيدة والنائية , وامتداد بلاد الترك إلى أعماق جهة المشرق من الكرة الأرضية يجمعها اسم تركستان , خرجت من أحشائها قبائل الترك , حيث المعطيات والمصادر الأولية وغلات موارده يبدو أنها كانت قليلة فلم تتجمع لديه موارد كثيرة عنها .

ومن الأخبار التي نقلها المروزيّ وتوسع بها , في خبر أمة الترك وأجناسهم وأنواعهم وقبائلهم وتحدث عن ساكني البلاد والقرى وقاطني البراري والمفاوز , وهذه أيضاً قدّمها في سبع صفحات متسلسلة [1] , وتوسّع أيضاً في موضوع الملل والنحل والأهواء في بلاد الهند , ونظمها بسبع صفحات متسلسلة أيضاً [2] , وتوسع بشرح هذه الفرق الدينية .

ويمكن ان تُفهم ملامح منهجية المروزيّ في انتقاء الحوادث التاريخية من خلال بعض الأمور التي أولاها دقة وعنايه فائقتين , والتي شغلت حيزاً مهماً في تاريخه , لقد انفرد المروزيّ بعرض أربعة نصوص تاريخية مهمة موثقة في باب الصين , انفرد بذكر ترجمتها ولم نجدها عند أسلافه المتقدمين , ولكنه يؤخذ عليه إهماله المصادر التي نقل عنها هذه النصوص التاريخية المهمة , وهي مطولة تقريباً مخالفاً بذلك ما تميز به أسلوبه بالإيجاز نوعاً ما في مجمل رواياته , إلا أن ما يشفع له ذلك أهمية هذه الأخبار والوثائق التي يستطرد في الحديث عنها , وانفراده في عرضها وحفظها لنا , وأولها نص رواية واحدة عن سكن العلويين في بلاد الصين , ثم نصوص الرسائل الثلاث المتبادلة بين الأمير محمود الغزنوي , وبين اثنين من ملوك بلاد الصين – قتاي خان ويغرخان – وكان ذلك سنة (418هـ/1027م) [3] , وننقل نص هذه الرسائل لأهميتها , ننقلها رسماً كما وردت بالكتاب في باب الصين :-

النص الاول [4] :- " ... وأما سبب سكن العلوية في الجزيرة المذكورة فانهم فرقة من الطالبين وقعوا الى خراسان في ايام بني امية واستوطنوها فلما راوا جند من بني امية في طلبهم واقاربهم خلصوا نجيا وتوجهوا نحو المشرق ولم يثبت لهم قدم في شيء من ديار الاسلام خوفا من الطلب وانحازوا الى الصين فلما بلغوا شط الوادي منعهم الرصد عن العبور كعادتهم ولم يكن لهم سبيل الى الرجوع فقالوا

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 49 - 55 .
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 77 - 83 .
(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 41 .
(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 38 - 39 .

ورانا السيف وقد أمنا البحر وكان الحصن الذي في الجزيرة خلا عن أهله لأن الحيات قد كثرت فيه واستولت عليه فقال العلوية مكابدة هذه الحيات أسهل من مكابدة السيوف والغرق فدخلوا الحصن وجعلوا يقتلون الحيات ويرمونها في الماء حتى طهروا الحصن منها في مدة قريبة واستوطنوه ولما علم صاحب الصين أن ليس ورائهم غائلة وأنهم مضطرون الى التمسك بجنابه أقرهم في ذلك الموضع وابعثهم بمعيشة سوغها لهم فسكنوا آمنين مطمئنين وتوالدوا وتناسلوا وتعلموا لسان الصين ولسان غيرهم ممن يفد عليهم وصاروا سفرا لهم " .

النص الثاني[1] :- من ملك قتاي إلى الأمير محمود " عن سلامة إلى أمير خراسان محمود قراخان إن رب السماء خولنا ممالك وجه الأرض العريضة وملكنا نواصي الطوائف الكثيرة فنحن في مقرنا سالمون وبإرادتنا مقتدون وليس في جهات العالم أحد ممن أبصر وسمع إلّا وقد رغب مخالتنا والاتصال بنا وأولاد الاخت أمراء النواحي السفلى يتواتر رسلهم وتتصل الكتب والمهاداة منهم سواه فانه إلى الآن لم يرسل ولم يوفد ونحن نسمع تخرجه في النجدة والبسالة وتقدمه في الاقتدار والجلالة وتراسه على الأمراء بالمهابة وحيازته الممالك بالبطش والأيد , واستقراره بإرادته في الوطن , وكان من الواجب عند امتلاكه الزعامة أن يكتب بخبره الى الخان الأعظم , الذي ليس تحت السماء أجل منه ويطالع بحاله , وقد ابتدأنا نحن ذلك , واقتصرنا على انهاض هذا الرسول , المخف دون من يفوقه بالحال والتجمل لطول المسافة وامتداد المدة في قطعها , وذا وقعت الوصلة مع قدرخان [2] بحرة من صميم البيت زوجته من ابنة جفرتيكين[3] , واتحد البيتان بها , أمرنا قدرخان أن يطرق لرسولنا اليه ولرسوله ألينا , من ذوي الحصافة والعقل والرجاحة , لنلقي أليهما عندنا , ونخاطبه بما لدينا , , ونقيم رسم المهاداة في صحبته , وكان الغرض في انهاض هذا الرسول قلتنكا انفتاح طريق الوصلة واتصال عرى المودة , وما حمل من التذكرة إلا ثوبي خويذ وثوب رونكي وثوب زنكي وثوبي شكردى ذوى قطعين وخمسة عشر ثوبا ذات قطعين من الحرير وفرو سمور[4] ياقو ومأتي

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 40 - 41 .

(2) هو : قدرخان يوسف بن بغراجان خان هارون بن سليمان , ملك الترك في بلاد ما وراء النهر , أستلم الملك سنة (409 هـ / 1018م) , دارت بينه وبين يمين الدولة محمود الغزنوي حروب , أتصف بحسن السيرة , وتوفي سنة (424هـ / 1031م) مخلفاً في الحكم لأبنه عمر , ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج7 , ص 545 , 643 , 754 .

(3) هو : جغري خان حسن (حسين) تكين بن يغراخان , ملك الترك بما وراء النهر , عهد له ابوه بالملك , وجعله ولي عهده , ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج7 , ص 644. .

(4) من الحيوانات النادرة التي تربى في المزارع لفرائها الثمينة , وهو حيوان صغير من فصيلة ابا عرس , ويبلغ طوله 50 سم بما في ذلك الذيل الذي يبلغ طوله 13سم , ولونه بين البني الغامق , واللون المائل للسواد مع قطعة صفراء ضاربة للون الرمادي في باطن العنق , =

سمور والفي سنجاب و ثلثين نافجة[1] مسك و قوسا مع عشر نشابات [2] و كتب الكتاب في سنة الفار" [3].

والنص الثالث كتاب الملك الصيني يغرخان الى السلطان محمود الغزنوي هذه ترجمته [4] :- " عن سلامتنا ايلك الجليل يغرخان الى السلطان محمود نساله على بعد الشقة كيف هو في نفسه فنحن على النواحي السفلى الى بلاد الهند وأنه يواصل ملوك العالم ويواد أصحاب الأطراف فتميل دولتنا إلى مخالة مثله من مشاهير المبارزين ومذكوري كبار الدنيا بالرمي والشجاعة في الخافقين [5] ونحب أن تتأكد المودة والكرامة في البين ولذا كان إرسال هذا الرسول ولئن شسعت الديار لقد تدانت القلوب ونريد أن نرجي باقي العمر على المكاتبة والتحاب ليبقى به حسن الذكر على الأبد فان رغب فيما رغبنا فيه كتب كتابا ووجه رسولا لتتمهد قواعد الالفة به وتتأكد الأحوال بمكانة وقد توجه من قتاي غلام اسمه قلتنكا فانهضنا في صحبته أحد أصحابنا حتى إذا اتفق توجيه أحد ألينا كانوا معا فان ممر رسول قتاي في منصرفة على هذه النواحي ولم يصطحب شيئا من الهدايا اذ لم يكن من الطريق على ثقة ولكنا باسطنا بغلام ونشابة للعلامة وسيؤدي قاشي رسالتنا مشافهة " .

فلما عُرض الكتابان على السلطان محمود الغزنوي ورأى ما فيهما من الرعونة , لم يلبِّ رغبتهما بحسب قوته في الإسلام وصرف الرسولان وقال لهما[6] :- " إن السلم والموادعة إنما يكونان لحسم الحرب والمقارعة بل وليس يجمعنا دين نتواصل به وبعد المسافة يؤمن كل واحد منا معرة صاحبه ولا حاجة بي الى مواصلتكم قبل الاسلام والسلم " , ويذكر صاحب تأريخ الأدب الجغرافي العربي أنّ هذه السفارة لم تسفر عن أية نتائج لان السلطان محمود الغزنوي , رفض أن يدخل في علاقة مع الكفار[7] , ولكنها فيما يبدو قد تركت أثرها العلمي بوصف الطريق بين أراضي الدولة الغزنوية وبين ممالك الصين .

=ويصنع من جلوده الفراء الثمين والمعاطف باهظة الثمن , الدميري , حياة الحيوان الكبرى , ج2 , ص 46 .

[1] نافجة المسك : وعاء المسك , أبن منظور , لسان العرب , ج2 , ص 381 .

[2] الشبابات : الشبابة : نوع من المزمار , القرطبي , محمد بن احمد بن ابي بكر (ت 671 هـ / 1272م) , الجامع لاحكام القرآن , ط2 , تح , احمد عبد العليم البردوني , دار الشعب , مصر , القاهرة , 1372هـ , ج13 , ص 80 .

[3] سنة الفار : من التقويم الصيني .

[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 41- 42 .

[5] الخافقين : المشرق والمغرب , ابن منظور , لسان العرب , ج10 , ص 80 .

[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص42.

[7] كراتشكوفسكي , تاريخ الادب الجغرافي , القسم الاول , ص263.

وخبر هذه السفارة أوردها اولاً الغرديزيّ [1] في حوادث سنة (417هـ/1026م) وليس في حوادث سنة (418هـ/ 1027م) كما ذكر المروزيّ ولكن بصورة مبهمة , حيث غفل عن ذكر نصوص هذه الرسائل , مما يؤكد انفراد المروزيّ بتوثيقها .

يقول الكرديزيّ [2] :- " وقدم الرسل في هذا العام - (417هـ/1026م) - من قتا خان ويغراخان - هكذا وردت لدى الكرديزيّ - إلى الأمير محمود الغزنوي, وأحضروا معهم رسائل الود والصداقة , وعرضوا أنفسهم الخدمة قائلين , ملتمسين نريد أن تكون بيننا وبينكم صلات وروابط , وأمر الأمير فأنزلوهم منزلا كريماً , ورد رسائلهم قائلاً اننا مسلمون , وانتم كفار, ولا يجوز لنا أن نزوجكم أخواتنا وبناتنا , إذا اسلمتم فانه يتحقق هذا الأمر , وأعاد الرسل معززين " .

ووثّق المروزيّ بعض الوقائع التاريخية والأحداث في الأبواب الثلاثة , فقد حدد تاريخ سفارات ملوك الصين الى السلطان محمود الغزنوي سنة 418هـ من دون ذكر اليوم والشهر[3] , وتاريخ تنصُّر القبائل الروسية الترك , حيث ذكر أنهم تنصّروا في شهور سنة 300هـ [4] , لذا نجده قد اغفل تاريخ الحوادث تأريخاً تاماً والاكتفاء بنسبتها الى سنة وقوعها مع إغفال اليوم والشهر , وكذلك لا يزاوج المروزيّ في التدوين التاريخي بين الأرقام والحروف في الابواب الثلاثة مكتفياً بالأرقام كما بيّنا سابقاً , اما اخبار التراجم والوفيات فقد اقصاها المروزيّ نهائياً ولم يتعرض لها .

لقد احتوت أبواب الصين والترك والهند من كتاب المروزيّ على معلومات تاريخية وجغرافية قيّمة , قدّم خلالها مظاهر وجوانب تفصيلية في بعض الأخبار , إلا انهُ كان يقتضب في بعض الحوادث ويمر بها مروراً سريعاً , أن منهجه هذا في تقديري منهج متوتر ومضطرب قياساً إلى منهج معاصريه , إلا أن أخباره التفصيلية أصبحت مصدراً مهما لمن جاء بعده , لأنه كتب عن بلاد قلّ من كتب عنها من المؤرخين والجغرافيين العرب المسلمين مقارنة مع ما كُتب عن الأقاليم العربية الإسلامية الأخرى , ويعد باب الترك من المقالة الأولى من الأجزاء التي

---

[1] زين الاخبار , ص 27.
[2] زين الاخبار , ص 270.
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 42.
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 55 .

تناولها المستشرقون لما تضمنه من معلومات مهمة , برغم قلة الموارد التاريخية والجغرافية فيه [1] .

ثالثاً :- الفاظ الاحالة :-

الفاظ الاحالة الروايات عند المروزيّ في عموم ابواب الصين والترك والهند هي :- يقولون [2] تسعة مرات , فحكى [3] مرتين , حكى[4] ثلاث مرات , فقال[5] مرتين , قال[6] تسعة عشر مرة , ويزعمون [7] , تسع مرات , ويقال [8] سبعة وثلاثون مرة , ويقول[9] ثلاث مرات , وذكر[10] مرتين , وزعموا [11] مرة واحدة , ولزعمهم [12] مرتين , ويزعم [13] مرة واحدة , وذكروا[14] مرة واحدة , فزعموا [15] مرة واحدة , ويزعم[16] مرة واحدة , وزعموا [17] مرة واحدة , ويقول[18] مرة واحدة , و يروى [19] مرة واحدة , فيقول [20] , مرة واحدة ,

---

[1] كراتشكوفسكي , تاريخ الأدب الجغرافي العربي , القسم الاول , ص263 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 35 , 44 , 47 , 55 , 81 , 81 , 82 , 83 , 87 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 36 , 51 .
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 35, 51,85.
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 38 , 88.
[6] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص35 ,35 , 35, 36 , 36 ,41 , 56 , 56 , 56 , 56, 56 , 56 ,57 , 57 , 57 , 57 , 79 , 87 , 88 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 37 , 48 , 50 , 76 , 80 , 80 , 81 , 82 , 85 .
[8] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 35 , 35 , 39 , 39 , 45 , 46 , 46 , 47 , 48 , 48 , 49 , 50 , 50 , 52 , 53 , 54 , 76 , 80 , 80 , 83 , 83 , 83 , 83 , 84 , 84 , 84 , 86 , 86 , 86 , 87 , 87 , 87 , 88 , 88 , 89 , 89 .
[9] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 82 , 85 , 89.
[10] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص 36 , 46 .
[11] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص 77 .
[12] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص , 78 , 79 .
[13] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص 79 .
[14] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص78.
[15] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 29.
[16] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص79.
[17] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 29 .
[18] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 29 .
[19] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 35 .
[20] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص36 .

ويحكون [1] , مرة واحدة , ويعتقدون [2] , مرة واحدة , فقالوا [3] مرة واحدة , فقال[4] مرتين , ويروى عنهم [5] مرة واحدة , وقالوا [6] مرة واحدة , فيقول [7] مرة واحدة , (وقد ذكر) [8] مرة واحدة , وقولهم مرة واحدة [9] , وقول [10] مرة واحدة , وذكرنا مرة واحدة [11] , ونذكر [12] مرة واحدة , واخيراً وذكروا [13] مرة واحدة ايضاً .

هذه الألفاظ دالة على السماع من مجاهيل في نقل الروايات التاريخية من الموارد , وتربط بين المخبر والمخبر عنه , وقد أعطت أهمية ملحوظة لكتابات المروزيّ , إذ حفظ لنا عدداً كبيراً من النصوص والأحداث المهمة مما لم يصل الينا كثيراً منها اليوم ضمن محتوى المصادر العربية الإسلامية الأخرى .

لذا يرى أن وصف المروزيّ لهذه الأحداث , يؤكد على سماعه بأذنه للذين يروي عنهم , ولكنها تدل على عدم زيارته لبلاد الصين والترك والهند , لذا نجد أن ما كتبه عنها من معلومات جيدة ومهمة لكنها أقل حيوية وأقل تفصيلاً مما كتبه غيره من المؤرخين والجغرافيين العرب المسلمين ممن شاهدوا وعاينوا بلاد الصين والترك والهند , إذ يعتقد المؤرخ العربي الكبير المسعودي الذي زار الهند والصين , أن من أولى المهام التي يجب على المؤرخ أن يلتزم بها ويطبقها , أن لا يكتب عن شيء إلا إذا كان قد خبره بنفسه , وشاهده حساً إذا كان باستطاعته ذلك , وإلا تركه لمن يستطيع , ولذلك كان المسعودي يخترق الآفاق ويسرح بالدنيا ليراها

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص86 .
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص37 .
(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 37.
(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص38 , 88.
(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص84.
(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص77.
(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص85.
(8) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص57.
(9) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص41.
(10) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص46.
(11) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص55.
(12) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص56.
(13) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص78.

بنفسه ويختبرها بشخصه ويستنتج مشاهداته , حيث يقول [1] :- " مستعملين بدائع الأمم بالمشاهدة , عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة " , ويؤكد ذلك الباحث المحدث نقولا زيادة قائلاً [2] :- " والرحالة الذي يسير والعين فيه مفتوحة والاذن منتصبة وارنبة الأنف جاهزة , فهو يرى ويسمع ويشم فيخرج من ذلك بوصف دقيق شائق غالباً " , إلا أن المسعودي قد دوّن بعض الروايات المهمة عن مناطق لم يزرها في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر , نحو قوله [3]:- " ذكر جماعة من اهل الدراية ..." .

وخلاصة القول إن المشاهدة والمعاينة والملاحظة والجولان والتقلب في البلدان , أفضل من السماع في الرواية التاريخية وتكون في منتهى الأحكام في تتبع الرواية التاريخية .

ولكن المؤرخين العرب المسلمين الذين ناصروا مذهب المعاينة والمشاهدة في تدوين التاريخ العربي الاسلامي قليل جداً لا تتناسب وهذا العدد الضخم من المؤرخين العرب المسلمين الذين تركوا لنا تراثاً هائلاً في التاريخ يعتز به التاريخ العربي الاسلامي ومنهم المؤرخ شرف الزمان طاهر المروزيّ .

وفي ما يلي نماذج نصوص لبعض هذه الروايات يسوق الخبر فيها بعبارة تفيد أنه نقل الخبر مشافهة أو سماعاً وليس مشاهدة أو معاينة :-

1- " وقد (رأيت) رجلا ذا حبكة قد دخل الصين , وعامل أهله في المتاجر , (فحكى) أن بلدهم الذي هو دار الملك يسمى ينجور , وهو بلد كبير استدارته مسيرة ثلاثة أيام , وبقربه بلد آخر أعظم منه , ويقال له كوفو إلا أن الملك ينزل ينجور , (قال) وهذا البلد يخرقه نهر كبير يقطع البلد بنصفين , فيسكن الملك وحواشيه وجنوده وأتباعه في الشقين , وفي الشق الأخر مساكن الرعاية والأسواق , وملكهم يسمى تمغاج خان وهو الذي يقال له فغفور" [4] .

2- " (وحكى) عن أهل الصين من الحذق في صناعة أشياء عجيبة منها أنه (قال) إن الملك في كل مدة ذكرها يوما , يأذن للخاص والعام فيه , ويجلس

---

(1) المسعودي , مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج1 , ص10 .

(2) عربيات , حضارة ولغة , ط1 , د.م , المملكة المتحدة , 1994م , ص16 .

(3) المسعودي , مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج2 , ص 24 .

(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص35 , العامة تسميه بغبور وتفسير ذلك ابن السماء تعظيما له , والاسم الاخص لملوك الصين والذي يخاطبون به : طمغاج خان , ولا يخاطبون ببغبور , المسعودي , مروج الذهب , ج 1 , ص 165 .

للمظالم , وبين يدي مجلسه ميدان كبير فسيح , فيوضع على باب الميدان قطعة خشب كبيرة , ويوضع عليها قدوم , فأول من يدخل يأخذ القدوم ويضرب فيه ضربة واحدة على الخشبة , ثم الذي يليه يضرب ضربة , وكذلك يفعل كل من يدخل , فإذا كان آخر المجلس حصل من الخشبة تمثال كامل , إما فرس وإما أسد وإما إنسان وغيره ولم يضرب احد ممن دخل إلا ضربة واحدة وغاية حذقهم أن الذي دخل , وضرب ضربة وحادة فالتالي له يعرف انه لأي تمثال قصد حين بدأه " [1] .

3- " (وذكر) أيضا أن من أهل الأسواق قوم يطوف في البلد يبيعون الأمتعة والفواكه وغير ذلك وقد اتخذ كل واحد لنفسه عجله يجلس فيها ويضع فيها أقمشة وأمتعة وما يحتاج إليه في البيع والشراء والعجلة تجري من ذاتها من غير دابة وهو جالس عليها يحبسها إذا شاء ويرسلها إذا شاء " [2] .

4- " (قال) (ورأيت) في أهل الأسواق راغبين في القمار , ما من حانوت إلا وفيه كعاب ونرد وربما تعاسر المبايعان في شيء فيقول أحدهما هلم فنقامر عليه فينتقلون من المعاملة إلى المخاطرة " [3] .

5- " (وحكى أن رجلا من خرخيز ركب سفينتا (هكذا) وأرسلها في ذلك الوادي فسارت به ثلثه أيام في ظلم لم ير في هذه الأيام لا شمسا ولا كوكبا ولا ضوءاً ثم تخلص بعد ذلك إلى ضياء وفضاء فخرج من السفينة فسمع وقع حوافر الدواب فارتقى إلى شجرة ينتظر الحال فإذا هو بثلاثة من الفرسان طوال طول كل واحد منهم قيد رمح طويل وإذا معهم كلاب في عظم البقرة فلما قربوا منه ورأوه ترحموا عليه وانزله احدهم أخذه على دابته وستره عن الكلاب خوفا أن تفترسه واتوا به وضع رحالهم فالقوه فوق ظهر خيمة وأطعموه من طعامهم وجعلا يتعجبون منه كأنهم لم يروا مثله ثم احتمله بعضهم وأتى به إلى قرب موضعه وأرشده الطريق حتى رجع إلى موضعه ولا يعرف احد ممن كان هؤلاء وأي جنس هم من الناس " [4] .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 35 , 56 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص36 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 36 .
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 51 .

6- " وهذا الصنم فيما (حكي) طوله عشرون ذراعا وأكثر وهو على صورة رجل وفوقه سقف عظيم والهند (يزعمون) أن هذا الصنم نزل من السماء وأمرنا بعبادته وأن السقف بني منذ إلفي سنة وله سدنه يقومون عليه " [1] .

7- " (ويحكون) أيضا أن بوادي الجنج بيت صنم آخر قديم البناء وان أهل مملكة دهم الملك يحجون أليه وإنما تقصده العباد منهم فيأتون وهم عراة مهازيل قد غارت أعينهم وقهلت جلودهم من كثرة الرياضة فيطرحون أنفسهم بين يديه وفي ذلك الموضع نسور ضاربة تعودت أكل جيف الناس ومنهم من يتماوت هناك حسبة فتأتي النسور وتقلع أعينهم أولا وهم يصبرون على ذلك ثم يقلعون اللحم أولاً فأول حتى تأتي على جملته وربما بقرت بطونهم وتأكل أمعائهم وهم يرون ذلك تقرباً وعبادة " [2] .

8- " (وحدث) بعض من دخل بلاد الهند (قال) حصلت بقندهار فإذا ملكهم جبار شديد العقوبة شديد الغيرة ومن شرب الخمر من قواده وجيشه فعقوبته أن تحمى مائة حلقة من حديد بالنار ثم توضع على يديه فربما هلك فيه " [3] .

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 85.

(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص86 .

(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 87 , 88 .

المبحث الثالث

موارده

عرّف ابن منظور[1] الموارد قائلاً :- " الموارد , المناهل , أحدهما مورد , وروداً مورداً , والمورد , الطريق إلى الماء , والورد , الماء الذي ترد عليه " .

وهكذا ظهر مصطلح الموارد في عالم التحقيق , ومن هنا يمكن أن نعرّفه اصطلاحاً :- (إنه جملة المصادر والمراجع التي ينظر فيها المؤلف أو المحقق بحثاً عن غايه منها) .

أولاً - موارد المروزي في الأبواب الثلاثة :-

استقى شرف الزمان طاهر المروزيّ معلوماته في الأبواب الثلاثة – الصين والترك والهند - في المقالة الأولى من كتابه " طبائع الحيوان " من مصادر متنوعة , وأن يسكب موارده ذات المصادر المتنوعة , بشكل مغر وجذاب , في قالب واحد مميز لبناء كتابة الأبواب الثلاث , تعرض بشكلها الآتي : -

أ- موارده المكتوبة والمدونة :-

1. المصنفات اليونانية القديمة :-

اقتبس المروزيّ مادته العلمية في أبواب الصين والترك والهند , عن طريق الاطلاع على الكتب والمدونات اليونانية التي صنفت قديماً , و التي أعلن عنها صراحة في الأبواب الثلاثة , وعلى الرغم من أن المروزيّ لم يذكر اسماء هذه المدونات في كتابة أبواب الصين والترك والهند , إلا أنه ذكر اسماء المؤلفين ونص على الأخذ من مؤلفاتهم عند توثيقه للأخبار التي يرويها عنهم , وانحصرت هذه الروايات على عالمين من علماء الدولة اليونانية القديمة , نقل عنهما من دون

---

(1) لسان العرب , ج 3 , ص 456 , 457.

تحديد عناوين مصنفاتهما صراحة التي استقى منها موارده , لذا لا يمكن حصرها ومعرفة أسماء تلك المصنفات , ولا يمكن تحديد موقع موارده منها , وإن كانت أهم الموارد كماً وكيفاً في باب الترك , مخالفاً بذلك ما فعله المؤرخون العرب المسلمون الكبار , الذين عاشوا قبل عصره وبعده , أمثال محمد بن جرير الطبري , (ت 310هـ /922م) , ومصنفه (تاريخ الأمم والملوك) , وابي الحسن علي بن الحسين المسعودي , (ت346هـ/957م) , ومصنفه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) , وأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي , (ت597هـ/ 1200م) , ومصنفه (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) , وشمس الدين أبو عبد الله احمد بن محمد الذهبي , (ت 748هـ/ 1347م) , ومصنفه (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) , والذين ثبتو أسماء المدّونات التي أخذوا منها في مصنفاتهم واسماء مؤرخيها .

العالمان هما أبقراط [1] وجالينوس [2] , ويدوّن النصوص التي ذكرها في الأبواب الثلاثة من دون التطرق لإسم المصنف وقد بدأ النص الاول نحو قوله [3] :- " ولابقراط وجالينوس فيهم أقوال فأحببنا أن نذكر بعضها - يقصد الترك – قال ابقراط إن في أرض أوروفي[4] , أمة من أمم الترك يشبه بعظهم

---

[1] عاش أبقراط (460 -377 ق . م) , ويكنى بأبي الطب في عصره , هو فيلسوف , ناسك , يعالج المرضى احتسابا , كان طوافا في البلاد , أكثر الأطباء شهرة في زمانه , وأول من علم الغرباء الطب في زمانه , واسم ابقراط يعني ضابطا في سلاح الفروسية أو قائداً للخيل , ولد في جزيرة كوس اليونانية سنة (460 ق . م) , وقال القفطي , كان مسكنه مدينة حمص , ويتردد إلى مدينة دمشق , تعلم الطب من والده , توفي سنة (377 ق . م) في اليونان , وقيل مات بسبب مرض الفالج , من مؤلفاته كتاب المرض المقدس (الصرع) , وكتاب الإنذار المرضي, وكتاب التدبير الصحي في الأمراض الحادة , وكتاب الأوبئة والجروح في الرأس , وكتاب الكسور والمفاصل , وكتاب الأخلاط , وكتاب الأهوية والأزمنة والبلدان , وكتاب الغداء , وكتاب تقدمة المعرفة , وكتاب فصول ابقراط . ينظر : ابن القفطي , أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت 646هـ /1248 م) , أخبار العلماء بأخبار الحكماء , دار الاثار , لبنان , بيروت , د . ت , ص 21 ؛ ابن أبي اصيبعة , عيون الأطباء , ص 43 .

[2] جالينوس الحكيم الفيلسوف اليوناني , من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونان , إمام الأطباء في عصره , ورئيس الطبيعيين في وقته , وكان جالينوس بعد المسيح بنحو مأتي عام , وهو سادس القياصرة الذين ملكوا رومية , وطاف في البلاد , وبرع في الطب والفلسفة , وجميع العلوم الرياضية , عاش ثماني وثمانين سنة . ينظر: ابن القفطي , أخبار العلماء بأخبار الحكماء , ص 85 .

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص56 .

[4] كان اليونان يقسمون المعمور من الأرض ثلاثة أقسام , مصر ونواحيها قسم , وتسميها لوبية , وما مال إلى الشمال يسمى (اوُرفي) , ويحدها من المغرب والشمال بحر آوقيانوس , ومن الجنوب بحر الشام والروم , ومن المشرق النهر الذي يخرج من بحيرة ماوطيس الى بحر

بعضاً ولا يشبهون غيرهم وكذلك أهل مصر يشبه بعضهم بعضاً إلا أن أهل مصر نشئوا في الحرارة والترك نشئوا في البرودة " .

ونحو قوله [1] :- " وقال جالينوس إن الناس الذين يدعون سورماطة هم الصغار الأعين الطوال الألحاظ " .

وقوله ايضاً [2] :- " قال ابقراط إن أغذية الترك وعاداتهم يشبه بعضها بعضاً فلهذا صاروا أشباهاً لأنفسهم دون غيرهم من سائر الناس , فأنهم لا يشبهونهم لا في صورهم ولا في عاداتهم ".

وقوله كذلك [3] :- " قال ابقراط ولهذا من الحال صارت صورهم غليظة لحمية لا ترى لهم مفاصل وأبدانهم لينة رطبة لا قوة لها " .

وأضاف أيضاً [4] :- " قال جالينوس إن بلاد الترك باردة رطبة كثيرة المياه والصحاري والمعادن وان الترك فراغ ليس لهم أعمال شاقة يتشاغلون بها وأما ما قال لا ترى لهم مفاصل يعني أن مفاصلهم غائرة لا ترى لكثرة اللحم لان المزاجات الرطبة تولد لحماً كثيراً رطباً بارداً سميناً ضعيفاً فصارت مزاجات الترك لذلك رطبة باردة " .

وذكر المروزيّ ايضاً [5] :- " قال ابقراط وتكون بطونهم رطبة جداً وتتفرغ أفراغات كثيرة وذلك أن بطونهم لا يمكن أن تجف وتيبس في مثل هذه البلاد ومثل هذه الطبيعة والهواء " .

وأضاف المروزيّ[6] :- " قال ابقراط تكون أبدانهم دسمة جداً جرداً اضطراراً وقال أيضاً أن هذه الطبيعة لا تكون كثيرة الولد لأنه لا تهيج شهوة الرجال إلى النساء والمباضعة لحال رطوبة مزاجهم وللين بطونهم ورطوبتها لان الأرحام لا تستطيع أن تخطف المني بسرعة وتجذبه ولان طهر النساء الكائن لهن

نيطس وخليجه الذي يمر على القسطنطينية وينصب إلى بحر الشام متكون هذه القطعة كالجزيرة . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 1 , ص222 .

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 56 .

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 56 .

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص56 .

[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 56 .

[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 56 .

[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 56 , 57.

في كل شهر لا يكون لهن على ما ينبغي وذلك أن طهرهن يكون قليلاً بعد زمن طويل لان أفواه الأرحام منهن مفسدة بكثرة الشحم وكما أن أبدانهن كلها سمينة كذلك لا محالة تكون أعناق أرحامهن سمينة ولما كانت الأعضاء المهزولة النحيفة المنفتحة المنافذ واسعة المدخل فكذلك الأعضاء السمينة تكون ضيقة المهبل فلهذه العلل لا يحبلن كثيراً "

وأضافّ [1] :- " وقال جالينوس إن قلة حبلهن تكون من أسباب منها ضيق عنق الرحم ومنها أنهن لا يطهرن في كل شهر كما ينبغي ومنها أن القوة الجاذبة التي تكون في الرحم تكون ضعيفة بسبب البرد والرطوبة فيهن فلا تختطف المني بسرعة فيفسد المني قبل وصوله الى مسقط للطافته ورطوبته " .

وأضاف المروزيّ ايضاً [2] : - " وقال جالينوس في موقع آخر إن نساء الترك لا يحبلن كثيراً لفراغهن ودعتهن فأما الإماء والولائد التي لهم فلكثرة حركاتهن وأعمالهن تنتفض أبدانهن فتخرج الفضول الرطبة التي فيها وتجف فيها ارحامهن فيحبلن سريعاً وتكثر أولادهن ".

وقوله أيضاً [3] :- " وقال ابقراط إن كثيراً من الترك مهما ذكرنا ما فيهم يكونون كالخصيان لا يقدرون على النساء وهذا الذي ذكره قد يوجد ويشاهد في سكان بعض بلادهم فأما الذين يسكنون البراري والصحاري ويتنقلون شتاء وصيفاً فهم أشد الناس باساً وأصبرهم على القتال والحروب وهم فرقتان فرقة لهم أمراء وملوك يطيعونهم ويصدرون عن رأيهم وأمرهم وفرقة لا طاعة عليهم لغيرهم ولا يملكهم أحد وهم أشد باساً ونجدة وبسالة , وقد قال ابقراط إن من أهل آسيا من لا طاعة عليهم ولا يملكون غيرهم مثل اليونانيين والترك فأنهم أحرار يملكون أنفسهم ولا يملكون عليهم غيرهم فيعملون ويكدحون لأنفسهم لا لغيرهم وهؤلاء اشد أقداماً وصولة وقتالاً من سائر الناس , ولصبرهم على محاربة من يحاربهم يأخذون الغنائم لأنفسهم بالسواء " .

وأضاف أيضاً [4] :- " وقال جالينوس إن نساء هؤلاء يحاربن مثل الرجال وأنهن يقطعن احد الثديين لترجع القوة كلها إلى الذراع وكي تخف أبدانهن ويثبن على صهوات الخيل " .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 57 .
[2] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص57.
[3] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص57.
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص57.

وأضاف المروزيّ [1] :- " وقد ذكر ابقراط في هؤلاء النساء في بعض كتبه وسماهن امازونس ومعناه ذوات ثدي واحد لقطعهن الآخر ولا يمنعهن عن قطع الآخر إلا حاجتهن إلى رضاع أولادهن واستبقاء النسل وإنما يقطعن واحد لا يحبسهن عن رمي النشاب على ظهور الخيل " .

بعد البحث والتدقيق وُجِدَت بعض هذه الروايات في كتاب " الأهوية والأزمنة والبلدان " للعالم الإغريقي القديم أبقراط (ت 357 ق. م) [2] , و الكتاب من أربعة وستين صفحة , ويحتوي على ثلاث مقالات , المقالة الأولى يعرف فيها أمزجة البلدان وما تولد من البلدية , والمقالة الثانية منه يعرف فيها كيف نتعرف على أمزجة المياه المشروبة وفصول السنة وما تولد من الأمراض البلدية , اما المقالة الثالثة فيعرف فيها كيفية ما يبقى من الأشياء التي تولد الأمراض البلدية كائنة ما كانت [3] .

وكان جهد العالم جالينوس الطبي , وخاصة في مجال التأليف والكتابة دار حول تفسير كتابات العالم أبقراط وشرحها ومنها تفسيراً لهذا الكتاب , جعله في ثلاث مقالات أيضاً [4] , وصنفه باسم " ثمار تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في الأهوية والأزمنة " , وترجمه إلى اللغة العربية العالم العربي النصراني حنين بن اسحق [5] , لكن شرف الزمان طاهر المروزيّ ابتعد عن الصواب بنسبة كتاب الاهوية والأزمنة إلى جالينوس[6] , وإنما الصحيح لأبقراط [7] , وأكد ابن واضح اليعقوبي ذلك بتاريخه , ويسميه " الأهوية والأزمنة والمياه والأمصار [8] .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 57 , 58.

[2] تر , تح , الدكتور شبلي شميل , ط1 , مصر , مطبعة المقتطف والمقطم , 1302هـ , ص49 , 50 ,52 , 53 , 54 , 56 , 59 .

[3] ابن أبي اصيبعة , عيون الأطباء , ص 54 .

[4] ابن ابي اصيبعة , عيون الاطباء , ص145 .

[5] طبيب نصراني من أهل مدينة الحلة , ولد سنة (194هـ /809م) , اعتنى بصناعة الطب , وكان شاعراً ومترجماً , نقل العديد من الكتب اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية , منها كتب ابقراط وجالينوس , توفي سنة (272هـ/885م) . ينظر : ابن أبي اصيبعة , عيون الاطباء , ص ص258 -262 .

[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 32.

[7] ابن أبي اصيبعة , عيون الأطباء , ص54.

[8] اليعقوبي , تاريخ اليعقوبي , ج 1, ص 139.

وهناك روايات أخرى متفرقة في كتب أبقراط حسب إدعاء المروزيّ [1] وروايات أُخرى متشابهة في المضمون لدى أبقراط وجالينوس , وردت لدى المروزيّ ايضاً , مثل رواية قلة أنجاب النساء الترك [2] , ورواية ذوات الثدي الواحد [3] .

أما روايات جالينوس المتبقية فلم نجد لها مصدراً , وربما تكون من خلال تفسيره لكتاب الأهوية والأزمنة والبلدان , وكان شرح جالينوس وتفسيره في حواشي الكتاب , وبصيغة السؤال والجواب [4] , وشرح جالينوس ما ذهب إليه أبقراط , في فصل فصل , ومعنى معنى [5] .

يبدو أن هناك تداخلاً وعدم دقة في نسبة كتب ابقراط وجالينوس لبعضهما , وهناك كتب منتحلة تنسب إليهما , وخاصة أن الكثير من كتبهما قد فقدت , ولم يتبق منها إلا إشارات في المصادر القديمة , وحتى المروزيّ قد وهم عندما نسب كتاب الأهوية والأزمنة والبلدان الى جالينوس بدل من ابقراط المؤلف الحقيقي للكتاب كما بينا سابقاً , حيث يقول روزنتال [6] :- " وليس بمستغرب أن نجد بعض المؤلفين الذين كانوا يسعون وراء الشهرة يغفلون ذكر أسمائهم وينتحلون أسماء أدباء مشهورين يوقعون بها مؤلفاتهم , ولقد عرف الغرب الأوروبي أمثال هؤلاء المنتحلين " , ويضيف أيضاً [7] :- " أما حنين – يقصد حنين بن اسحق – فانه يذكر أسباباً غير الشهرة عندما يعلل وجود كتب كثيرة منتحلة تنسب إلي جالينوس , يعتقد حنين أن وجود مثل هذه الكتب التي تنسب إلى جالينوس يعود إلى خيلاء بعض الناس وزهوهم بأن في مكاتبهم كتباً لأعظم المؤلفين القدامى أكثر مما يملكه غيرهم من الناس , وعنده تعليل آخر فيقول[8] : - " قد تكون هذه الكتب المنسوبة غلطاً إلى جالينوس نتيجة خطأ في معرفة المؤلف الحقيقي , فقد يحدث أن اسم المؤلف الذي يظهر في الجزء الأول من مخطوطة ذات أجزاء أخرى تعالج مواضيع مختلفة يعدّ خطأ اسم المؤلف لجميع تلك الأجزاء " .

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , 58.
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 56 , 57.
(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 56 , 57.
(4) أبن ابي اصيبعة , عيون الاطباء , ص 272.
(5) اليعقوبي , تاريخ اليعقوبي , ج 1 , 148 .
(6) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي , ص126.
(7) روزنتال , مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي , ص 126 .
(8) روزنتال , مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي , ص 126 .

ويبدو كذلك أن بعض الكتب الطبية والعلمية اليونانية القديمة المترجمة إلى اللغة العربية , كثيراً ما كان العلماء العرب المسلمون , يرفضون الاعتماد عليها , أمّا بناء على اختباراتهم الشخصية , أو بناء على تفكير منطقي , ويقدم لنا روزنتال أمثلة عديدة بكثرة النقد الذي قدّمه الأطباء المسلمون وتفوقهم علمياً على ما ورد فيها من معلومات , مما ادى الى إهمالها ومن ثم يبدو فقدانها [1] , إذ يقول روزنتال [2] " لو أردنا ان نذكر جميع الامثلة المتوفرة لدينا لاقتضى ذلك كتابة تاريخ الطب العربي من أوّله لآخره " .

ويؤكد القفطي عدم سلامة نقل الكتب اليونانية ودقته الى العربية واللغات الأخرى ويعطي مثالاً على ذلك بقوله [3] :- " وكل ما نقل كلامه – يعني ارسطوطاليس [4] – من اليونانية إلى الرومية وإلى السريانية وإلى الفارسية وإلى العربية حرف وجزف وظن بنقله الإنصاف وما أنصف " .

وبناءً على ما تقدم , لا يمكن حصر هذه المصادر القديمة - ولو بصورة تقريبية - إلا من خلال جرد كتب العالمين أبقراط وجالينوس , وهو اجراء صعب لا محالة , والظاهر أن هذه الطريقة في إيراد المصادر , ربما كانت مألوفة على عصر المروزيّ , إضافة إلى أن ما يعمى علينا الاهتداء إلي تحديده , لعله كان ذائع الصيت ومشهوراً في عصره , وواضحة ومعروفة العناوين وأسماء المؤلفين لمعاصري المروزيّ ولمن قبله ومن بعده لمدة وجيزة , لاشتهار أسماء المؤلفين واسماء مؤلفاتهم بين المثقفين والدارسين آنذاك وإمكانية الوصول لهذه المصادر , ولكن بعد مضي مئات السنين , وفقدان العديد من هذه المؤلفات تباعاً أصبحت مصنفاتهم غريبة علينا , ويصعب التوصل الى اسمائها الأصلية , لا سيما انها لم يوجد لها ذكراً في كتب التراجم , ولا تجد لمؤلفاتهم أثر في فهارس المصادر المعتمدة التي وصلت الى هذا العصر , لذا يجب أن توجه الفهرسة او القائمة الى قارئ عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي , أو أدق الى

---

[1] روزنتال , مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي , ص 151 .

[2] مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي , ص 152 .

[3] القفطي , الأخبار العلماء بأخبار الحكماء , ص 39 .

[4] (عاش نحو 282 – 322 ق.م) , من اشهر فلاسفة اليونان , تلميذ افلاطون , معلم الاسكندر فيلبس ملك مقدونيا , ولد في مملكة مقدونيا , وتلقى العلم على يد افلاطون في مدينة اثينا , وعلم الاسكندر اثني عشر , وبعد موت الاسكندر اتهم بالالحاد , فارتحل الى مدينة اسطاغير - المدينة التي ولد فيها في مملكة مقونيا – وهناك توفي , له من المؤلفات (سمع الكيان) , و(كتاب السماء) , و (كتاب الحيوان والنبات) , و (وما بعد الطبيعة) . ينظر : بن ابي اصيبعة , عيون الاطباء , ج 1 , ص 271 - 302 .

قارئ عاش في عصر المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ .

والواجب هنا أن يقال أن المروزيّ بذل جهداً عظيماً في دراسته لهذه المصنفات , ويبدو عليه الاطلاع الواسع على المصنفات اليونانية القديمة واقتبس الكثير منها , غير أنه لم يذكر أسماء تلك المصنفات البعيدة عن عصره في الابواب الثلاث – أبواب بحث الدراسة - , لكنه دوّن بعض أسماء العلماء اليونانيين وأسماء مصنفاتهم صراحة في الأبواب والمقالات الأخرى في مصنفه , و نقدم هنا أهم هذه المصنفات للإفادة حصلنا على عناوينها من مجمل بحثنا الدقيق في عموم مقالات وأبواب كتابه طبائع الحيوان .

فقد أخذ من العالم اليوناني جالينوس مصنفاته , الترياق [1] , واخلاق النفس[2] , والأهوية والبلدان [3] , والكيموسات [4] , والأغذية [5] , واقتبس من كتاب طبائع الحيوان لأرسطو طاليس [6] , ومن مصنف الحريق لأبقراط [7] والمصنف الجغرافي صورة الارض لبطليموس القلوذي[8] , مما يبين لنا أهمية كتاب طبائع الحيوان بمجمله ورجاحة عقلية المؤلف , وسعة اطلاعه على العلوم اليونانية والرومانية القديمة , وقارئ جيد لها .

2. المصادر الفارسية :-

كتبت بعض المصنفات الاسلامية وخاصة في المشرق باللغة الفارسية , وهذه اللغة أصبحت في ظل الاسلام تكتب بالأبجدية العربية التي دخلت بكامل حروفها ألى اللغة الفارسية , والأخيرة أصبحت حافلة بالكثير من الألفاظ والمصطلحات العربية [9] .

ومن هذه المصنفات التي كتبت باللغة الفارسية كتاب (زين الأخبار) للمؤرخ ابي سعيد عبد الحي محمود الكرديزيّ (ت443هـ/1051م) وخاصة الباب

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 385 , 410 , 431 , 459 , 502 .
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 284 .
(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 32 .
(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 336.
(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص511.
(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 186 .
(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 282 .
(8) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص288.
(9) الكرديزي , زين الاخبار , ص 21 .

السابع عشر منه بعنوان (في المعارف والأنساب) [1] , تبين من خلال مراجعته وتدقيق محتواه , تشابه بعض المباحث فيه بشكل دقيق مع ما ورد في أبواب الصين والترك والهند من كتاب شرف الزمان طاهر المروزيّ (طبائع الحيوان) , ولعل هذا راجع الى أن المروزيّ قد اعتمد على موارد الكرديزيّ عند تناوله تاريخ هذه البلاد , أو الاثنين كان لهما منبع واحد مشترك [2] , وهذه إشارة تدل ان المروزيّ قد اعتمد على المصادر الفارسية .

3. المصادر العربية الإسلامية :-

أما منهجه في الاخذ من المصادر العربية الإسلامية التي اقتبس منها المروزيّ مروياته , فهي الأخرى غير واضحة المعالم صراحة , لأنها لا تشتمل الأسناد , ولا ينص المروزيّ على مصادره العربية صراحة في الأبواب الثلاثة , فقد اكتفى بالسند الجمعي لمؤلفات وليس لرواة مثل قوله في باب الصين : - " وقد كتب في الأخبار" [3] , أو بالكلمة الاولى من اسم الكتاب نحو قوله :- " وقد ذكر صاحب كتاب المسالك " [4] , فلا يمكن تحديد ما هية كتب الأخبار , أو أي مصنف من نوع المسالك يقصد المروزيّ بالذات والتي في عنوانها كلمة المسالك , وهذا أمر عسير للغاية , بإزاء العدد الكبير من المصنفات في ذلك الباب , ويتعذر إرجاع النصوص إلي أصولها , فقد جمعت عشرة مصنفات تحمل أسم المسالك والممالك , كلها ظهرت قبل عصر المروزيّ , ومصنف واحد عاصر المروزيّ , رتبت حسب تاريخ وفاة مؤلفيها , ولا يمكن الادعاء عدم فوات بعضها , فقد جُمِعَت على ما تيسر جمعه مما ضبطه المؤرخون وذكره المصنفون , وعليه ربما هناك الكثير من المصنفات العربية الإسلامية الأخرى ممن يحمل العنوان نفسه , أو قريباً منه لم يسبق الظفر بها أو الوقوف عليها .

أسماء مؤلفي المصنفات التي تحمل اسم المسالك والممالك :-

1 - أبو عبد الله محمد بن ماجد بن أحمد الجيهاني , (ت ق 3هـ /9 م) [5] .

2- أبو جعفر أحمد بن الحارث , (ت 258هـ /871م) [6] .

---

[1] الكرديزي , زين الاخبار , ص 369 – 398 .
[2] الغرديزي , زين الاخبار , المقدمة , ص 36 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص4 .
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص14, 15 .
[5] مصطفى , التاريخ والمؤرخون , ج1 , ص , 79 .
[6] مصطفى , التاريخ والمؤرخون , ج1 , ص 212 .

3- أبو العباس جعفر بن أحمد بن المبارك المروزيّ , (ت 274هـ/887م) [1] .

5- أبو الفرج أحمد ابن الطيب السرخسي , (ت 286هـ/899م) [2] .

5- أبو اسحق الفارسي الاصطخري , (ت 300هـ / 912م) [3] .

6- عبيد الدين عبد الله بن خرداذبة , (ت 312هـ/924م) [4] .

7- أبو زيد احمد بن سهل البلخي , (ت 322هـ/933م) [5] .

8- التاريخي أبو عبد الله محمد الوراق القيرواني , (ت 363هـ/973م) [6] .

9- محمد بن علي بن حوقل , (ت بعد سنة 367هـ/977م) [7] .

10- أبو الحسين الحسن بن أحمد المهلبي , (386هـ/996م) [8] .

11- أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري , (ت487هـ/1094م) [9] .

إلا أن المروزيّ في ملحق المقالة الأولى من كتابه يقول[10] :- " وذكر الجيهاني في كتابه المسالك والممالك أن المار من نساجو الى الصين يرى على يمينه جبلا فيه دواب المسك والثيران التي تجعل من أذنابها المذاب ورؤوس الرايات – وكأنها تكون أحسن وأجود فان هذه الثيران تكثر فيها شرق عن أرض الختل نحو شكنان ووخان – وانه من الكاشغر على مسيرة شهرين ونصف وهو على مفترق الطريق إلى قتاي على استقبال المشرق وإلى الصين على انحراف اليمين ويميل إلى الجنوب وهو غير بعيد عن محاذاة التبت " .

---

(1) مصطفى , التاريخ والمؤرخون , ج1 , ص 221 .
(2) مصطفى , التاريخ والمؤرخون , ج1 , ص 227 .
(3) مصطفى , التاريخ والمؤرخون , ج1 , ص69 .
(4) مصطفى , التاريخ والمؤرخون , ج 1 , ص229 .
(5) زيادة , الجغرافية والرحلات عند العرب , ص 31 .
(6) الدفاع , علي بن عبد الله , رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية , د.ط , مطبعة مكتبة التوبة , السعودية , الظهران , 1410 هـ , ص 105 .
(7) مصطفى , التاريخ والمؤرخون , ج 1 , ص70 .
(8) مصطفى , التاريخ والمؤرخون , ج2 , ص 202 , 203.
(9) زيادة , الجغرافية والرحلات عند العرب , ص 63 .
(10) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 57 .

ولكن لا يمكن الرجوع إلى كتاب المسالك والممالك للجيهاني للمقابلة بين النصين , كونه مفقوداً ولم يعثر عليه لحد ألان , وان بعض أخباره وموارده متفرقة في المصادر العربية الإسلامية , ومنها كتاب (طبائع الحيوان) للمروزيّ الذي يحسب له حفظه لنا أسماء مصادر قديمة ولم تصل لنا , وان العثور عليها سيكون من شأنه إلقاء الضوء على مسائل عديدة في ميدان تاريخ الأدب العربي الجغرافي في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي [1] - عصر المؤلف - الجيهاني - .

ويبدو ان المروزيّ كان يكتب للخاصة من العلماء بهذا الفن في عصره , ولذا فهو يفترض المعرفة عندهم والإلمام بأسماء تلك المصنفات التي نقل عنها وأسماء مؤلفيها , ويستطيع العالم الوصول اليها و مراجعتها اذا شاء , وربما ايضاً ما كان شائعاً ومعروفاً في عصر المروزيّ , يعدّ مغموراً ومبهم في وقتنا هذا , لكن كراتشكوفسكي [2] يؤكد أن المروزيّ قد استفاد من مصادر الجيهاني وابن خرداذبة , وان المروزيّ قد حفظ لنا عدداً كبيراً من روايات الجيهاني مع الإشارة الدقيقة إليه في الأبواب والمقالات الأخرى من كتابه طبائع الحيوان .

ويذكر وزير السلاجقة نظام الملك الطوسي في كتابه سياستنامة , أنه كان يختار أغزر العلماء علماً موظفين في بلاطه [3] , وكان منهم المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ , ولا بد أن عالماً بمستوى المروزيّ عاش في بلاط السلطنة السلجوقية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي , قد اطلع على المكتبة العربية الاسلامية أثناء تجواله في الأمصار , وخاصة بغداد والقاهرة , ومدينة مرو التي عاش وترعرع فيها , وقد صنفت في هذه المدن الثلاث الكثير من المصادر العلمية للعلماء المسلمين بمختلف الطوائف وغير المسلمين , ومنها كتب الأخبار والتواريخ والمعاجم والرحلات والحيوان .

أضافة على ذلك أن حركة التأليف العربية الاسلامية قد نضجت قبل أن يؤلف المروزيّ كتابه (طبائع الحيوان) , فوجد المروزيّ أمامه مادة ضخمة , انتقى منها ما رآه حرياً بالانتقاء فيما يتفق والخطة العامة التي وضعها عند تدوين كتابه طبائع الحيوان , استطاع المروزيّ ان يسكب كل معلوماته من هذه الموارد المختلفة في قالب واحد مميز, وأن يهضم ما فيها من معلومات , وأن يعرضها لنا بأسلوب علمي جذاب سهل , تاركاً تاريخاً متكاملاً يعالج شؤون الناس والحياة في بلاد الصين والترك والهند , وآهلاً لإخراج هذا السفر الكبير بمهارة و بمختلف العلوم .

---

[1] كراتشكوفسكي , الأدب الجغرافي العربي , القسم الاول , ص221 .

[2] تاريخ الأدب الجغرافي العربي , القسم الاول , ص221 .

[3] نظام الملك , سياستنامة , ص 70.

4. المصادر المجهولة :-

كتاب (أخبار الصين) , أخذ منه مجموعة من الروايات عن بلاد الصين , وذكره في باب بلاد الصين[1] .

كتاب (تاريخ ملوك الترك) , أخذ المروزيّ منه رواية (قراخان) [2] .

ب- الأخذ من الشيوخ والرواة :-

لم يشر شرف الزمان طاهر المروزيّ إلى الشيوخ والعلماء والرواة , في الأبواب الثلاث موضوع الدراسة , الذين تتلمذ على أيديهم أو أخذ عنهم , ولا في مقدمة كتابه (طبائع الحيوان) أو مقالاته وأبوابه , وكذلك أغفاله ذكر أماكن تدريسه , وعدم التصريح بمسموعات مترجمة عن شيوخه , ولم نعثر على أسماء هؤلاء الشيوخ و العلماء أو تلاميذه أو مؤلفاته , في المصنفات العربية الإسلامية الأخرى القديمة , كأننا امام عالم في الجزء الاخير من حياته .

وحتى الدراسات الحديثة التي تناولت حياة العلماء العرب المسلمين في المشرق الإسلامي سكتت عن ذكر شيوخه وتلاميذه أيضاً , أو حتى أفراد أسرته , وألتزم المروزيّ الصمت , ولم يصرح بشيء فيما يخص حياته العلمية والأسرية الأولى , ربما ذلك بسبب تقربه للسلطة السلجوقية وكثرة , وكان ناجحاً , وأعداء النجاح كثيرون فعمدوا على تغييب اخباره .

إلا أنه من خلال مصنف المروزيّ (طبائع الحيوان) , وما قدمّه فيه من علوم التأريخ والجغرافية والحيوان والعلوم الاخرى , اضافة إلى أن تحليل كتاب طبائع الحيوان وفي مختلف أبوابه ومقالاته وما ورد فيها من معلومات غزيرة , وخاصة أبواب دراستنا – الصين والترك والهند – ما يجعلنا نلجأ الى الاستنتاج والتوليد أنه كان حريصاً على تعدد مناهل ثقافته وينابيع علومه , وأنه لابد قد استفاد من علماء مدينته مرو التي أبصر النور فيها وأمضى معظم حياته , و تلقى العلوم والمعرفة على يد شيوخها وعلمائها في مطلع حياته العلمية , وربما استفاد ايضاً مما تردد

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 172 .

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص253 .

اليها من العلماء والأدباء والمفكرين ورواد الحقيقة من الأمصار العربية الإسلامية الأخرى , و حصلت لقيا بينه وبينهم .

ولكن لا يمكن أن يتابع جميع ما رواه المروزيّ من اشياخه ويحدد على وجه الدقة , لعدم تقديمه لهم صراحة , ولكن ما يود ان يبين من خلال موارده في كتاب طبائع الحيوان , أن أغلب ما نقله عنهم كان حكايات لأحداث شاهدوها بأنفسهم , أو كانوا أحد الأطراف فيها , سمعها منهم في مجالس الإملاء أو ما ينتجونه من التصانيف والوثائق التي يطلعون عليها , وأوردوها ربما بالسند المتصل حتى وصلت اليه , ومن هنا يتضح لنا مدى أهمية المعلومات التي حصل عليها المروزيّ عن طريق هذا المصدر وصحتها في تأليف عموم مقالات وأبواب كتابه (طبائع الحيوان) .

ج- السماع والمشاهدة :-

تبيّن بعد قراءة نصوص الأبواب الثلاثة – موضوع الدراسة – انها ذات طابع(كوروغرافي) [1] في طور ادبي رفيع وواسع السجع والبلاغة , ولنبصر من ذلك ميلاد المصنفات الجغرافية القائمة بذاتها , والتي تعني بشيء كبير من وصف لآخر [2] , واهتم المروزيّ في المقالة الاولى , في دراسة جوهر الانسان (الانثروبولوجيا) [3] , فشملت هذه المادة الحيز الاكبر من المقالة الاولى , ومنها ابواب الصين والترك والهند – بحث الدراسة – والتي تعالج الكلام على الاجناس البشرية والتاريخ والجغرافية [4].

أن أسلوب الكتابة عند المروزيّ قد جاء مطوراً ألي حد بعيد , إذ تم التخلي والابتعاد عن أسلوب الإسناد في الخبر التاريخي التي كانت شائعة قبل عصره , واعتماده منهج الكتابة المرسلة , ربما ذلك بسبب استقرار الأسانيد وسقوطها تدويناً وقيمة توثيقية , تلك الزائدة التي كانت تتقدم الأخبار مسندة ما فيها الى رواتها ,

---

[1] كوروغرافي :- فن وصف الاقاليم ودراستها , , توني , يوسف , معجم المصطلحات الجغرافية , د.ط , دار الفكر , لبنان , بيروت , 1977م , ص 418 ..

[2] الحصناوي , المقالة الأولى في ذكر الانسان وأنواعه , ص 11 , 12 .

[3] أنثروبولوجي : العلم بالإنسان , كلمة ليست منحدرة من اللغة اليونانية الكلاسيكية , رغم استخدامها من قبل ارسطو (انثروبولوجس) , فكان معناها عنده (الثرثار الكثير الكلام على الناس) , لكن بين القرن السادس عشر والثامن عشر للميلاد , تطور معنى الكلمة الى (علم النفس الانسانية) , فلم يقتصر على البحث في النفس الانسانية وحدها , بل يمتد الى مسائل تتناول احوال الجسم الانسانية مثل : الجنس (ذكر وأنثى) , , العمر , المزاج , الاخلاق , العرق , الصفات الجسدية , المعتقدات , الممارسات البشرية الخ , بدوي , عبد الرحمن , موسوعة الفلسفة , ط1 , ذوي القربى , ايران , قم , 1427هـ , ج1 , ص 230 .

[4] الحصناوي , المقالة الاولى في ذكر الانسان , 26 .

رواية بعد رواية , فقد فقّد الإسناد أهميته , وبانقراضه انقرضت أهم صلة تصل التاريخ بعلم الحديث , وأعلن علم التاريخ أو علم الأخبار استقلاله بمنهجه الخاص , ووصوله إلى مرحلة الثبات , إذ سرعان ما أصبح المؤرخ المسلم بعد انتشار التدوين في القرن الثاني للهجرة , يعتمد في كتابته التاريخية – إلى جانب الذاكرة والحفظ – على الكتب التاريخية التي سبقه المؤرخون في كتابتها [1] .

فضلاً عن أن الأسانيد ثبت أنها تؤدي إلى الإطالة و التضخم في حجم المصادر , وأصبحت حشواً أضافياً لا لزوم له , وصار تكراره عديم الجدوى والفائدة , ويجزئ في الأخبار المنقولة , ويبعث على الملل والسأم , وهذا كله يرهق القارئ , كما يرى أنه لا علاقه للإسناد بموضوعات مثل تاريخ وجغرافية وحضارة بلاد الصين والترك والهند .

إلا أن روايات المروزيّ تفتقر إلى عنصر المشاهدة والمعاينة للأحداث التاريخية التي عاصرها , ولم يحاول اختبار الاشياء بنفسه , فالمعاينة والمباشرة للأشياء باعث فخر واعتزاز , لأنها حقاً كانت طريقاً علمياً سليماً للوقوف على صحة الخبر من عدمه , وهو تقرير يتسم بالحسم والتثبت والتيقن , فلكل ما يؤكده أو ينفيه , حيث يقول روزنتال [2] :- " أن المؤرخ إذا كان شاهد عيان للحوادث والوقائع فإن ذلك مميزة عظيمة له " , فالمروزيّ لا يتحدث عن شخصيته في أبواب الصين والترك والهند , ولا عن نفسه وحياته وأعماله , ولذلك من خلال قراءة أبوابه الثلاثة لم نجد شيئاً ذا أهمية في مشاهداته .

احتوت الأبواب الثلاثة – الصين والترك والهند – من المقالة الأولى من كتاب " طبائع الحيوان " بعض الأحداث التي عاصرها المروزيّ مستخدماً ألفاظاً تدل على سماعه لها قدمناها سابقاً , وهذه الألفاظ لا يذكر لها مصدراً أو أسماء المروى عنهم , حيث إن كثيراً من أهل الخبرة والمعاينة الذين كانت لهم جولات في بعض الميادين , ووقفوا على الاشياء التي يتحدثون عنها مرات عديدة , او انهم من ذوي المعرفة الناتجة عن الممارسة الفعلية لمهنة او صنعة من الصنائع مثل ربابنة السفن التجارية والتجار وأرباب المراكب الحربية .

ولا ينبغي التقليل من قيمة هذه المصادر التي ربما استعان بها المروزيّ في نقل مروياته , بسبب أن أولئك الأشخاص قد يعوزهم في بعض الأحيان تحكيم العقل العلمي في بعض الأمور أو القضايا , أو لكون بعضهم لم يكونوا رجال

---

[1] السالم , التاريخ والمؤرخون , ص75 .

[2] مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي , ص 178

ثقافة وعلم أو مؤرخون , إلا أن ذلك قد يعوض بالممارسة الطويلة بالتنقل وبتواتر ورود الخبر من أشخاص كثيرين , وقد جمعوا خلال رحلاتهم إلى الشرق قصصاً وحكايات من أفواه تلك البلاد أو نقلوها من أهل مهنتهم , وصلوا قبلهم تلك البلاد [1] , ولكن يجب ملاحظة أن الذين اعتمدوا على النقل أو على الرواية التاريخية الشفهية , ربما تتعارض في الحادثة الواحدة تضارباً في بعض نصوصها قد يوقع القارئ في حيرة , فلا يدري أي الروايات يأخذ وأيها يترك , لأن بعضاً من الإخباريين يكثر في كلامهم الخلط والتزيد في الحوادث والاخبار .

ثانياً - نقد الروايات :-

انفرد المروزيّ بتقديم الحوادث التاريخية بأسلوب روائي موضوعي , وسكت عند الحديث عن بعض الروايات الغريبة عن الواقع , والتي يشوبها الشبهات والظنون , إلا أنه في جانب آخر لم يقبل ما مدته به كل المصادر من الروايات التاريخية من قبيل المسلمات التي لا يمكن ردها او مناقشتها , فقد وقف موقف الناقد المتمكن في رفضه لرواية صاحب المسالك والممالك التي تقول [2] :- " إن وراء الصين أمة شقر الألوان حمر الشعور ويشتد حر الشمس عندهم وأنهم يسكنون أسراباً فقد اتخذوها لأنفسهم فإذا طلعت الشمس عليهم دخلوا تلك الأسراب إلى أن تقرب الشمس من الغروب ثم يخرجون " , اذ يقول المروزيّ ناقداً هذه الرواية صراحة [3] :- " وهذا قول فيه نظر لان شقرة اللون وحمرة الشعور تكون من إفراط البرد وقلة الحرارة كما في الصقالبة والروس ".

لكن بعض الروايات والحكايات الأخرى ذات النزعة الأسطورية والمبالغة ومستغربات الحدوث , التي نقلها عن الرواة الآخرين , كان يقبلها على علاتها , ويثبتها من دون أن يحكم عقله فيها وبدون تعليق ونقد , مثال رواية العمالقة التي لا يمكن تقبلها [4] , ربما عذره في ذلك سيادة الخرافة في ثقافة عصره .

وكان المروزيّ لا يترك الروايات البعيدة عن التصديق ومستغربات الحدوث على علتها , بل كانت النصوص التي يشك في صحتها يردفها بلفظة نقدية لتضعيفها ولكن بطريقة غير مباشرة , تدل على عدم رضاه عن الرواية أو هذه الروايات , ندرج نماذج نصوص منها , وقد وردت في الأبواب الثلاث بحث الدراسة :-

---

[1] كراتشكو فسكي , تاريخ الأدب الجغرافي العربي , القسم الاول , ص 143 , 146 , 147.
[2] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص47 , .
[3] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص35 .
[4] المروزيّ, طبائع الحيوان , ص51 .

1- " إذا اشترى الغريب جارية وأولدها وأراد أن يخرجها معه يمنع من ذلك (ويقولون) لم زرعت في أرضنا ومن أذن لك فالآن خذ زرعك يعني الولد ودع الزرع " [1] .

2- " (ويزعمون) أن من اخذ منها شيئا وقع في بيته الموت فلا يزال كذلك حتى يرده " [2].

3- " (ويزعمون) أن النار تطهرهم وتنقيهم) [3] .

4- " فممن اثبت الخالق البراهمة (زعموا) أن رسول الله أليهم ملك من الملائكة له باسديوا اتاهم في صورة البشر " [4] .

5- " ومنهم المهادرية (زعموا) أن رسول الله أليهم ملك من الملائكة يقال له مهادوية " [5] .

6- " (ومنهم الكابالية (زعموا) أن رسولهم ملك من الملائكة يقال له شب " [6] .

7- " (لزعمهم) أن سبب التناسل في العالم الذكر " [7] .

8- " (وزعم) أن ذلك يؤديهم إلى رضاء الخالق " [8] .

9- " (فزعموا) أن الله قد دعا الخلق إلى عبادته ولم يحوجهم إلى احد " [9] .

10- " ومنهم من (يزعم) أن إصابة الحق والهجوم على حقيقة الأمر في أتلاف الأبدان والنجاة منها " [10] .

11- " (وزعموا) أنه تجلت لهم الملائكة حتى استعادوا منهم ما وضعوا به الكتب و الآداب والرقي " [11]

12- " (يزعمون) أنهم كانوا ثلاثة أخوة بهادر وجون ومرش " [12] .

13- " يقال لها ما كان (يزعمون)انه عفريت يستحق العبادة " [13] .

14- " وهم (يزعمون) أن مع الماء ملكا وانه أصل كل نشوء " [1] .

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص47 .
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص48 .
(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص50 .
(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص77 .
(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص77 .
(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص78 .
(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص78.
(8) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص78 .
(9) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص78 .
(10) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص79 .
(11) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص79 .
(12) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص80 .
(13) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص80 .

15- " (ويزعمون) إن الشمس ملك من الملائكة ويتقربون أليها بالسجود والطواف والدخن وأنواع المزاهر " [(2)] .

16- " (ويزعمون) أنهم ولد سام بن نوح " [(3)] .

17- " (ويزعمون) أن هذا الصنم نزل من السماء وأمرنا بعبادته " [(4)] .

ومما تقدم يتضح أيضاً أن استخدام المروزيّ لألفاظ (يزعمون , زعموا , لزعمهم , وزعم , يزعم) , دلالة على معاصرته للروايات , لكن في الوقت نفسه دلالة على عدم اتفاقه وتشككه في هذه الروايات التي يكتنفها الغموض والتعقيد , إلا انه لم يسند ذلك إلى الأدلة والبراهين العلمية ليؤيد رفضه وتشككه لها .

لكن يشاهد الجانب النقدي لديه من خلال ندرة ما حكاه من أخبار الخوارق والمعجزات والخرافات أو النوادر العجيبة وابتعاده عن أسلوب التهويل , كما كان الحال لدى المؤرخين والرحالة العرب المسلمين السالفين والمعاصرين له , الذين وردت في مروياتهم وأخبارهم بعض الأساطير والخرافات وتجعلنا نميل الى الاعتقاد بأنه أستطاع الانفكاك من تأثير الروايات ذات النزعة الأسطورية , والخروج من دائرتها وفلكها , وأصبح حراً في تفكيره قادراً على الارتقاء بمستوى كتاباته التاريخية والجغرافية , والمضي فيها الى المستوى التاريخ العالمي الصحيح .

وعلى اي حال فان الملاحظات التي دونت في هذا البحث قد تنبه الى ملاحظات بسيطة , لكنها لا تقلل بحال من قيمة مصنف المروزيّ صاحب السبق والتأليف .

ثالثاً - بداية النقل ونهايته :-

لعل من أهم الأمور أهمية في نقل الموارد عند المروزيّ , تعيين بداية النقل , إذ أن بداية النقل تقدم أنطباعاً بأن المادة التي تتضمنها , تكون وحدة مستقلة ذات فكرة واحدة , ومرتبطة في الوقت نفسه بالسياق العام لمجموع النص , لذا لا يجد القارئ في أبواب الصين والترك والهند - أبواب بحث الدراسة - أدنى شك فيما يتعلق الأمر ببدء النقل , فأنه أذا كان النقل لرواية شفهية , أو إذا كان المؤرخ قد عدّها رواية شفهية , فانه مجرد استعمال كلمة (يقال) دلالة كافية على بدء النص والنقل , وهذه الكلمة (قال) يجوز أيضاً أن تدل على استمرار النقل .

لقد استخدم المروزيّ كلمة (يقال) , في الأبواب الثلاثة - الصين والترك والهند - سبعة وثلاثين مرة , وهي الأكثر شيوعاً في الأبواب الثلاث , وعدّ دلالة

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص80 .

(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص82 .

(3) المروزيّ, طبائع الحيوان , ص 85 .

(4) المروزيّ, طبائع الحيوان , ص85.

على بداية النقل للموارد , وهناك عبارات ومصطلحات اخرى معبرة عن ذلك تدل على بداية النقل ايضاً أوردها المروزيّ من موارد معينه نحو قوله , وحكي , وذكر , قال , ويزعمون .

أما نهاية النقل فأمر صعب , فمن العسير التثبت منه , وذلك لإهمال المروزيّ معظم موارده الصريحة من ناحية , ولقلة العبارات الدالة على ذلك من ناحية أخرى .

وعلى العموم يستنتج أن المروزيّ أتبع منهجاً علمياً حيادياً بعيد عن التحيز في نقل مصادره في الأبواب الثلاثة - بحث الدراسة - فمن الناحية العلمية كان المروزيّ قد أعتمد على موارد يونانية قديمة وعربية إسلامية وفارسية مدونة وأُخرى مشافهة , لكنه لم يفرق بين هذه المصادر وبين انتماء مؤلفيها القومي والديني والمذهبي , وأن أبواب الدراسة من الأعمال الرصينة , وعلى قدر من الأهمية لما احتوته من علوم ومعارف , تناول المروزيّ فيها شتى مجالات الحياة في بلاد الصين والترك والهند , وأحد أقدم المصادر العربية الإسلامية التي تناولت تأريخ تلك البلاد بمهارة .

الفصل الرابع

تطبيقات منهجيـــــة

لم يقتصر المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ على السرد الروائي لأحداث التاريخ في بلاد الصين والترك والهند , وبطريقة تاريخية جافة ومملة وموروثة تعتمد على تدوين تاريخ الملوك والخانات والأباطرة والمهراجا والأمراء والسلاطين في هذه البلاد , وجعلها المحور الذي تدور حوله هذه الدراسة التاريخية , وأن يكون المؤرخ مجرد إخباري تقتصر مهمته على تقديم الأخبار التاريخية من الموارد التي تتوافر لديه , والوثائق التي تكون قد تكدست بين يديه , ومتابعة سلسلة الرواة للتأكد من صحتها , بل أنتهج نهجاً مستقلاً مميزاً , عمد فيه إلى تسجيل كل ما يتعلق بحياة الإنسان في بلاد الصين والترك والهند , فنظر اليه نظرة شاملة محيطة , من دون أن يفصل بين شؤونه الحربية والسياسية , وبين ما يتعلق بجوانب حياته الجغرافية والإدارية والدينية والاقتصادية ومظاهر حياته الاجتماعية , أو ما يتعلق بأخلاقه ونظامه بالحياة , أو ما يتأثر فيه من الأشياء ضمن محيطه البيئي , وكيفية سيطرته على العوامل التي وقفت في طريقه , حائلاً بينه وبين تحقيق مراميه وأهدافه , لذا قدم لنا المروزيّ حشداً كبيراً من المعلومات والمظاهر الحضارية وطبائع الناس في سياق تناوله بلاد الصين والترك والهند .

بعد هذه الديباجة , وحتى نستكمل لعنوان الأطروحة حقه في هذه الدراسة , سنعرض في الفصل الأخير هذا , تطبيقات منهجية كما جاءت في موارد المروزيّ , استقاها من مصادر متعددة وأهتم بمعالجتها في الأبواب الثلاثة – الصين والترك والهند – وسنعرض لها في الشكل الآتي .

أولاً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن الجانب الجغرافي .

بدأ المروزيّ في الباب الأول من مقالته الأولى من كتابه طبائع الحيوان , في وصف جغرافي للأقاليم السبعة وحدودها التي نوهنا عنها سابقاً واستفاض في ذلك , ثم بيّن لنا موقع بلاد الصين وامتدادها في ثلاثة من هذه الأقاليم , وهي الإقليم الأول الذي يبدأ من أقاصي بلاد الصين , والاقليم الثاني الذي يبدأ من المشرق فيمر على بلاد الصين , والإقليم الثالث الذي يبدأ من المشرق ايضاً فيمر على شمال بلاد الصين [1] .

لقد أُولى شرف الزمان طاهر المروزيّ بلاد الصين عناية طيبة , وانصبت جهوده في تعريف موقع بلاد الصين والمواقع الجغرافية وبعض المدن المهمة فيها بتحديد دقيق لتلك المواقع , واستفاض في الحديث عن شعوبها وأهلها نحو

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص33 , 34 .

قوله [1] :- " مملكة الصين واسعة الرقعة كثيرة المدن والامصار والقرى وتدخل في ثلث اقاليم... لامتداد اطرافها وكثرة بلادها ولما كانت بلادها موضوعة في مشارق الشمس كانت أهويتها صافية ومياهها باردة عذبة وتربها طيبة وإذا كانت البلاد بهذه الصفة كان سكانها وعمارها كذلك " .

ويستمر المروزيّ في وصف أقاليم الصين قائلاً[2] : - " تنقسم أراضيهم ثلاثة اقسام وهي الصين وقتاي التي يسميها العامة خطاي ويغر واعظمها خطة ومملكة الصين " , ونجده تارة أخرى يحدد الموقع المكاني الدقيق لموضع بلاد الصين نحو قوله [3] :- " واراضي الصين ما بين بحر المحيط واراضي التغزغز والتبت والخليج الفارسي " .

ووصف المروزيّ [4] أجناس بلاد الترك وصفاً دقيقاً , ولكن بشكل مختصر قائلاً :- " الترك أمة عظيمة كثيرة الاجناس والانواع كثيرة القبائل والافخاذ ومنهم ساكنوا البلاد والقرى ومنهم ساكنوا البراري والمفاوز " , إلا انه لم يحدد هنا حدود بلاد الترك الجغرافية ربما بسبب ان قبائل الترك في البراري والمفاوز في حركة دائمة صيفاً وشتاء وليس لها مستقر ثابت , فذكر ابن فضلان[5] ان الكثير منهم قبائل بدوية رحل , همهم الأول الحصول على القطر والمرعى تراهم في كل مكان .

ثم يتجه المروزيّ [6] الى وصف بلاد الهند وموقعها قائلاً **:-** " الهند أمة عظيمة كثيرة الاجناس مفتنة الانواع متباينة الآراء والديانات وهم ساكنوا الربع الجنوبي من الارض المسكونة وبلادهم كثيرة ممتدة الارجاء متفاوتة الاطراف الى منتهى العمارة حيث ينقطع الحرث والنسل وينعدم كون الحيوان " , وأيده في هذا الوصف الدقيق , كل من الشهرستاني والادريسي [7].

كما أورد المروزيّ [8] وصفاً جغرافياً لعدد من المواقع والمدن والموانئ البحرية في الصين , وبين التفاوت بينها من حيث اهميتها , نحو قوله عن عاصمة الصين ينجور[9] :- " وهو بلد كبير استدارته مسيرة ثلثة ايام وقربه بلد اخر اعظم

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 33 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 34 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص48 .
[4] طبائع الحيوان , ص49.
[5] رسالة ابن فضلان , ص 91 .
[6] طبائع الحيوان , ص 58 .
[7] الملل والنحل , ج3 , ص 704 ؛ الأدريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص 96 .
[8] طبائع الحيوان , ص 42 .
[9] وهي عند ابو الفداء , تقويم البلدان ص365 (ينجو) , تقع على ساحل البحر وهي مستقر ملوك الصين .

منه يقال له كوفو إلّا أن الملك ينزل ينجور قال وهذا البلد يخرقه نهر كبير يقطع البلد نصفين فيسكن الملك وحواشيه وجنوده واتباعه في احد الشقين وفي الشق الاخر مساكن الرعاية والاسواق وملكهم يسمى تمغاج خان , وهو الذي يقال له فغفور[1] " .

ويستمر المروزيّ [2] في وصف مدن الصين والمقارنة بينها , فيصف معالم مدينة خانقو ويقارنها مع مدينة لوقير قائلاً :- " وهي اعظم من لوقير وهو مرفأ اعظم وبها نهر الماء عذب كبير يخترق البلد وعليه جسور " .

وعن حماية المدن وكيفية الدفاع عنها , فيقول عن تحصين مدينة خمدان [3] :- " وحوالي خمدان الذي هو مدينة الملك الملقب بيغفور مائة وعشرين قرية في كل قرية زهاء الف رجل مرتبة وللمدينة أربعة أبواب " .

ووصف المروزيّ جغرافية بلاد التبت وحدودها بين البلاد نحو قوله [4] :- " وأما التبت فهي بلاد موضوعة بين أرض الصين والهند والأرض الخرخلية والتغزغز وبحر فارس وبعضها في مملكة الصين – احد الممالك الثلاث لبلاد الصين – وبعضها في مملكة الهند " .

ووصف المروزيّ جغرافية أرض خرخيز في بلاد الترك نحو قوله [5] : - " وفي ارض خرخيز أربعة أودية تجري وتنصب في وادٍ عظيم يشرع فيما بين جبال وأغوار مظلمة " .

وأعتنى في موارده الجغرافية بذكر المسافات بين المدن والاماكن وأبعادها من حيث القرب أو البعد , وكان مقياس المسافة لديه يقاس اما بالسنين , أو الشهور أو الأيام , أي أنه يستعمل في معظم الاحيان الزمان وحدة لقياس المسافات , ثم اتجه في مواضع أخرى الى تقديم القياس بالفراسخ .

---

[1] قال المسعودي :- " العامة تسميه بغبور وتفسير ذلك : ابن السماء , تعظيماً له , اما الاسم الاخص لملوك الصين والذي يخاطبون به : طمغاج خان , ولا يخاطبون ببغبور" , مروج الذهب , ج1 , ص 165.

[2] طبائع الحيوان , ص 42 .

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص46 . مدينة الصين العظمى التي ينزلها ملوك الصين , وتقسم هذه المدينة , نصف يكون فيه اهل بيت الملك وخاصته وعماله , ونصف يكون فيه عامتهم واشرافهم . ينظر : البكري , المسالك والممالك , مج 1 , ص 194.

[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص48 .

[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص51 .

فبالسنين نحو قوله [1] :- " ... وإن السقف بني منذ ألفي سنة وله سدنة يقومون عليه والهند كلهم يرون الحج اليه ويحجون اليه مسيرة (سنة او سنتين) ... ومنهم من يحمل اليه المال من مسيرة (سنة) " .

وبالشهور نحو قوله [2] :- " ... ويسميهم أهل الصين سنقو[3] وهم من قتاي على مسيرة (شهر) في نهاية العمران ... ومن قصد اوجم قصبة قتاي مر على سمنت المشرق فوصل الى موضع يقال له خاتون سن في قريب من (شهرين) ثم الى اتوكين في (شهر) ثم الى اوجم في (شهر) " , ونحو قوله [4] :- " والسالك نحو قتاي يبلغ مسيرة نصف (شهر) من سانجو " .

وقوله أيضاً [5] :- " فأما المدينة العظمى التي يسكنها ملك الصين فتسمى خمدان ويقال إن من مدينة جينا نجكث إلى خمدان مسيرة (أربعة اشهر) سير الكلا".

أما قياس المسافات بالأيام فنحو قوله [6] :- " والقاصد نحوهم للتجارة أو غيرها يسلك من كاشغر[7] الى ياركند[8] في (أربعة ايام) , ومنها الى ختن[9] في(احد عشر يوماً) ومنها الى كروبا [10]في(خمسة ايام) ومنها الى ساجو[11] في (خمسين يوماً) ومن هناك تفترق الطريق الى الصين والى قتاي والى يغر فمن قصد ينجور[12] الذي هو مستقر تمغاج خان ملك الصين انحرف عن استقبال

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص85 .

(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص39 .

(3) لعلها مدينة (خانقو) التي ذكرها ابو الفداء : تقويم البلدان ص 364 , وقال عنها بأنها أعظم موانئ الصين , وهي نهاية وصول التجار والمسافرين .

(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص39 .

(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص45.

(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص38.

(7) كاشغر : من بلاد الترك , مدينة وقرى كان يذهب لها عن طريق سمرقند , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 7 , ص 114 .

(8) ياركند : من قرى أشروسنة من بلاد ما وراء النهر , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 4 , ص 492 .

(9) ختن : مدينة صينية كانت تعد من من بلاد تركستان , على ختن رافد تاريم , وهي واحة خصبة اشتهرت منذ القدم بإنتاج الحرير , ياقوت الحموي ' معجم البلدان , مج4 , ص 215 . .

(10) لم اجد ترجمة لهذا الموقع .

(11) جاءت عند ابن خرذابة : المسالك والممالك ص69 (خانجو) ولعلها في ابو الفداء : تقويم البلدان , ص 366 (سوكجو) : وهي مدينة في شمال الصين .

(12) مدينة قريبة من ساحل البحر , وهي مستقر ملوك الصين , ابو الفداء , تقويم البلدان , ص 365 .

المشرق نحو الجنوب يمنة وبلغ قامجو[1] ثم الى لكسين [2] في(أربعين يوماً) . . . الى ينجور في قريب (أربعين يوماً) , وقوله ايضاً :- [3] " ويقتلون من ظفروا به بغير أمر ومنها الى البحر(سبعة ايام) " .

والحقيقة إن قياس المسافات بالسنين والشهور والأيام لا يتسم بالدقة في تحديد مقدار المسافات , لارتباط ذلك بالظروف الجوية والتضاريس الطبيعية وسير الناس والقوافل بوسائل النقل البدائية , وحركة السفن في البحار وتحكم الرياح فيها وغيرها من الظروف والأحوال , وأنواع المسير في البر نحو قول المروزيّ[4] " ... مسير اربعة اشهر سير الكلأ " .

ويعرض المروزيّ قياس المسافات بالفراسخ نحو قوله [5] :- " وهناك حفظة[6] مرتبون في كل (فرسخين) , وقوله ايضاً [7] :- " وفيها مدينة هد كيرة ولها سوق نحو من فرسخ " .

أما المساحة لدى المروزيّ , فتقاس مرة بالزمن نحو قوله [8] :- " وطول ارض بجناك مسيرة (ثلثين في ثلثين يوما) " , او بالفرسخ نحو قوله [9] :- " ودور اوجم قريب من (فرسخين) " .

وأعتنى في قياس مسافات البحر بمقياس الفرسخ ايضاً نحو قوله [10] :- " والبحريون يقدرون سير المراكب في كل يوم اذا طاب الريح (خمسين فرّسخاً) , فعلى هذا التقدير يكون ساحلها (ثلثه الاف فرسخ) على شط البحر " .

---

[1] قانطو : عند ابن خرذابة , المسالك والممالك , ص69, وتبعد عن مدينة ينجو عشرين يوماً .

[2] لم اجد ترجمة لهذا الموقع .

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص39.

[4] طبائع الحيوان , ص 45 .

[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 39.

[6] حفظة : والمحافظة : المراقبة , أبن منظور , لسان العرب , ج7 , ص440 , وهنا قصد الحرس والشرطة . .

[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص84 .

[8] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص52 .

[9] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 39 .

[10] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 46.

كما عرض مساحة بعض الأراضي بالفراسخ , مثل مساحة أرض قبيلة المجغرية من الترك فهو يقول [1] : - " لهم اراضي كثيرة تبلغ (مائة فرسخ) في (مائة فرسخ) " .

أما في الجغرافية البشرية , فقد تحدث مطولاً في الأبواب الثلاث حول أثر البيئة على الأنسان لدى شعوب الصين والترك والهند , وتحكم العناصر الجغرافية الطبيعية في ردة الفعل البشري لدى تلك الشعوب وفهم تاريخها , فمن هنا بين المروزيّ التأثير المناخي على الإنسان , وقد يكون التأثير المناخي متميزاً في بعض الأحيان , بينما يكون تأثير الموقع الجغرافي أظهر بالوضوح في أحيان أخرى , لكن التأثير المشترك لهذين العنصرين معاً مرتبط كل الارتباط في جميع الحالات , ومن هنا نعود و نكرر ما نقل إلينا المروزيّ عن آراء اثنين من الأطباء اليونايين هما ابقراط وجالينوس في مصنفاتهما العلمية , - كثيراً ما يلهج المروزيّ بذكر اسميهما في عموم مقالات كتابه (طبائع الحيوان) - في تأثير المناخ في طباع الناس وأبدانهم , وكذلك أثره في الزيادة والنقصان وفي لون شعره وجلده وحيض النساء ونوع الطعام , وتأثير الشمس في المناطق الشمالية البعيدة عن سمتها وكذلك اثر البيئة الباردة والرطبة وخاصة في بلاد الترك .

وعن أثر الموقع الجغرافي وطبيعة الارض على شكل الانسان في بلاد الصين , يقول [2] :- " ولما كانت بلادها موضوعة في مشارق الشمس كانت اهويتها صافية ومياهها باردة عذبة وتربتها طيبة " , لذا يصف المروزيّ الوان سكان الصين بأنهم [3] :- " . . . بيض الوجوه كلهم ليس فيهم أسود ولا أسمر وهم أشد بياضاً من الروم وانصع ألواناً وأرق بشرة " .

ويتحدث المروزيّ عن تأثير الحرارة العالية في سلوك الانسان , فينقل الينا رواية صاحب كتاب المسالك [4] :- " إن وراء الصين أمة شقر الألوان حمر الشعور ويشتد حر الشمس عندهم وانهم يسكنون اسراباً قد اتخذوها لأنفسهم فاذا طلعت الشمس عليهم دخلوا تلك الأسراب الى أن يقرب الشمس من الغروب ثم يخرجون " , و ينقل لنا المروزيّ رواية ابقراط في أثر الحرارة والبرودة على شكل الانسان وتشابه سكان البلاد بتأثيرها قائلاً [5] :- " إن في أرض اوروفي أمةً من

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص54.
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص34.
(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص42.
(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص46.
(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص56.

أمم الترك [1] يشبه بعضهم بعضاً ولا يشبهون غيرهم وكذلك أهل مصر يشبه بعضهم بعضا إلا أن أهل مصر نشأوا في الحرارة والترك نشأوا في البرودة " [2].

أما تأثير البيئة الباردة والرطبة في صفات أهل الترك فينقل لنا عن العالم اليوناني جالينوس نحو قوله [3] :- " إن بلاد الترك باردة رطبة كثيرة المياه والصحاري . . . وإن الترك فراغ ليس لهم أعمال شاقة يتشغلون بها وإنما قال لا يرى لهم مفاصل يعني ان مفاصلهم غائرة لا ترى لكثرة اللحم لأن المزاجات الرطبة تولد لحماً كثيراً رطباً بارداً سميناً ضعيفاً فصارت مزاجات الترك لذلك رطبة باردة " [4].

وعرض المروزيّ في رواية مطولة رأياً إضافياً للعالم اليوناني أبقراط عن أثر الطبيعة الباردة والهواء في الصفات الجسدية لقبائل الترك التي تسكن المناطق الباردة وأثر ذلك في قلة إنجاب الأطفال لديهم قائلاً [5] :- " وتكون ابدانهم دسمة جداً جرداً اضطراراً وقال أيضاً إن هذه الطبيعة لا تكون كثيرة الولد لأنه لا تهيج شهوة الرجال الى النساء والمباضعة لحال رطوبة مزاجهم وللين البطن وبرده وقال في موضع آخر- لا زال النص مستمراً - إن نساؤهم إنما تقل أولادهن للين بطونهن ورطوبتها لأن الأرحام لا تستطيع ان تخطف المني وتجذبه ولأن طهر النساء الكائن لهن في كل شهر لا يكون لهن على ما ينبغي وذلك أن طهرهن يكون قليلاً بعد زمن طويل لان افواه الأرحام منهن منسدة بكثرة الشحم وكما أن أبدانهن كلها سمينة كذلك لا محالة تكون أعناق أرحامهن سمينة ولما كانت الاعضاء المهزولة النحيفة منفتحة المنافذ واسعة المدخل فكذلك الأعضاء السمينة تكون ضيقة المدخل فلهذه العلل لا يحبلن كثيرا " .

وينقل لنا رأي العالم اليوناني جالينوس حول قلة الإنجاب لدى نساء الترك في المناطق الباردة والرطبة , و سبب كثرة انجاب الآماء والجاريات لديهم قائلاً [6] :- " إن قلة حبلهن تكون من أسباب منها ضيق عنق الرحم ومنها انهن لا يطهرن في كل شهر كما ينبغي ومنها ان القوة الجاذبة التي تكون في الرحم تكون ضعيفة بسبب البرد والرطوبة فيهن فلا تختطف المني بسرعة فيفسد المني قبل وصوله الى مسقط للطافته ورطوبته " .

---

[1] عند ابقراط , في الأهوية والمياه والبلدان , ص 50 , (الصقالبة) .
[2] ابقراط , الاهوية والمياه والبلدان , ص 50 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص56.
[4] ابقراط , الاهوية والمياه والبلدان , ص 55 .
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص56.
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص56 , 57.

ونقل قول جالينوس في موضع آخر [1] :- " إن النساء الترك لا يحبلن كثيراً لفراغهن ودعتهن فأما الاَماء والولائد التي لهم فلكثرة حركاتهن واعمالهن تنتفض ابدانهن وتخرج الفضول الرطبة التي فيها وتجف بها ارحامهن فيحبلن سريعاً وتكثر اولادهن " .

وأضاف نقلاً عن رواية العالم اليوناني أبقراط حول الصفات البشرية لبعض رجال الترك في البلاد الباردة والرطبة , قائلاً [2] :- " إن كثيراً من الترك مع ما ذكرنا ما فيهم يكونون كالخصيان لا يقدرون على النساء " , ويؤكد المروزيّ ذلك ويقول [3]:- " وهذا الذي ذكره – يقصد أبقراط - قد يوجد ويشاهد في سكان بعض بلادهم " [4].

أما أثر البيئة الجغرافية على قبائل الترك التي تسكن البراري والصحاري الشاسعة , فهؤلاء كثيرو الحركة والتنقل صيفاً وشتاء , ولا ملوك لديهم , وهم أشد قوة وبسالة عن باقي قبائل الترك [5] , فينقل عن أبقراط صفات هؤلاء , نحو قوله [6] :- " إن من أهل آسية [7]من لا طاعة عليهم ولا يملكهم غيرهم مثل اليونانيين والترك فانهم احرار يملكون انفسهم ولا يملكون عليهم غيرهم فيعملون ويكدحون لأنفسهم لا لغيرهم وهؤلاء اشد اقداماً وصولة وقتالاً من سائر الناس ولصبرهم على محاربة من يحاربهم يأخذون الغنائم لأنفسهم بالسواء " .

وعن نساء قبائل الترك التي تسكن البراري والصحاري , ومشاركتهن مع الرجال في خوض غمار الحروب , يورد المروزيّ عن جالينوس صفات هؤلاء النساء نحو قوله [8] :- " إن نساء هؤلاء يحاربن مثل الرجال وأنهن يقطعن احد الثديين لترجع القوة كلها الى الذراع وكي تخف ابدانهن ويثبن على صهوات الخيل".

وعن هؤلاء النسوة أيضاً , أورد لنا من مصنفات أبقراط قائلاً [9] :- " ذكر ابقراط هؤلاء النساء في بعض كتبه وسماهن امازونس ومعناه ذوات ثدي واحد لقطعهن الاخر ولا يمنعهن عن قطع الآخر إلا حاجتهن الى رضاع أولادهن

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص56.
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص57.
(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص57.
(4) ابقراط , الاهوية والمياه والبلدان , ص 56 .
(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص57.
(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص57 .
(7) آسية أو اشية , اي : اسيا , ابقراط , الاهوية والمياه والبلدان , ص 61 .
(8) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص57.
(9) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص57.

واستبقاء النسل وانما يقطعن الواحد لئلا يحبسهن عن رمي النشاب على ظهور الخيل " .

وذكر المروزيّ الأثر النفسي الذي تحدثه طبيعة بعض البلدان وخصائصها في أمزجة سكانها , فبلد التبت [1]مثلاً له خصائص عجيبة في هوائه ومائه وارضه وسهله وجبله , نحو قوله [2] :- " ومن خاصية بلادهم أن من دخل وسكنها يكون مروراً ضاحكا أبداً من غير أن يعرف سبباً له ولا يرى فيها محزون ابداً " , وأيده في ذلك ابن خرداذبة [3].

وكذلك الحال في جزائر السيلا[4] , إذ يقول [5] :- " وفي أقاصي أرض الصين بلاد يقال لها سيلا كل من دخلها من الغرباء من المسلمين أو غيرهم استوطنها ولم يخرج منها البتة لطيبها وكثرة خيرها " , وأيده في ذلك كل من أبن خرداذبة والمسعودي والقزويني [6] .

وعن أثر الطعام في صفات قبائل الترك وأشكالها , نقل الينا رأي العالم أبقراط في ذلك قائلاً [7] :- " إن اغذية الترك وعاداتهم يشبه بعضهم بعضا فلهذا صاروا اشباها لأنفسهم دون غيرهم من سائر الناس فأنهم لا يشبهونهم لا في صورهم ولا في عاداتهم قال ولهذا من الحال صارت صورهم غليظة لحمية لا ترى لهم مفاصل وابدانهم لينة رطبة لا قوة لهم "[8] .

لقد قدم لنا المروزيّ جغرافية بلاد الصين وقبائل الترك وبلاد الهند , في مقالته الاولى , وهذه الابواب الثلاث تعد من أهم أبواب الكتاب التي تحدث فيها المؤلف , مستعرضاً اهم القبائل التركية وحركتها في الشرق الاقصى , والبلاد الصينية , والمعتقدات والامم الهندية , منتقلاً من وسط الارض – بلاد فارس – الى اقاصي الصين – بلاد الصين - .

---

[1] التبت : تقع شمال جبال هملايا , مشهورة بأسم هضبة التبت , ديانتهم البوذية , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج1 , ص 428 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص48.
[3] المسالك والممالك , ص170 .
[4] هي اقصى بلاد عرفها العرب في المشرق , المسعودي , مروج الذهب , ج1 , ص 185 .
[5] طبائع الحيوان , ص47 , 48 .
[6] المسالك والممالك , ص 170 ؛ مروج الذهب , ج1 , ص 185 ؛ اثار البلاد , ص79 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص56.
[8] ابقراط , الاهوية والمياه والبلدان , ص 53 .

وعلى هذا يمكننا القول من نافلة ما سبق أن المروزيّ قد شق طريقه بين الجغرافيين المسلمين بإصراره على أهمية النظرة الشاملة للأحوال العامة التي يعتمد عليها أنتشار الأنسان على وجه الأرض , ومحاولته دمج العنصر الإنساني في علم الجغرافية .

ثانياً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن الجانب السياسي والطبقات الحاكمة في بلاد الصين والترك والهند .

عرض لنا المروزيّ في موارده جوانب من الأنظمة السياسية في بلاد الصين والترك والهند وأرض التبت أيضاً , والطبقات الحاكمة وألقاب ملوكهم , التي كانت قائمة في تلك البلاد في عصر المروزيّ , إلا أن هذه المعلومات قليلة ولم يبسط المروزيّ القول في اخبارهم ليتسنى لنا رسم حياتهم بصورة واضحة , وتفتقر الى عامل الزمن والتوقيت الدقيق لمدد حكم ملوكهم والمدة الزمنية التي يتحدث عنها بشكل دقيق في موارده .

ولم يشر في أخباره عن النظام المتبع لنقل السلطة في هذه البلاد , وهل كان وراثياً أو غير ذلك , إلا أنّه يذكر أنّ أهل بلاد التبت اذا مات الملك ولا وريث له من أهل بيته فإنهم يختارون أحدهم ويجعلون له الخاقانية وهو لقب ملوك بلادهم [1] .

أما القاب ملوك الترك فهي التغز خاقان لدى قبائل الغزية [2] , وكنده لدى قبائل المجغرية [3] , ورئيس قبائل الصقالبة يسمى شويت وله خليفة يقال له شريح [4] , أما ملك القبائل الروسية فهو قائم بنفسه مستقلاً ولقب ملكهم بولادمير [5] , كما يلقب ملك الترك بخاقان [6] , وملك قبائل البلغار بطلطو[7] .

وكان هناك ائتلاف قبلي يتكون من اثنتي عشرة قبيلة تركية متوحدة في بلاد

ما وراء النهر , يقودها ملك يلقب بتغز خاقان[8] , وكان لخاقانهم خيمة تتسع لالف انسان[1] .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص48 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص50.
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص50 .
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 50 .
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص55.
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص55 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 55 .
[8] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص54.

ويتميز ملوك الهند عن ملوك الصين والترك بأنهم جميعاً مخرمو الآذان [2] , ويلبسون الحلي والجواهر والقلائد والأسورة والوشاحين [3] , وألقابهم هي الملك , والملك الكبير[4] والراي , والراي الكبير [5] , والمهراج , وتفسيره ملك الملوك [6] , والبلهرا [7] .

ثالثاً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن نظام الحكم والادارة والقضاء .

أفصح المروزيّ [8] القول عن حياة ملك الصين ونظام ادارته قائلاً :- " وملكهم لا يكاد يبرز ولا يصل إليه أحد إلا وزيره أو حاجبه و رؤوس عسكره[9] يرونه في كل سبعة أيام مرة واحدة " [10].

وأضاف [11] واصفاً مراسيم استقبال ملك الصين لسفراء الملوك الأجانب في بلاطه :- " واذا ورد عليه رسول من بعض الملوك أدخل عليه في وقت يأذن له ويقف وزيره عن يمينه ويقف الرسول بالبعد منه على حسب مرتبة مرسله ثم يسجد ولا يرفع راسه ثم يأمر الملك له بتخت اثواب وجام[12] من فضة مذهبة ويصرف الى دار الرسل ويحضر كل يوم دار الملك ويتغدى الى ان يجاب ويصرف " .

ومن مراسيم أهل الصين أنهم لا يمكنون الغرباء من الدخول اليهم والمقام بين أظهرهم [13] , وظاهرة منع التجول موجودة لدى أهل الصين وإجراءاتهم شديدة لمن يخترق ذلك , فيصف المروزيّ[14] ظاهرة منع التجول قائلاً :- " وفي

---

[1] القزويني , اثار البلاد واخبار العباد , ص240 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص84.
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص86.
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص83.
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص89.
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 43 , 44 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص83.
[8] طبائع الحيوان , ص45.
[9] روس عسكره , قادة الجيش .
[10] الحميري , الروض المعطار , ص 371 .
[11] طبائع الحيوان , ص45.
[12] جام : كاس أو قدح , التونجي , المعجم الذهبي , ص 198.
[13] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 35 .
[14] طبائع الحيوان , , ص 45 , 46.

قصر الملك كوسات[1] وطبول كثيرة فإذا قرب غروب الشمس قرعت الكوسات فإذا سمعوا ذلك بادر كل واحد وتسارع الى منزله فلا يبقى بعد غروب الشمس أحد من خارج المدينة وتفرق اصحاب السلطان في المحال والسكك فأن وجدوا احداً خارج المنزل ضربوا عنقه وطرحوا راسه في موضع قد أعد لذلك مكتوب عليه هذا جزاء من خالف أمر السلطان " [2], ويحدد الكرديزيّ [3] عدد هذه الكوسات والطبول بمائة وثمانين جرس وطبل .

وأكثر المروزيّ من ذكر الأرقام في الجانب الاداري في بلاد الصين , فيقول [4] عن مدينة خمدان عاصمة بلاد الصين :- " وحوالي خمدان الذي هو مدينة الملك الملقب بفغفور[5] مائة وعشرين قرية في كل قرية زهاء الف رجل مرتبة وللمدينة اربعة ابواب واذا ركب الملك ركب معه ثلاثون الف فارس " .

ووصف إجراءات القضاء في المحاكم الصينية عند وقوع الجريمة في بلاد الصين نحو قوله [6] :- " ومن سنة أهل الصين أن الرجل اذا أذنب ذنباً يستوجب العقوبة والتأديب فلا يعاقب الا بعد ان يعترف بذنبه ويبذل خطة بذلك ثم يعرض خطه على امناء الملك ويأمر الملك بتأديبه على جنايته وكذلك إن اذنب ذنباً استوجب به القتل فأنه لا يقتل حتى يبذل خطه بأنه استوجب القتل ثم يقرأ عليه خطه بحضرة الجمهور حتى يقر به ثم يتوقف ساعات حتى ينظر هل ينكرون من عقله شيئاً فإذا اتفقوا على صحة عقله حينئذ قتلوه " , ومن أحكامهم الأخرى أنّ من سرق زيادة على مائة فلس وهو عشرة دراهم يقتل ولا يترك البتّة [7] , وهذا الرقم عند المقدسي ثلاثمائة فلس وقيمتها عشرة دراهم [8].

أما الإدارة البلاد والحكم لدى قبائل الترك , فكل قبيلة لها استقلالها مثل قبيلة النصرية فلهم رئيس على حدة [9] , ولكن ذلك لم يكن مطلقاً في بعض الأحيان ,

---

(1) الكوس : الطبل الكبير , التونجي , محمد , المعجم الذهبي فارسي عربي , ط 1 , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , 1966م , ص 484 ,

(2) المقدسي , البدء والتاريخ , ج1 , ص 194.

(3) زين الاخبار , ص 386.

(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص46.

(5) يسميه أهل الصين بغبور , وتفسير ذلك أبن السماء , أي نزل من السماء فولينا . والعرب تسميه المغبون , مكان تسمية أولئك ببغور , وربما تقارب اللفظان , أي المغبون في دينه . ينظر : البكري , المسالك والممالك , مج 1 , ص 195.

(6) طبائع الحيوان , ص 47 .

(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 46 .

(8) البدء والتاريخ , ج1 , ص 194.

(9) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص52.

فبعض القبائل تخضع لسلطة قبيلة أخرى , تكون الأقوى بين هذه القبائل , فيقول [1] :- " ومنهم برداس بلاد برداس من بلاد الخزر وبينهم وبين الخزر مسيرة خمسة عشر يوماً وهم في طاعة ملك الخزر " .

ومنهم ايضاً يقول المروزيّ[2] :- " الخرلخية وكانوا يسكنون جبل تونس وهو جبل الذهب[3] وكانوا عبيداً للتغزغز " .

وبالانتقال الى نظام الحكم والإدارة والقاب الملوك والأمراء في بلاد الهند كما وردت في موارد المروزيّ , فهذه المعلومات قليلة لا تقدم معلومات وافية عن طريقة إدارة هذه البلاد الواسعة جداً , واتجه المروزيّ في التوسع بالحديث عن الجانب الديني على حساب الجوانب الأُخرى في باب بلاد الهند , وقدم إلينا الكثير عن أسماء الممالك من دون الخوض في تفاصيل كيفية إدارتها وبشكل واسع , والمعلومات عن هذه الممالك هي في الأصل قليلة ومجرد إشارات متناثرة في بعض المصادر العربية الاسلامية [4] , مما يحول دون التوسع أكثر في هذا الجانب , والتقيد بما ورد عن المروزيّ , الذي هو بالأساس ناقل لهذه الروايات سماعاً وليس مشاهدة ومعاينة , ولهذا اكتفى بتقديم القليل من الموارد التي تجمعت لديه عن إدارة هذه البلاد , ومن اشهر هذه الممالك وما تتميز به :-

1 : - مملكة قمار[5] -

من أهم ممالك سواحل بحر الاغباب في بلاد الهند [6] ملك قمار يحرم الزنا وشرب الخمر , ويعاقب عليهما بالقتل , وله قضاة عدة , يقضون بين الناس , وإذا قدم لهم أولاد الملك في خصومة أجلسوه بجنب خصمه وحكموا بما يجب في دينهم غير مائلين عن الحق , ومملكة قمار ليست كبيرة كسائر ممالك الهند [7] , إلا أن

---

[1] طبائع الحيوان , ص53.

[2] طبائع الحيوان , ص51.

[3] جبل الذهب : جبل قريب من الصين , ابن خرداذبة , المسالك والممالك , ص 179 .

[4] المسعودي , حسين كريم حميدي , التأريخ السياسي والحضاري لبلاد الهند في المصنفات العربية الاسلامية حتى نهاية العصر العباسي , رسالة دكتوراه , جامعة الكوفة , كلية الآداب , قسم التاريخ , 1435هـ / 2014 م , ص 39 .

[5] موضع بالهند ينسب اليها العود هكذا تقول العامة , والذي ذكره أهل المعرفة قامرون , يعرف منه العود النهاية في الجودة وزعموا أنه يختم بالخاتم فيؤثر فيه . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 4 , ص 87 , البكري , المسالك والممالك , مج1 , ص 206.

[6] يسمى بحر الهند عند ياقوت الحموي , أعظم البحار وأكثرها جزائر وأبسطها , على سواحله مدن , ومن جزائره سيلان والزانج وسقطرى وكولم وسرنديب . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 1 , ص275 .

[7] البكري , المسالك والممالك , مج1 , ص 186 .

ملكهم عظيم القدر , وتخضع له الملوك والفيلة عنده كثيرة [1] , وهداياه للعرب أنياب الفيلة [2] , ويقول البكري [3] :- " ولفراش ملك قمار اربعة الاف امرأة " .

2- مملكة سرنديب [4] :-

ملك سرنديب يطنب في شرب الشراب عكس ملوك الهند , ويحمل إليه الشراب من بلاد العرب [5] .

3:- مملكة رتيلا -

ويقال لملكها فاندين [6] .

4 :- مملكة الماريطي - [7] .

5:- مملكة الصيلمان -

وهي أعظم ممالك الهند , وأكثرها جيشاً , وجيشه بلغ مبلغاً عظيماً , إلا أن أعداد فيلته قليلة , وأهل الهند يقولون إن فيلة الصيلمان أجرأ على القتال , وأقوى من جميع الفيلة , ويقال إن عنده من الفيلة ما يزيد سمكه على عشرة أذرع , وهناك رأي آخر إن فيلته لا تزيد على تسعة اذرع [8] .

وذكر البكري قدرة الفيلة على حسم المعارك في بلاد الهند قائلاً [9] :- " ... واذا كان الفيل ممارساً شجاعاً وراكبه كذلك وكان في خرطومه القرطل , وهو نوع من السيوف شنيع النظر , وكان خرطومه مغشى بالزرد , وعليه تجافيف من القرن والحديد وقد احاطت به , ومن خلفه خمسمائة راجل انجاد كر على خمسة الاف فارس , وقام بهم ودخل وخرج وجال عليهم " .

---

[1] اليعقوبي , تاريخ اليعقوبي , ج2 , ص 84 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص88.
[3] المسالك والممالك , ج1 , ص 190 .
[4] تسمى باللغة الهندية سيلانديب , جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند طولها ثمانون فرسخاً في مثلها , وهي جزيرة تشرع الى بحر كركند وبحر الاعباب , وفي سرنديب الجبل الذي هبط عليه آدم(عليه السلام) . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 1 , ص28 , مج 3 , ص 42 .
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص82 ؛ البكري , المسالك والممالك , مج1 , ص 189 .
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص83 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 83 .
[8] اليعقوبي , التاريخ , ج1 , ص 84 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص83 .
[9] الممالك والمسالك , مج1 , ص 205 .

وذكر الحميري أن ملوك الهند والصين ترغب في ارتفاع ظهور الفيلة وتزيد في أثمانها الذهب الكثير , وأرفعها تسعة أذرع , وقد يوجد في موضع معلوم عندهم عشر أذرع و أحد عشر ذراعاً [1] .

6:- مملكة الأغباب [2]-

تقع دون مملكة الصيلمان , وملكتهم كانت امرأة , ولها من الفيلة ما يزيد سمكه على عشرة أذرع إلى أحد عشر ذراعاً [3] .

7:- مملكة الكمكم -

يقال لملكها بلهرا [4] , وهي مملكة واسعة كثيرة الرجال ومن حوله من الملوك ينقادون له [5] , والاسلام عزيز ومصون في مملكة البلهرا [6] .

وفي بلاد مملكة الكمكم ممالك أخرى , منها مملكة يقال لها الطاقن [7], وهي مملكة صغيرة إلا أنها كثيرة المال عامرة البلاد [8] , تقع في الجبال ولا تشرف على البحار [9] ويذكر السيرافي أنها من ممالك الهند المختلفة الأجناس من البشر , ففيها أصحاب البشرة البيضاء , وأصحاب البشرة السوداء , وقد وصفت فيها النساء بالجمال [10] .

---

[1] الروض المعطار , ص597 .

[2] تقع على بحر الاغباب , وهو ارخبيل يحيط بمجموعة جزر سرنديب المتصلة بالهند , ويسمى : اغباب سرنديب تدخلها المراكب , وتمر فيها بين غياض ورياض , الادريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص 74 .

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص83 .

[4] البلهرا ملك الملوك , وهذا الاسم يتوارثه الملوك المستأخذة عن الملوك الماضية , وكذلك سائر الملوك في الهند , اذا صار الملك لملك منهم تسمي باسم الملك الذي كان قبله , واسماؤهم متوارثة بينهم لا ينتقلون عنها , وقد صار ذلك بينهم سيرة ينتهجونها . ينظر : الادريسي , نزهت المشتاق في اختراق الافاق , ج1 , ص 183 , 184.

[5] اليعقوبي , التاريخ , ج1 , ص 84 ؛ابن خراذبة , المسالك والممالك , ص 67 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص83 .

[6] المسعودي , مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج1 , ص 178.

[7] (الطافن) عند : اليعقوبي , التاريخ , ص 84 ؛ ابن خرداذبة , المسالك والممالك , ص67 ؛ الادريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص ص95 ؛ وعند المسعودي , مروج الذهب , ج1 , ص 97 (الطاقي) .

[8] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص83.

[9] المسعودي , مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج1 , ص 84 ؛ السيرافي , الرحلة , ص 35.

[10] السيرافي , الرحلة , ص 35.

8: - مملكة بجاية -

وملكهم من أشراف ملوك الهند , وبلهرا ملك الكمكم الذي هو الملك الكبير يتزوج منهم , ولا يتزوج من غيرهم [1] .

9: - مملكة الجرر -

وفي هذه المملكة عدل وأمن حتى لو طرح الذهب في وسط الطريق لا يجسر أحد أن يأخذه [2] وجاءت عند الادريسي باسم (الجرز)[3].

11:- مملكة دهم -

وعند البكري دهرم[4] , وعند ابن خرداذبة (رهمي) [5] , والأدريسي , يطلق عليها (دهمي) [6] , وملك دهم له جيش عظيم تزيد عدتهم على ثلاثمئة ألف , ولا يخرج إلا في الشتاء لئلّا تقصر المياه عن حاجتهم , لأنهم يستنزفون الأودية [7] , واهل مملكته يسمونه ملك الحولا [8] وفيها مدينة يقال لها هدكيرة [9] .

12 :- مملكة قامرون -

تتصل هذه المملكة ببلاد الصين , وجيشها قليل [10] .

13:- فرقة بنو المنبه [11]-

يزعمون أنهم من قريش من ولد سام بن لؤي وهم ملوك الهند , ويخطبون لأمام المسلمين , وبلادهم مدينة الملتان [12] تلي مدينة المنصورة , ودخل هؤلاء الملوك من مال الصنم بالملتان دخل عظيم وأمواله في أيدي بني المنبه وهم يستظهرون

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص83.
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص84.
[3] نزهة المشتاق , ج1 , ص 95 .
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص83.
[5] المسالك والممالك , ص 67 .
[6] نزهت المشتاق , ج1 , ص95 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص84 .
[8] البكري , المسالك والممالك , مج1 , ص 187.
[9] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 84 .
[10] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص84.
[11] المسعودي , مروج الذهب , ج1 , ص 199 .
[12] البكري , المسالك والممالك , مج1 , ص 206 ؛ وهي مدينة تاريخية , في الاصل مولتان , كانت تدعى فرج بيت الذهب , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج4, ص342 .

بتلك الأموال ويتغلبون على ملوك الهند[1] , ويذكر المسعودي [2] أنه إذا نزل الكفار وجيوشهم على مدينة الملتان , وعجز المسلمون عن صدهم , هددوهم بكسر الصنم وتعويرة , فترحل الجيوش عنهم .

14:- مملكة الطرسول -

ومدائنها كثيرة , ولهم خيل كثيرة ودواب ومملكة واسعة [3] , ويذكر البكري أن مملكة الطرسول يتميز سكانها بأنهم بيض اللون ولهم شعور يدلونها [4] .

15 : - مملكة الموسة -

مدائنها مبنية بالحجارة [5] , ويذكر البكري [6] أنها بلاد الموجة وليس الموسة .

16:- مملكة المانك -

تتصل هذه المملكة ببلاد الصين[7], وتسمى لدى اليعقوبي[8] والمسعودي [9] والسيرافي[10] بمملكة المايد , وهي جزيرة على راس البحر , الى جهة الصين , واهلها اشبه باهل الصين , وجزيرتهم تتصل بارض الصين , وهم يراسلون ملك الصين ويهادنونه , وبهذه الجزيرة تجتمع مراكب الصينيين الخارجة من جزائر الصين , واليها تبلغ , ومنها تخرج الى سائر النواحي [11] .

وملوك الطرسول والموسة والمانك يقاتلون الصين , ولا يقاومونهم لأن ملك الصين أكثر جندًا واقوى سلطاناً , وأوائل بلاد هذه الممالك وآخرها متصلة

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص85 .
(2) مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج1 , ص 144 .
(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص86.
(4) المسالك والممالك , مج1 , ص 187.
(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص83.
(6) المسالك والممالك , ج1 , ص 187.
(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص83.
(8) تاريخ اليعقوبي , ج1 , ص 84 .
(9) مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج1 , ص173 .
(10) الرحلة , ص 37.
(11) اليعقوبي , التاريخ , ج1 , ص84 ؛ الادريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص88 ؛ الحميري , الروض المعطار , ص 519 .

ببلاد الصين [1] , مسيرة سنتين , وملوكهم يلبسون الحلي والجواهر الفاخرة والاسورة والقلائد والوشائح [2] .

17:- مملكة أورفشين [3]-

موقعها على ساحل البحر وملكتها كانت في القديم امرأة يقال لها رانية , وهذه الملكة ماكرة , يعجز قتالها ملك دهم مع كثرة جيشه وشدة شوكته , وهي تحارب بنفسها , وكانت عظيمة الجثة لم ير أحد في عظمها [4] .

18: - جزائر بلاد الزابج -

وهي جزيرة في أقصى بلاد الهند وراء بحر هركند في حدود بلاد الصين , وقيل هي بلاد الزنج , وبها سكان شبه الآدميين إلا أن اخلاقهم بالوحش أشبه [5] , والملك الكبير في جزائر الزابج يقال له المهراج , وتفسيره ملك الملوك , ولا يعرف ملكاً أكثر خيراً منه , ولا أقوى عدة وجيشاً , ولا أكبر دخلاً , وله جزائر كثيرة [6] , ويذكر المسعودي [7]ان مملكة الزابج تمتد على جزيرتي سومترا وجاوة وايده في ذلك ياقوت الحموي [8].

19:- مملكة قندهار[9] -

إحدى ممالك بلاد الزابج , وملكهم جبار شديد العقاب , لا يرغب بشرب الخمر في بلاده , شديد العقاب لقواده وجنده في حد شرب الخمر , وعقوبته أن تحمى مئة حلقة من حديد بالنار ثم توضع على يديه , ومن عقوبته قطع اليدين والرجلين والأنف والأذنين والشفتين , وإذا ظفر بأحد الجنود الأعداء يقطع أذنيه وشفتيه ثم يطلق سراحه , واذا أُهدي إليه شيء كافأه بأضعاف ذلك [10] .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص86.

[2] البكري , المسالك والممالك , مج 1 , ص 187.

[3] في الادريسي : نزهة المشتاق , ج1 , ص 199 (اوروسين) ؛ وفي الحميري , الروض المعطار , ص67 , (اورشين) , وهي مدينة صغيرة من مدن الهند على الساحل , وجزيرتها عظيمة المقدار , كثيرة الجبال والاشجار , وفيها فيلة كثيرة وبها تصاد , ويتجهز بأنيابها منها .

[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص86.

[5] ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج , 2 , ص 463 .

[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص87.

[7] مروج الذهب , ج6 , ص 350 .

[8] معجم البلدان , مج4 , ص 462 .

[9] هي من بلاد السند او الهند , مشهورة في الفتوح الاسلامية , فتحت في العصر الاموي على يد عباد بن زياد بعد ان قطع المفازة من ارض سجستان . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 4 , ص 92.

[10] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص87 ,88.

ومن عجيب حكم المهراج في بلاد الهند , إذا تخاصم اثنان يأخذون حديدة قدر رطل [1] , ثم يحمونها بالنار, ثم يأخذون أوراق شجر تشبه أوراق الغار , يوضع على كف المدعي عليه تسع ورقات منها , ثم تؤخذ الحديدة المحماة وتوضع على تلك الاوراق ويمضي بها مئة خطوة ذهاباً وإياباً سبع مرات , فإذا احترقت الأوراق وكفيه لزمه الذنب , فإذا استوجب القتل قتل , واذا أوجب الغرم غرّم إذا كان موسراً وإن كان فقيراً يصير عبدًا للسلطان يبيعه كيفما شاء [2] .

ومن خلال ما تقدم نلاحظ أن المهراج يقوم بدور القاضي في بعض الأحيان إذا طلب المتخاصمون ذلك , ولكن يبدو أن هذا التخاصم أمام السلطان قليل الحدوث بسبب شدة الشروط المتبعة وقسوة نتائجها , وقد ينحصر في الخلافات الصعبة التي تتطلب تدخل المهراج نفسه , وخاصة قضايا الدين والزنا بالمحصنة والسرقة [3] ويدل ذلك على أن الغرامة المالية كانت تدفع في حالة ارتكاب الذنوب في بلاد الهند .

ومن مدن الراي الكبير في بلاد الهند , جهالندر[4] وسلامور وبراهون [5] , وهذا الراي الكبير عندهم مثل الخليفة او السلطان الاعظم لدى المسلمين , إذا ركب ركب معه مئة من العظماء , كل واحد منهم صاحب عشرة آلاف فارس , و يعتقد الراي الكبير أن الأرض كلها مملكة له ولا يجسر أحد أن يقول بين يديه إن هناك ملكاً مطاعاً غيره [6] .

رابعاً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن طبقات المجتمع .

لم نجد في أخبار المروزيّ عن بلاد الصين والترك وممالكها , أية إشارات منبهة إلى طبقات المجتمع المجتمع الصيني والتركي , وتحدد كلامه عن طبقات المجتمع في بلاد الهند , ويسوق المروزيّ اطراف الحديث عن مهارتهم في حفظ الأنساب ويتحققون منها , وهم لا يزوجون ولا يتزوجون ممن خالفهم في

---

[1] الرطل : هو اكثر وحدات الوزن استعمالاً في الشرق العربي , ويسمى عند اليونان لترون , وعند الاوروبيين في العصور الوسطى روتولو , هنتس , الميكائيل والاوزان , ص 30 .

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 87 .

[3] البكري , المسالك والممالك , مج1 , ص 190 .

[4] مدينة ساحلية من مدن الهند , البيروني , ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي , (ت 440هـ/ 1047م) , الجماهير في معرفة الجواهر , عالم الكتب , لبنان , بيروت , 1984م , ج1 ص 35.

[5] لم اجد ترجمة لمدينتي سلامور وبراهون .

[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص88 , 89.

الأنساب [1] , وطبقاتهم الاجتماعية التي يتكون منها شعب بلاد الهند سبع طبقات , أوردها المروزيّ في باب الهند وهي :

1- **الشاكبيرية :** وهم عند ابن خرداذبة[2] (الشاكثرية) , وعند الادريسي [3] (الساكهرية) , أشرف أهل الهند جنساً , يسجد لهم الاجناس كافّة , وهم لا يسجدون لأحد وفيهم الملك [4].

2- **البراهمة :** وهؤلاء من الشاكبيرية وفيهم الرياسة دون الملك , يسجدون للشمنية [5] , والشمنية لا يسجدون لهم , و من جنسهم من لا يشرب الخمر و الأنبذة [6] , و يذكر الحميري أنّ البراهمة هم عباد الهند يلبسون جلود النمر يعبدون الأصنام توسلاً إلى الله تعالى [7] , وينسب الولد لأمه أذا كانت برهمية [8].

3- **الكشتارية :** وهؤلاءعند البيروني [9] (كشتر) , وعند ابن خرداذبة والادريسي [10] (الكسترية) وهم لا يشربون فوق ثلاثة اقداح من الشراب , ولا تزوجهم البراهمة ويتزوجون منهم [11] .

4- **الشودرية :** أصحاب الفلاحة والزراعة , تتزوج منهم الكشتارية ويزوجونهم , والبراهمة يتزوجون منهم ولا يزوجونهم [1] , وهذا التصنيف مخالف الى ما

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص54.
(2) المسالك والممالك , ص71 .
(3) نزهة المشتاق , ج1 , ص 96 .
(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 58 .
(5) الشمنية : من الفرق الدينية الهندية القديمة , وهي اقدم زماناً من البراهمة في بلاد الهند , ويحملون البغضاء للبراهمة , كانت هذه الفرقة منتشرة في ارض خراسان وفارس والعراق , من الموصل الى حدود بلاد الشام قديماً , وعند ظهور زرادشت من بلاد اذبيجان ودعوته للمجوسية , ورواج دعوته في بلاد المشرق , رحلت الشنمية الى نواحي مدينة بلخ , وتقلصت اكثر عند دخول محمد بن القاسم ارض السند , ابن النديم , الفهرست , ص 484 ؛ البيروني , تحقيق ما للهند , ص 15 , 16 .
(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص58.
(7) الحميري , الروض المعطار, ص597.
(8) البيروني , تحقيق ما للهند من مقولة , ص471 .
(9) تحقيق ما للهند , ص71 .
(10) المسالك والممالك , ص71 ؛ نزهة المشتاق , ج1 , ص 96 .
(11) المروزيّ, طبائع الحيوان , ص 58.

قدمه البيروني , فعنده الشودرية هم ابناء زنا ويمتهنون أرذل المهن , ومساكنهم خارج المدن , وجاء في المعتقد البراهمي انهم من سفاح بين أب (شودر) وأم برهمن وهم منفيون منحطون , والشودر للبرهمي عبداً في خدمته , ولا يحق له التسابيح وقراءة بيذ وقرابين النار فهي محظور عليه , واذا خالف ذلك قطع الوالي لسانه , وأما ذكر الله وعمل الخير والصدقة فهي غير ممنوع عليه , وأذا عمل في أعمال غير طبقته كالتجارة فهو آثم [2] , واذا ولدت المرأة الشودرية طفلاً من رجلاً خارج الطبقة الشودرية نسب اليهم [3] , وهذه الطبقة مباح لها شرب الخمر[4] .

5- **البيشية :** وتسميتهم عند الادريسي [5] (الفسية) , أصحاب الصناعات والمهن لا يزوجهم أحد ممن ذكرنا ولا يتزوج منهم [6] , وهم طبقة دون طبقة الكشتارية , وفي المعتقد البراهمي , انهم خلقوا من قدمي براهم , وهم العمال وأصحاب المهن والزراعة , والبيشية لهم الزراعة والعمارة والرعي , وازاحة علل البراهمة [7] .

6- **السندالية :** وهؤلاء أصحاب اللحون واللهو في نسائهم جمال[8] , وربما افتتن بهن البراهمة حتى يتركوا دينهم من اجلهن , ولا يمسهم أحد من تلك الاجناس [9] .

7- **الدنية :** وهؤلاء قوم سمر أصحاب لعب ومعازف [10], ويشبهون السندلية عند الناس , لكن السندالية لا يختلطون بهم ولا يزوجوهم ولا يتزوجون منهم [11] .

خامساً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن الجانب الاجتماعي .

---

(1) ابن خرداذبة , المسالك والممالك , ص 71 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص58 ؛ الادريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص 96.

(2) البيروني , تحقيق ما للهند , ص 457 .

(3) البيروني , تحقيق ما للهند , ص 471 .

(4) البيروني , تحقيق ما للهند , ص 468 .

(5) نزهة المشتاق , ج1 , ص 96 .

(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص58.

(7) ابن خرداذبة , المسالك والممالك , ص 71 ؛ البيروني , تحقيق ما للهند , ص 77 , 457 .

(8) ابن خرداذبة , المسالك والممالك , ص71 ؛ الادريسي , نزهة المشتاق , ج1 , 96 .

(9) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص58 .

(10) ابن خرداذبة , المسالك والممالك , ص71 ؛ الادريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص 96.

(11) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص58.

تضمنت الأبواب الثلاثة صوراً ومشاهدات عن الحياة والمظاهر الاجتماعية في بلاد الصين والترك والهند , وكان لها صدى في تاريخ المروزيّ , كشف فيها عن كثير من الصور والرسم والتوضيح عن العادات والتقاليد الحسنة والسيئة ومعيشة الناس , ومناسباتهم وتضامنهم الاجتماعي , والفئات الاجتماعية الموجودة في كل بلد , والغرائب والعجائب الاجتماعية والتنجيم والسحر والطرائف , ومساكنهم وحرفهم وملابسهم .

لكن هذه المعلومات لم تكن كافية لتكوين صورة متكاملة نوعاً ما عن طبيعية الحياة الاجتماعية في هذه البلاد , وتتيح للباحث التعرض لأدق التفاصيل في مجتمعات عظيمة مترامية الأطراف خلال المدة التي أرّخ لها المروزيّ , وربما يعود ذلك إلى تفضيل شرف الزمان طاهر المروزيّ للجوانب الأخرى على الجانب الاجتماعي , كما أن التطور في أحوال المجتمعات ونظمه في ديار الإسلام في العصور الوسطى كان بطيئاً [1] , ويبدو أنّ ذلك انعكس على الدول المجاورة لديار الإسلام , حيث كان الإسلام مؤثراً فيها ومنتشراً .

وصف لنا المروزيّ الثياب الفاخرة عند أهل الصين وارتدائهم لها , واعتبارها مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية عندهم , وتميزها بأنها من الديباج والحرير وأن عامتهم يوسعون اكمامهم , ويطولون ذيولهم حتى تنجر في الارض [2] .

وقد رسم لنا بعض الملامح الاساسية لألبسة فئة من الناس , وجودة ثيابهم وتدل على الترف والبذخ في بلاد الصين نحو قوله [3] :- " وقد كتب في الأخبار ان رسولا من بعض ملوك الاسلام توجه الى ملك الصين فحكى 000 اذا وقع بصري على خال اسود على صدره يلوح من تحت القميص كأنه بارز فتدخلتني حيرة لحسن بياض بشرته وسواد شامته ودقة قميصه فقال مالك قد تغير حالك فقلت كثر تعجبي من دقة قميصك وحسنه فقال أو قدرت أن علي قميصاً واحداً ثم قام ونزع قميصاً ثم قميصا آخر حتى نزع خمسة من القمصان فكان الخال يلوح من تحت خمسة اثواب وهذا نوع واحد من الثياب " .

وتلمسنا ايضاً من خلال موارد المروزيّ بعض أنواع الملابس التي كانت سائدة في الفترة التي اعتنى المروزيّ بتدوينها من خلال اشاراته الطفيفة الى ذلك

---

[1] سيدة , اسماعيل الكاشف , مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه , د.ط , مطبعة السعادة , مصر , القاهرة , 1960م , ص 53 .

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 45.

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 35 , 36 .

منها أن أهل الصين يرتدون الاقبية [1] والقلانس[2] , أما أهل الترك فيرتدون الجباب والعمائم [3] , وأشار القزويني[4] ان القبائل الخرلخية ملابسهم من الصوف , أما الكرديزي فقد ذكر أن ثياب أهل الصين مثل أثواب العرب[5].

وحول ملابس أهل الصين يقول سليمان التاجر [6] :- " ... ولباس أهل الصين الصغار والكبار الحرير في الشتاء والصيف , فأما الملوك فالجيد من الحرير , ومن دونهم فعلى قدرهم , وإذا كان الشتاء لبس الرجل السروالين والثلاثة والاربعة والخمسة , وأكثر من ذلك على قدر ما يمكنهم ... وأما في الصيف فيلبسون القميص الواحد ونحو ذلك ولا يلبسون العمائم " .

ويشير المروزيّ الى العادات الطيبة والنظافة عند أهل الصين بقوله [7] :- ". . . ودورهم واسعة مزوقة الملابس بالتماثيل " , ويضيف [8] :- " وهم يتباهون بنظافة الثياب ونبل الدور وكثرة الأواني ودورهم واسعة مزوقة المجالس بالتماثيل والنقوش وسككهم مغطاة بكنائس من خشب الشرس[9] وكذلك اكثر اسواقهم وتكسر في اليوم دفعات وترش ويجعلون عتبات دورهم لتمنع القمامة من دورهم " .

وأهل الصين أفخاذ وقبائل كقبائل العرب , يرفع الرجل منهم نسبه الى خمسين أباً , ولا يتزوج منهم فخذ إلا في فخذ آخر , ويزعمون أن في ذلك صحة النسل وقوام البنية [10] .

واكد التاجر سليمان[11] ما نقله المروزيّ قائلاً :- " ... وأما المناكح ببلاد الصين وهم شعوب وقبائل ... ولا يزوج احد منهم قريباً ولا ذا نسب , ويتجاوزون في ذلك حتى لا تتزوج قبيلة في مثلها ... ويدعون أن ذلك أنجب للولد " .

---

(1) الأقبية : القباء : فارسية الاصل معربة , وهي نوع من الثياب , التونجي , المعجم الذهبي , ص 441 .

(2) الالقلنسوة : لباس الراس , أبن منظور , لسان العرب , ج6 , ص 179 .

(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص35 .

(4) المسالك والممالك , ج2 , ص 25 .

(5) الغرديزيّ , زين الاخبار , ص 386

(6) السيرافي , الرحلة , ص39 .

(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص47.

(8) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص47 .

(9) الشرس : نبات جبلي له شوك اصفر , وقيل هو ما صغر من شجر الشوك , ابن منظور , لسان العرب , ج6 , ص111 .

(10) البكري , المسالك والممالك , مج 1 , ص 195 .

(11) السيرافي , الرحلة , ص93 .

ووضح المسعودي [1] ذلك بشكل أوسع قائلاً :- " وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وأفخاذها وتشعبها في انسابها , ولهم مراعاة لذلك وحفظ له , وينتسب الرجل منهم الى خمسين اباً ... وأكثر من ذلك وأقل , ولا يتزوج أهل كل فخذ من فخذه , مثل ان يكون الرجل من مضر ويتزوج في ربيعة , ومن ربيعة ويتزوج في مضر, ومن كهلان فيتزوج من حمير , ومن حمير فيتزوج في كهلان , ويزعمون أن في ذلك صحة النسل وقوام البنية , وأن ذلك أصح للبقاء وأتم للعمر " .

ويتميز أهل الصين من بقية البلاد بتوثيق مولد الطفل من ليل أو نهار, ويسلم ذلك الى أحد والديه مكتوباً , وتعد إحصائيات رسمية بهذا المجال ترفع الى الملك , وبذلك يعرف الملك عدد الرجال في بلاده , ومن يموت منهم لا يدفن إلا يوم ولادته , ويؤمّن في صندوق من خشب , فتطرح عليه الأدوية لتحفظ جثته من التحلل إن كان غنياً , وعكس ذلك يطرح عليه الصدف المحروق بعد أن يُطحن ويُرش عليه , وهذا الصندوق يبقى في أرضهم بداخله جثة الميت الف سنة لا تكاد أن تُعَفَّن [2] .

ومن المظاهر التي أشار إليها المروزيّ في بلاد الصين , مظاهر الحزن والأسى عند تشييع الجنائز , من حيث قيام المرأة بالحداد على زوجها وأبنها وأخيها ثلاث سنين , وإنْ ماتت المرأة يحد زوجها عليها ثلاث سنين أيضاً .

ومراسيمهم أن يبكي الرجل والمرأة على موتاهم في أول النهار ووسط النهار وآخره مادام الميت عندهم , واذا لم يبكِ أحد من الحاضرين أو من أقاربه أُدِّب وضُرب , ويقولون له أنت قتلته حيث لم يحزنك موته ويحمل إلى قبره , وإذا كان ذا جدة[3] وضع الطعام على الطريق من منزله حتى موضع القبر , ويغطى الطعام بالديباج والحرير , وبعد وضعه بالقبر تنهب الأطعمة , وربما حمل معه فاخر دوابه وثيابه تمزق على قبره [4] .

ولكن اليعقوبي[5] لم يحدد مدة الحزن كما المروزيّ , ولكنه أشار الى طولها قائلاً " وهم يعظمون أمواتهم ويطول حزنهم عليهم " .

---

[1] مروج الذهب , ج1 , ص 155 , 156 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص44.
[3] ذا جدة : ذا غنى وحظ , أبن منظور , لسان العرب , ج3 , ص 107 .
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص44.
[5] التاريخ , ج1 , ص 183 .

كما اشار المروزيّ الى الاهتمام بمسألة المواريث في بلاد الصين , ومن مات عندهم من المسلمين ولا يكون معه وارث , يوثق اسمه وتاريخ موته , وينتظر ثلاث سنوات وثلاثة اشهر وثلاثة أيام , فإذا جاء وريثه سلّم إليه [1] , وربما هذا يخص التجار العرب المسلمين وغير المسلمين الوافدين منهم إلى بلاد الصين للتجارة .

وفي بلاد الصين , أعمار الناس معروفة كما بيّنا سابقاً , لأن ولادتهم موثقة في يوم مولدهم , والدولة تكفل حق اليتيم وترعاه وتعلمه , وإذا كبر فرضت الجزية عليه , وهناك الرعاية الاجتماعية للمسنين فتجرى عليهم معاشات من بيت المال لمن بلغ السبعين أو الثمانين من العمر , ويقولون أخذنا منه شاباً – يعني الجزية - ونعطيه كهلاً [2] وهؤلاء لا يحاسبون لذنب ويعفون من العقوبة [3] , ودائماً أهل الصين يكونون أميل للنساء في الخصومة , وتعفى النساء والرهبان من دفع الجزية [4], ونساء الصين مكشوفات الشعور [5] .

وحول كشف النساء بلاد الصين لشعورهن , يضيف التاجر سليمان[6] قائلاً " يكشفن رؤوسهن , ويجعلنا فيها الأمشاط , فربما كان في راس المرأة عشرون مشطاً من العاج وغير ذلك " .

وذكر المروزيّ أن الزنا محرم في بلاد الصين , خلافاً لمعظم ممالك بلاد الهند , و يقتل الزاني المحصن رجلاً أو امرأة ولا يدرأ [7]عنه الحد أبداً في مدينة سانجو الصينية [8] .

وتخالف المصادر العربية الاسلامية ما ورد عن المروزيّ ان الزنا محرم في بلاد الصين , فيقول القزويني[9] :- " والزنا عندهم مباح " , وأيده الحميري[10]في ذلك قائلاً :- " ويبيحون الزنا ولا ينكرون شيئاً منه " .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 44 .
[2] السيرافي , الرحلة , ص 51 , 52 .
[3] للمزيد ينظر , المقدسي , البدء والتاريخ , ج1 , ص 194 .
[4] البكري , المسالك والممالك , مج 1 , ص 195 .
[5] السيرافي , الرحلة , ص51 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص11, 12 .
[6] السيرافي , الرحلة , ص40 , 52 .
[7] درء : أي يدفع , أبن منظور , لسان العرب , ج1 , ص 71 .
[8] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 45 .
[9] آثار البلاد , ص46 .
[10] الروض المعطار , ص370 .

وأضاف المسعودي[1] عن ضوابط عمل الزواني في بلاد الصين , قائلاً :- " وفيهم نساء لا يردن الاحصان ويرغبن في الزنا , وسبيل هذه ان تحضر مجلس صاحب الشرط , فتذكر زهدها في الاحصان ورغبتها في الدخول في جملة الزواني , وتسأل حملها على الرسم في مثلها , ومن رسمهم عادات , فيم اراد ذلك من النساء , أن تكتب نسبها وحليتها وموقع منزلها , وتثبت في ديوان الزواني , وتجعل في عنقها خيط فيه خاتم من نحاس مطبوع بخاتم الملك , ويدفع اليه منشور , يذكر فيه دخولها في جملة الزواني , وأن عليها لبيت المال في كل سنة كذا وكذا فلساً وأن من تزوجها فعليه القتل , فتؤدي في كل سنة ما عليها , ويزول الأنكار عليها " .

ووصف التاجر سليمان[2] طريقة عمل الزواني في بلاد الصين قائلاً :- " ومن هذه الطبقة من النساء يرحن – يخرجن – بالعشيات عليهن ألوان الثياب من غير أستتار , فيسرن ألى من طرق تلك البلاد من الغرباء من أهل الفسق والفساد فيقمن عندهم وينصرف بالغدوات " .

ومن سنن أهل بلاد الصين , إذا سافر أحدهم فإنهم يكتبون اسمه ويوثقون أمواله ورقيقه , ويبلغ الخصي بذلك وهو أمين الملك من قبل المسلحة في الحدود , وعن تاريخ خروجه بالساعة واليوم والشهر, ويفعلون ذلك صيانة لأموال الناس , ويحاسب من خرج منهم بغير إذن الملك , والجارية لا يسمح لها بالسفر مع مالكها , وإنما يسمح لأولادها بالسفر[3] .

ومن العادات والتقاليد الأخرى السائدة في الأوساط الرسمية الصينية الإيمان بالمنجمين , فالمُنجِّم أحد أهم موظفي بلاط الملك , فإذا أراد الملك دخول بيت النساء والخلوة بهن , صعد المنجم إلى سطح ذلك البيت الذي هو فيه ويرصد الكواكب , ويختار له وقتاً لمباشرة بعض نسائه [4] , ويبدو أن هذا الإجراء كان يتخذ تيمناً بحسن الطالع بمولود يخلف الملك , وهي تقاليد وثنية تؤمن بالتنجيم .

ولأهل الصين والترك والتبت والختن [5] تقويماً عن الزمان يدور على اثنتي عشرة سنة ويعود عند منتهاه الى أوله , وتلك السنين مسماة بحيوانات معينة تختلف اسماؤها حسب لغاتهم , فالسنة الأولى يقال لها سنة الفار , والثانية سنة الثور ,

---

(1) ابو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ/ 957م) , أخبار الزمان , د.ط , دار الأندلس , لبنان , بيروت , (1966م / 1385هـ) , ص95 .

(2) السيرافي , الرحلة , ص66 .

(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 47 .

(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 47.

(5) بلد وولاية دون كاشغر ووراء يوزكند وهي معدودة من بلاد تركستان , وهي في واد بين جبال الترك . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 2 , ص 215.

والسنة الثالثة سنة النمر , والسنة الرابعة سنة الأرنب , والسنة الخامسة سنة لبنات الماء , والسنة السادسة سنة الحية , والسنة السابعة سنة الفرس , والسنة الثامنة سنة الشاة , والسنة التاسعة سنة القرد , والسنة العاشرة سنة الدجاجة , والسنة الحادية عشرة سنة الكلب , والسنة الثانية عشرة سنة الخنزير , ثم يعود إلى سنة الفار [1] .

وفي بلاد الترك , وعلى الرغم مما يتصفون به من قسوة القلب والوحشية في القتل والسلب , وحبهم مقارعة الحروب , كما يصفهم المروزيّ [2] , لكن بطبيعة الحال كانوا يتصفون بصفات محمودة , منها اكرام الضيف , والمبالغة في ضيافته , فإذا أكرم الرجل التركي رجلاً , فأنه يسجد له احترماً وتقديراً [3], والتركي لا يظلم عنده أحداً , ويلومون الظالم وينصرون المظلوم [4] .

ورغم طباع الترك التي تتصف بالبداوة إلا وسكن الخيام [5] أنهم يكرهون أعمال الخيانة والزنا واللواط فمن ثبت عليه الخيانة والزنا اقاموا عليه الحد , الذي يقيموه على من مارس اللواط [6] , كما انهم يرفضون كل اشكال السرقة , فمن ثبت عليه السرقة قطعت يده التي سرق بها [7] .

إلا أن مجتمع قبائل الترك لا يخلوا من بعض قطاع الطرق وسلب القوافل [8] , وهم لا يستنجون من غائط ولا بول , ولا يغتسلون من الجنابة , ومن أراد ان يغتسل منها بالماء ارجموه وقالوا : يريد أن يسحرنا لأنه قد تفرس بالماء ويغرمونه مالاً [9] .

وهنا لا بد القول أن قبائل الترك متعددة , ولكل قبيلة صفات تميزت بها نتيجة تأثرها بما جاورها من قبائل أو ممالك , وكذلك الظروف البيئية الجغرافية وتأثيرها , فليس كل قبائل الترك لا تستنجي من الغائط , وليس كل الترك قبائل الترك لا تغتسل , فقد يكون السبب قلة الماء أو قداسته , فالماء يعد لدى بعض قبائل الترك

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 41.
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 18 , 21 , 22 , 23 ؛ الشمري , صادق مكي عليوي , قبائل الترك في كتاب طبائع الحيوان للمروزيّ وفي رحلة أبن فضلان , دراسة مقارنة , رسالة ماجستير , مقدمة الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية , جامعة كربلاء , 2015م .
(3) أبن فضلان , رسالة أبن فضلان , ص 98 .
(4) الكرديزي , زين الاخبار , ص 694 .
(5) الجاحظ , رسائل الجاحظ , ص 55.
(6) أبن فضلان , رسالة ابن فضلان , ص 93 , 96 .
(7) الكرديزي , زين الاخبار , ص694 .
(8) ابن فضلان , رسالة أبن فضلان , ص 94 .
(9) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 41.

رب من الارباب , ولا يجوز ان يتعاملوا به مع الغائط والبول والجنابة وغيرها [1] .

والمرأة في مجتمع قبائل الترك , لها مكانتها , فهي تشارك الرجل في أمور الحياة , وحراثة الارض وترعى الابل وتحمل السلاح وتقاتل مع الرجال [2] .

وتميزت قبائل الخرخيز أنها كانت تتصف بحرق موتاها ولا تدفنهم مثل أهل الصين , ويقولون إن النار تطهرهم , فلمّا جاوروا المسلمين صاروا يدفنون موتاهم [3] .

وفي قبائل خرخيز رجل من عامتهم يلقب بفغينون , يستحضر كل سنة في يوم معلوم , ويجمع عليه المغنون وأصحاب المزامير , ويأخذون بالشرب والقصف [4] فإذا طاب مجلسهم غشي على هذا الرجل وسقط مصروعاً , ثم يسال عن ما يحدث في تلك السنة من أمطار وقحط وجذب وخصب وغير ذلك . [5] .

وفي قبائل الخزر , ان الجارية إذا أدركت , تركت طاعة أبيها واختارت من أرادت من الرجال , الى أن يجيء أحدهم إلى أبيها خاطباً فيزوجها إن أراد , وهؤلاء بعضهم يدفنون الموتى والبعض الآخر يحرقونهم [6] , وكذلك الصقالبة يحرقون الموتى [7] .

وعرفت بلاد الهند في أحد المصادر العربية الإسلامية بأنها بلاد الرقص والغناء ووسائل الترفيه , وفيها كل ما يتعلق بالغناء والرقص , و آلات عزف الألحان للأفراح والأحزان و يستخدمون النساء في الغناء والرقص [8] , ويكثر فيها علوم اللحون واللهو واتخاذ أنواع المزاهر , وعلوم الرقص عندهم لا يوازيهم فيه شعوب أخرى [9], ويحترمون ضروب الطبول والنايات والبوقات الموضوعة على

---

(1) الشمري , قبائل الترك , ص 55

(2) الإدريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص 520 .

(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 51 .

(4) القصف : الزحمة والتدافع, ابن منظور , لسان العرب , ج9, ص 283 .

(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 51 .

(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص53.

(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 54 .

(8) المسعوديّ , مروج الذهب , ج1 , ص84.

(9) المقدسي البدء والتاريخ , ج1 , ص 191 .

نحو صوت الفيل أو الأسد والببر[1] , وغيرها من الأصوات التي تفزع الرجال في الحروب [2] .

ويرتدي أهل بلاد الهند السراويل , ومنها السراويل المحشاة بالقطن , وتكون محكمة الاغلاق , لا يبرز منها إلا القدمان , وعلى صدورهم سروال آخر , ويرتدون الخفاف , في أقدامهم وعلى رؤوسهم العمائم [3] .

وتشبه سكان مملكتي الموجه والطافن بثياب أهل بلاد الصين وكانت بيضاء اللون , وبذلك يظهر تأثرهم بالبلاد المجاورة في ذلك العصر [4].

وأما آدابهم وعلومهم فإن المروزيّ يصف ذلك بقوله [5] : - " فمنها الرقى[6] يزعمون انهم يدركون بها ما أرادوا ويشفون بها السم ويخرجونه ممن سقي ويلقونه على غيره[7] ومنها الوهم والفكر[8], يزعمون إنهم يدركون بها العجائب ويفعلون بها في الغالب ويحلون ويعقدون ويضرون وينفعون ومنها عمل النيرنجات[9] وأخذ العيون واظهار التخايل التي يتحير فيها الأريب وتبهر عقل اللبيب ومنهم السيمابندات[10] وهي الطلسمات العجيبة التي يفعلونها ويبدعونها ومنها ادعاؤهم حبس المطر والبرد واقراره من هناك به لهم حتى يعطى صاحب ذلك العلم في كل سنة شيئاً معلوماً " [11] .

---

[1] فارسي معرب , وهو النمر الهندي , واحياناً يسمى بالأسد الهندي , واقرب منه الى الاسد من النمر , وقد وردت اللفظة في المؤلفات العربية , وفي الشعر العربي , الدميري , حياة الحيوان الكبرى , ج1 , ص 164 .

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 58 .

[3] الأصطخري , المسالك والممالك , ص105 ؛ ابن حوقل , صورة الارض ص277؛ السيرافي , الرحلة , ص 28 ؛ البيروني , تحقيق ما للهند , ص 144 ؛ الادريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص 80 .

[4] المسعودي , مروج الذهب , ج1 , ص 172.

[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 58 .

[6] الرقية : العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغيرذلك من الافات , ابن منظور , لسان العرب , ج14 , ص 331 .

[7] البيروني , تحقيق ما للهند , ص 145.

[8] وعند المقدسي , البدء والتاريخ , ج1 , ص 191 (ويدعون صفاء الفكر ونفاذ الوهم) .

[9] النيرنجات: فارسي معرب , من اصل (نيرنكك) , وتعني : مكر وخديعة , وهو نوع من السحر , التونجي , المعجم الذهبي , ص 581 .

[10] السيما : العلامة التي يعرف فيها الخير والشهر , أبن منظور , لسان العرب , ج12 , ص 314 .

[11] يؤيده في هذا القول , المقدسي , البدء والتاريخ , ج1 , ص 191 .

وأنتشر السحرة في بلاد الهند , ويعتقد أهل الهند أن السحر يجلب لهم الخير ويمنع عنهم الشر [1] , وذكر السيرافي [2] أن سحرة الهند كانوا من المبدعين حتى ذاع صيتهم بين البلاد .

ودعوى أهل الهند بالطب عجيبة في حفظ الصحة ومنع الشيب وزيادة في القوة والذهن وإبراء الأمراض المزمنة الممتنعة [3] , وقال الاصفهاني [4] :- " ان الهند لهم معرفة الحساب والخط الهندي واسرار الطب وعلاج فاحش الادواء والرقي وعلم الاوهام " , و قال الجاحظ [5] :- " أشتهر الهند . . . بأسرار الطب " , وكذلك لهم اطلاع في علم الحساب والهندسة والنجوم [6] .

والزنا في بلاد الهند مباح إلّا في ملك قمار فإنه يحرم الزنا وشرب الخمر ويعاقب عليهما , ويتميز ملك سرنديب من باقي ملوك الهند بأنه يشرب الخمر [7] .

وذكر ان أهل بلاد الهند كانوا يقامرون في لعبتي النرد والشطرنج , وأكثر سكان جزيرة سرنديب من المقامرين في لعبة النرد [8] , وصل الأمر الى المقامرة على الثياب والجواهر , وعلى اصابع الرجل فتقطع [9] , ولا يحس المقامر بألم النار حتى وأن أحترق لأن تفكيره منصب حول اللعبة فلا يحس بالنار[10] , وقامر ملوك الهند عند التنازع على ملكية الكور والمدن والممالك بدون قتال[11] .

---

(1) البيروني , تحقيق ما للهند من مقولة , ص148 .
(2) الرحلة , ص 83 .
(3) المقدسي , البدء والتاريخ , ج 1 , ص 191 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 76 .
(4) ابو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ / 966م) , الاغاني , تح , عبد السلام هارون , مكتبة التراث , مصر , القاهرة , 1950م ج1 , ص 93 .
(5) عمرو بن بحر البصري (ت255هـ / 868م) , رسائل الجاحظ , تح , عبد السلام هارون , مطبعة السنة المحمدية , مصر , القاهرة , 1964م , ص 83 .
(6) المقدسي , البدء والتاريخ , ج1 , ص 191 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 76 .
(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 76 .
(8) المسعودي , أخبار , ج1 , ص 63 .
(9) السيرافي , الرحلة , ص 82 ؛ الادريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص 75 .
(10) السيرافي , الرحلة , ص 82 .
(11) التنوخي , ابو علي المحسن بن علي (ت 384هـ/ 994م) , الفرج بعد الشدة , د.ط , تح , عبود الشالجي , دار صادر , لبنان , بيروت , 1978م .ج3 , ص 47 .

وفي بلاد الزابج جزائر كثيرة منها جزيرة اسمها برطايل [1], وأهل البحر يقولون إن الدجال يسكن هذه الجزيرة , وسكانها حسان الوجوه كالمجان المطرقة [2] يفتلون شعورهم كأذناب دواب البريد ويتحلقون حول النار في الليل ويعزفون [3] .

وأشار سليمان التاجر لمشابهة سلوك أهل بلاد الهند الى سلوك المسلمين , فيما يخص حرصهم على النظافة قبل الاكل , إذ ذكر ان الهنود لا يأكلون حتى يستاكون , وينظفون افواههم , ويغتسلون كل يوم قبل الغداء , وأضاف ان أكثر طعامهم قائم على الارز والنارجيل (جوز الهند) [4] .

سادساً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن الجانب الديني .

من أبرز الجوانب الحضارية التي تناولها المروزيّ في الأبواب الثلاثة – الصين والترك والهند - إشارات ذات قيمة عظيمة عن القيم الدينية والمبادئ العقائدية في هذه البلاد , فقد شكلت الديانات محوراً مهماً من محاور اهتمام المروزيً في تنظيم كتابة الأبواب الثلاثة , فوصف لنا الملل والأهواء والنحل بعيداً عن التأثر بانتمائه الديني للإسلام , وكان محايداً وموضوعياً ونزيهاً مسجلاً للحقائق والأفكار بتجرد وحياد في إيراد المعلومات عن فرقهم ومذاهبهم و عباداتهم من بيوت نار وأصنام وكنائس وغيرها مما تعظمه وتعبده الأمم والشعوب الغير مسلمة , وسلوك المروزيّ لهذا النهج في استقاء المعلومات يعتبر غاية في الحياد والنزاهة , لأنه يسجل معلومات من مصادر صحية في نظر اصحابها على الأقل , وقد استفاض بالحديث عنها بشكل موسع في بلاد الهند , وأقل من ذلك في باب الصين والترك .

ذكر المروزيّ أنّ مذهب ماني[5] كان منتشراً في مملكة الصين , ولم ينتشر مذهب ماني في مملكة قتاي ومملكة يغر الصينيتين , نحو قوله [1] :- " وذلك سنة

---

[1] برطايل : او برطائيل : جزيرة في بحر الصين من جزائر مملكة المهراج , زعم ان بها الدجال , الحميري , الروض المعطار , ص 90 .

[2] المجان المطرقة : المجن : مجن الشيء يمجن مجوناً اذا صلب وغلظ او الدروع والمطرقة : الطرق والثني , اي انهم عراض الوجوه غلاظها , أبن منظور , لسان العرب , ج10 ص 215 , ج13 , ص 400 .

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 87 .

[4] السيرافي , الرحلة , ص 56 .

[5] ماني بن فاتك , الذي ظهر في زمن سابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز, أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية , وزعم أن العالم مركب من أصلين قديمين : أحدهما نور , والآخر ظلمة , وأنهما أزليان , وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم . ينظر : الشهرستاني , الملل والنحل , ج1 , ص 244.

سنها لهم ماني المتنبي حين غرس في قلوبهم مذهبه وهو مذهب الثنوية خاف أن يأتيهم من الغرباء أحد فيبيِّن لهم فساد ذلك المذهب ويصدهم عنه " .

وذكر أنّ التماثيل تُعبد في مملكة الصين , لأن ماني أمرهم بذلك , وغرّهم بقول الفلاسفة إن حد الفلسفة هو التقبل بالله بحسب الطاقة الإنسانية [2] .

أما الديانة المسيحية فيذكر عنها الكرديزيّ[3] أن في مدينة ختن الصينية كنيستان للمسيحيين , أحدهما داخل المدينة والأُخرى خارجها , إلا أن ياقوت الحموي[4] يعد مدينة الختن ضمن بلاد تركستان , إذ يقول :- " هي في واد بين جبال في وسط جبال الترك " .

أمّا الديانة الاسلامية فقد انتشرت في مملكة الصين عن طريق الطالبيين العلويين الذين سكنوا في أطراف مملكة الصين [5] .

وتنتشر عبادة الأصنام[6] و الديانات الاخرى في بلاد قتاي ويغر الصينية ماعدا الديانة اليهودية [7] .

ويفهم مما تقدم أن المذهب الرسمي لأهل مملكة الصين هو مذهب الثنوية غرسه فيهم ماني , إضافة للديانة الاسلامية الموجودة في أطراف مملكة الصين , أمّا الأديان الأخرى فمنتشرة في مملكتي قتاي ويغر الصينية عدا الديانة اليهودية .
ومن أحكام بلاد الصين الدينية , صلاة الاستسقاء , فإن ملك الصين في مدينة خمدان يوجه رجال الدين الشمنية الى صلاة الاستقصاء إذا قلت الامطار , ويقيدهم ويحبسهم ويهددهم بالقتل إذا لم تهطل الامطار [8] .

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص35.
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 36 .
(3) زين الاخبار , ص 386 .
(4) معجم البلدان , مج2 , 215.
(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 37 .
(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 45
(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص38.
(8) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 45 .

وفي قبائل الترك انتشر الإسلام بين بعض قبائل الغزية وسموا بالتركمانية [1] , وصار بينهم وبين من لم يسلم منابذة وحروب إلى أن توسع انتشار الإسلام بينهم وحسَن إسلامهم [2] .

ويبدو أن معتقدات الأمم المجاورة للأتراك قد تسربت لمعتقداتهم قبل اعتناقهم الإسلام , فانتشرت النصرانية وعلى المذهب النسطوري بنطاق محدود بين الترك , وهم فرقة تسمى قون [3] , هاجروا من بلاد مملكة قتاي الصينية الى بلاد الترك [4] .

وبالقرب من قبائل الترك الكيماكية ثلاث أمم يعبدون النار والماء , ومن طقوسهم صوم يوم واحد في السنة , وهم يحرقون موتاهم ولكن لا يبكونهم , ويقولون نرضى بقضاء الله تعالى [5] .

أما القبائل التركية الروسية فقد تنصرت سنة (300هـ / 912 م) , فلما دخلوا في النصرانية , وتركوا الكسب والعيش بالسيف وانسد باب رزقهم , رغبوا في دخول الاسلام , حتى يباح لهم الغزو والجهاد , فراسلوا ملوك الاسلام , وأرسل لهم من يعلمهم شرائع الاسلام وأعلنوا إسلامهم [6] , وبعض الأتراك تركوا أراضيهم ونزحوا إلى مملكة قتاي الصينية , يعرفون باسم كبير لهم يدعى باسمل , هربوا إلى هناك من الإسلام خشية الإختتان [7] .

أما قبائل الخزر التركية فلم يشر المروزيّ إلى ديانتهم , إلا أنّ المؤرخين العرب المسلمين ذكروا أنهم في أول أمرهم كانوا وثنيين , واعتنق بعضهم النصرانية , ثم تهوّدت الطبقة الحاكمة وحاشيتها , في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي , في عصر الخليفة هارون العباسي (170- 193هـ / 786-808م) , وذلك عندما طرد إمبراطور بيزنطة اليهود من مملكته , وقصدوا ملك الخزر , فوجدوه ما زال على الوثنية , فدعوه إلى دينهم , فتهوّد ملك الخزر وحاشيته , كما دخل الإسلام إلى قبائل الخزر عن طريق التجار المسلمين الذين

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 50 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 50 .
[3] قون : من قبائل الترك . ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج8 , ص 410 .
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 50 .
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 52 .
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 56 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص39 .

كانوا يترددون على بلاد خوارزم [1] , ولم يكن يهود الخزر متعصبين لدينهم فكان للمسلمين قاض يقال له خزلا ينظر في امورهم [2] , ولهم الحق في عدم الاشتراك في حروبهم مع المسلمين [3] .

وبذلك نجد أنّ الديانات المنتشرة بين قبائل الترك , والتي أوردها المروزيّ في مضمون الأبواب الثلاثة موضوع الدراسة , هي الإسلام والنصرانية واليهودية وعبدة النار والماء .

أمّا الديانات في بلاد الهند فيقول المروزيّ [4] :- " فأما الملل والاهواء التي في هذه الاجناس – طبقات الشعب الهندي - فهم تسع وتسعون فرقة يجمعها اثنان واربعون مذهباً , فمنهم من يثبت الخلاق ويعترف بالأنبياء , ومنهم من يثبت الخالق وينفي الرسل والانبياء , ومنهم من ينفي الخالق والرسل ومنهم من ينفي الكل ويثبت الثواب والعقاب وهم الشمنية " , ويذكر الغرديزي ان بوذا هم الشمنية [5] .

وأضاف المروزيّ [6] :- " ومنهم من قال إن الثواب والعقاب والتناسخ في السعادة والشقاوة والجنة والنار على قدر العمل بلا دوام " .

ويؤيد المروزيّ في إعداد المذاهب في عموم بلاد الهند - كل من المقدسي [7] , والحميري [8] , وشيخ الربوة [9] , إلا أنّ الحميري يضيف أن من الهنود من لا يتعب نفسه بعبادة شيء وينكر الكل [10] .

أهم الملل والأهواء في طبقات الشعب الهندي :-

---

[1] الاصطخري , المسالك والممالك , ص7 ؛ المسعودي , مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج1 , ص 76 ؛ البكري , المسالك والممالك , ج2 , ص 224 ؛ الحميري , الروض المعطار في خبر الاقطار , ص 219 .

[2] ابن فضلان , رسالة ابن فضلان ,ص 172 ؛ الاصطخري , المسالك والممالك , ص 76 ؛ القزويني , اثار البلاد , ص 585 .

[3] البكري , المسالك والممالك , ج2 , ص 199.

[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 77 .

[5] زين الاخبار , ص 418 .

[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 77 .

[7] البدء والتأريخ , ج4 , ص 9 .

[8] الروض المعطار , ص 597.

[9] نخبة الدهر في عجائب البر والبحر , ص 270 .

[10] الروض المعطار , ص 597 .

أ :- من يثبت الخالق ويعترف بالأنبياء –

1 : ملة البراهمة -

زعم البراهمة أن رسول الله إليهم , ملك من الملائكة يقال له باسديوا , أتاهم بصورة بشر وبرسالة من غير كتاب له أربع أيدٍ , في إحدى يديه سيف مسلول , وفي الثانية سكة الفدان , وفي الثالثة سلاح يقال له شكره على هيأة حلقة كبيرة حادة الطرف , وفي اليد الرابعة وهف - حبل - وهو على العنقاء , وله اثنا عشر رأساً , كلٌّ رأس يشبه رأس حيوان , ويقول المروزيّ في ذلك [(1)] :- " لهم تأويل في ذلك يطول تفسيره " .

وقالوا إنه أمرهم أن يضعوا على مثاله صنماً يعبدونه , ويطوفون حوله كل يوم ثلاث مرات بالمعازف ووقود الدخن , وأمرهم أن يعبدوا البقر , ويسجدوا لها حيث وجدوها , وطلب منهم عدم تجاوز نهر كنك [(2)] , ويعدّ خارجاً عن ملتهم لمن جاوزه من البراهمة [(3)] .

يؤيد ابن حزم والذي عاش في عصر المروزيّ ولكن في المغرب والاندلس أن البراهمة في الهند موحدون , لكنه يذكر إنهم أنكروا الرسل , وأضاف أنهم يعلقون إشارات حمراء وصفراء على أجسادهم , حتى يتميزون من باقي الأديان[(4)] , ووافقه الشهرستاني[(5)] في ذلك , وذكر كل من أبن خرداذبة والبيروني [(6)] , انه اجريت تطورات على قوانين الديانة البراهمية الصارمة وعلى مناصبها خلال العصور نتيجة الضغط الشعبي من اتباع هذه الديانة .

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 77 .

(2) نهر ببلاد الهند كبير عذب , يقال تعيش فيه التماسيح كتماسيح نهر النيل , وهو مثله في الكبر , وتجري فيه امطار الصيف , وينتشر على وجه الارض , ثم ينضب فيزرع عليه . ينظر : البكري , المسالك والممالك , مج1 , ص 178 .

(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 77.

(4) آبن حزم , أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الاندلسي (ت456هـ / 1063م) , الفصل في الملل والأهواء والنحل , تح , إبراهيم أبو نصر وعبد الرحمن عميرة , دار الجيل , لبنان , بيروت , 1985م , ج ا , ص 137م .

(5) الملل والنحل , ص 512.

(6) المسالك والممالك , ص 71 ؛ تحقيق ما للهند , ص ص 76 – 80 , 97 – 105 .

وقد اشار المسعودي الى أن البراهمة سلالة عريقة أثارت جدلاً واسعاً بين الهنود , منهم من ينسبهم الى جدهم الأكبر البرهمن الذي يعتبرونه آدم (عليه السلام) , ومنهم من يقول أنه مجرد ملك , وهذا أشهر حسب المسعودي [1] .

بينما ذكر البيروني[2] – الذي تبحر في علومهم أربعين سنة – أن جد سلالة البراهمة هو (براهم) هو نبي أوحى اليه من السماء , ثم عبده الهنود .

وقد هاجم السلطان محمود الغزنوي معبد كشن بن باسديو سنة (409هـ / 1018م) , ووجد قطعة من الياقوت الكحلي تزن اربعمائة وخمسين مثقالاً , وصنماً ذهبياً كسروه ووزنوه فكان وزنه ثمانية وتسعين الفاً وثلاثمئة مثقال من الذهب المصقول [3] .

2: ملة المهادوية –

زعم هؤلاء أن رسول الله اليهم ملك من الملائكة يدعى (مهادويه) , وعند الشهرستاني[4] (بهادويه) وفي المقدسي [5] (بهابود) , أتاهم في صورة البشر راكباً على ثور , وعلى راسه إكليل من عظام الموتى , حاملاً في يده قحف إنسان وباليد الأخرى مزراق[6] بثلاث شعب , ويستظل بظلال من ذنب الطاووس , وأمرهم هذا الرسول أن يتخذوا على مثاله صنماً يعبدونه وهو سبيلهم إلى الخالق , وأن يتخذوا أكاليل من عظام الناس على رؤوسهم , وأن يمسحوا وجوههم وأجسادهم بالرماد وأن يستروا أوساطهم بخرق ذات ألوان غير مركبة وغير مخيطة إلا عند اوساطهم , وحرم عليهم الذبائح والنكاح , ويعتاشون على الصدقة [7] .

3: ملة الكابالية –

وهم عند الشهرستاني والمقدسي[8] (الكابلية) زعموا أن رسولهم ملك من الملائكة , يقال له شب , وعند الكرديزي يدعى رشب [9] , أتاهم في صورة إنسان يتمسح بالرماد , على رأسه قلنسوة من لبود حمراء طولها ثلاثة أشبار , مخيط عليها

---

(1) مروج الذهب , ج1 , ص 86 .
(2) تحقيق ما للهند من مقولة , ص 12.
(3) الكرديزي , زين الاخبار , ص 260.
(4) الملل والنحل , ج3 , ص 718 .
(5) البدء والتاريخ , ج1 , ص 127 .
(6) المزراق : الاسنة , ج10 , ص 128 .
(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 77 , 78.
(8) الملل والنحل , ج3 , ص 720 ؛ البدء والتاريخ , ج 1 , ص 127 .
(9) زين الاخبار , ص 421 .

صفائح من قحف الإنسان , في يده قحف إنسان والأخرى طبل , وهذا يشابه مذهب المهادوية , وقد أمرهم أن يصنعوا ما يشبه ذكر الرجل , طوله ذراعان وقطره ذراع واسمه شبلند , وأمرهم أن يعبدوا هذا الذكر لكونه أصل التناسل في العالم , وهم عراة لا يلبسون إلا قلنسوة على رأسهم , وقد علقوا على مذاكيرهم جرساً عظيماً ثقيلاً , ويذكر الكرديزيّ أنهم يجلسون على كرسي من شدة ثقل الجرس , ويبخرون آلتهم التناسلية [1] , وبعضهم يعلق النحاس والحديد أو الرصاص في ثقوب بأجسادهم كأنه الدرع [2] .

4: ملة الرامانية –

كان رامان[3] ملكاً جباراً , أدعى الرسالة , وأمر قومه بعبادته , وأدعى أن ذلك يؤدي إلى إرضاء الله وترهات كثيرة [4] **.**

5 : ملة الراونية –

ذكر هؤلاء أن راون دلهم على الخالق لقبوله توبته والحربة التي أعطاه فصيروه نبيهم [5] .

ب :- الذين أثبتوا الخالق والثواب والعقاب ولم يثبّتوا الرسالة –

أجمل المروزيّ هؤلاء بقوله [6] :- " فزعموا أن الله قد دعى الخلق الى عبادته ولم يحوجهم الى احد بما جعل في قلوبهم من حب الخير وبغض الشر أن لا يأتوا الى أحد لا يرضونه من غيرهم فذلك شريعة لهم في عقولهم ولا حاجة بالله الى عبادة الناس , وزعموا ان الوصول الى الجنة باستعمال العقول ومخالفة طبيعة الأبدان , ومن هؤلاء من قال أنه لا يجزيه ذلك حتى يعذب جسده ويشغل طبيعته بأنواع العذاب التي لا يكون معه فراغ للطغيان ولا تشوف الى مجون " .

وقال أيضاً [7] :- " ومنهم من يزعم أن إصابة الحق والهجوم على حقيقة الأمر في اتلاف الابدان والنجاة منها اذا كانت الانفس تكتسب كل اثم وهي التي تزين كل قبيحة وتثبط عن كل كريمة " [8].

1 : ملة الرشية –

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 78 .
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 78 .
[3] المقدسي , البدء والتاريخ , ج1 , ص127.
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 78 .
[5] المقدسي , البدء والتاريخ , ج1 , ص 127 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 78 .
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 78 , 79.
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص79.
[8] للمزيد عن هؤلاء ينظر الشهرستاني , الملل والنحل ج 3 , ص 708 , 709 .

وعند ابن النديم (الانشنية) [1] , (والناشدية) عند المقدسي [2] سَكَنَ هؤلاء الجبال و يفترشون الحشيش والنبات , وأكلوا الأثمار والحشائش , دائماً مغمضة أعينهم , معطلين الحواس زاعمين أن الملائكة قد تجلّت لهم وعلمتهم ما وضعوا في الكتب والآداب والرُّقى [3] .

2: ملة النكربنتية –

ويعني المصفدون بالحديد , يحلقون لحاهم ورؤوسهم , ويرتدون الحديد حتى لا تنشف بطونهم من كثرة العلم , ولا يسترون إلا العورة , ولا يعلمون أحد علومهم حتى يدخل في دينهم [4] .

3: ملة الكنكاياتريّة –

وهؤلاء متفرقون في أنحاء الهند , من أذنب منهم أو عقَّ والديه أو أوقع سيئة , شُخّص من مكانه حتى يصل إلى نهر كنك[5] ويغتسل , ويغفر ذنبه إذا مات في سفره هذا [6] .

4: ملة الراجترتيّة –

وهؤلاء عند ابن النديم [7] (الراحمنه) ومذهب هؤلاء خدمة الملوك وتأييد سلطانهم , وهم أثقف الأمم الهندية في القتال والحرب , ويرضون بالاستحقاق القليل [8] .

5: ملة البهادرزية –

من طقوسهم تطويل الشعور وإرسالها من جميع الجوانب , عراة الصدور والظهور , شادين أوساطهم بالسلاسل , لا يشربون الخمر ويحجون إلى جبل يسمى حورعر , وعند ابن النديم [9](حورعن) , ومن مبادئهم الدينية أنهم يمدحون جون

---

(1) الفهرست , ص 489 .
(2) البدء والتاريخ , ج1 , ص 172 , 192 .
(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 79 .
(4) ابن النديم , الفهرست , ص 489 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 79 ؛ الشهرستاني , الملل والنحل , ج3 , ص 714.
(5) نهر الكيف , ابن النديم , الفهرست , ص 489 .
(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 79 .
(7) الفهرست , ص 489 .
(8) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 79 .
(9) الفهرست , ص 490 .

الذي اتخذ الأرض من جلد بهادر , والجبال من عظامه , والماء من دمه , والشجر والنبات من شعره , ويزعمون أنهم ثلاثة إخوة بهادر وجون و ومرش [1] .

6: ملة المهاكالبكتيّة –

لهم صنم يدعى مهاكل يعبدونه , له أربعة أيدٍ كثير الشعر , كاشر الناب كاشف البطن , على ظهره جلد فيل يقطر منه الدم , وفي أذنيه ثعبانان مع ترهات أخرى[2] .

7: ملة الديوياتريّة –

وجاءت تسميتهم عند ابن النديم[3] (الدينكتية) من طقوسهم صناعة صنم يحملونه على عجل , وتضرب فوقه قبة , ويجرون العجلة ويطوفون على الناس , معهم العازفون واللاعبون , وتتجمع الزانيات راكبات الفيلة والخيل , يرتدين الحلي النفيسة , ويكون ذلك في فصل الربيع , ولهذا الصنم خزائن فيها صور ملوك الهند القدامى , وصور الدواب والطير والسباع , ويلبس العامة هذه الصور في ذلك اليوم وهو عيد لهم , وبعد انتهاء العيد تعاد هذه الأشياء إلى خزائن ذلك الصنم [4] .

8 : ملة البهكعتيّة –

وجاءت عند الشهرستاني [5](الدهكينية) و هؤلاء يتخذون صنماً على شكل امرأة على رأسها تاج , بين أيديها سيف مسلول وأسلحة أخرى , فإذا دخلت الشمس الميزان يتخذون عرساً وعيداً بين يدي الصنم , ويجمعون أغصان الأشجار والثياب والطيب والقرابين من الأغنام والبقر والجواميس , ويطرحون لها العلوفة ثم يقتلونها بالسيوف بين يدي الصنم , أما ملوكهم فيقتلون رجلاً أشقر أزرق قرباناً لهذا الصنم , ووقع عند الكرديزي قوله [6] : - " إن الرجل أحمر الشعر أخضر العينين " , ويصاحب ذلك العزف و اللهو واللعب والأكل والشرب , وهذه الملة مذمومة في أنحاء الهند [7] .

9 : ملة الجلبهكتيّة –

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 80 .

(2) ابن النديم , الفهرست , ص488 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 80 ؛ الشهرستاني , الملل والنحل , ج3 , ص 725 .

(3) الفهرست , ص 488 .

(4) المروزيّ, طبائع الحيوان , ص 80 .

(5) الملل والنحل , ج3 , ص 726 .

(6) زين الأخبار , ص 426 .

(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 80 , 81.

وهؤلاء عبدة الماء ويقولون إن مع الماء ملكاً , والماء أصل الحياة وكل شيء, وبه يكون البقاء والعمارة والولادة والطهارة , ومن طقوسهم دخول الرجل منهم في الماء إلى وسطه ويعوم فيه ساعتين أو أكثر , وبيده الرياحين ثم يقطعها إرباً صغيرة , ثم يأخذ جزءاً منه ويقطره على رأسه وبدنه بعدها يسجد وينصرف [1] , وأضاف الشهرستاني [2] :- " فاذا اراد الرجل عبادته تجرد وستر عورته , ثم دخل الماء حتى وصل الى حلقه فيقيم ساعة أو ساعتين أو أكثر ...)

10: ملة الاكنهوطريّة –

وعند الشهرستاني [3] (الاكنواطرية) , ويقال لهم (مك) اي المجوس [4] , وهؤلاء عبدة النيران يحفرون لها أخدوداً مربعاً , ويطوفون حوله ويطرحون بالنار الأطعمة و الكسوة والذهب والفضة والجواهر , ولهم ملوك وعظماء ويقولون إن النار أشرف العناصر الأربعة , ويذمون من ينجس النار بحرق نفسه فيها [5] .

11: ملة عَبَدَة القمر –

وهؤلاء عند ابن النديم والشهرستاني [6] (الجندر يهكنية) , و يقولون إن القمر ملك من الملائكة , ويتخذون له صنماً على عجلة تجرها أربعة بطوط وبيد الصنم جوهر , ومن طقوسهم أنهم يصومون النصف من كل شهر ولا يفطرون إلّا بعد رؤية الهلال من على سطوح المنازل , ثم بعد الإفطار يلعبون ويرقصون بين يدي الصنم [7] .

12 : ملة عَبَدَة الشمس –

وجاءت تسميتهم عند ابن النديم والشهرستاني [8](الدينكيتية) , يزعمون أن الشمس ملك من الملائكة , يتخذون له صنماً على عجلة تجرها أربعة أفراس , يتقربون إليه بالسجود والطواف والدخن وأنواع المزاهر , وله ضياع وغلات , ولهم فيه ضروب من التأويلات والفتن [9] , ويذكر الكرديزيّ أن السلطان محمود الغزنوي قد هدم اثنين من هذه الأصنام مع غيرها عند احتلاله بلاد الهند [10] .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 81 .
[2] الملل والنحل , ج3 , ص 726 .
[3] الملل والنحل , ج3 , ص 728 .
[4] البيروني , تحقيق ما للهند , ص16 .
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 81 .
[6] الفهرست , ص 488 ؛ الملل والنحل , ج3 , ص 723 .
[7] ابن النديم , الفهرست , ص 488 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 81 , 82 ؛ الشهرستاني , الملل والنحل , ج3 , ص 723 ..
[8] الفهرست , ص488 ؛ الملل والنحل , ج3 , ص 723 .
[9] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 79 .
[10] زين الاخبار , ص 427.

13: ملة البهابرنيّة –

ومن سنتهم أنّ الرجل منهم يدخل المقابر ويحمل من الموتى أفظعهم حالاً لأنهم لا يدفنون الموتى , ثم يدخل البلد ويوبخ الناس وينادي : - " أيها العصاة المذنبين الذين أسرهم الحواس واستعبدهم الطباع حتى متى تنكحون امهاتكم وتقتلون اباءكم , ومثل هذا الضرب من الكلام " [1] , ويذكر الكرديزيّ [2] أن الرجل منهم يدخل المقابر, ويأخذ عظام جثة محترقة .

14: ملة الجيرامبيرادهريّة –

يعني الذين يلبسون ورق الاشجار , يسكنون الغياض ويلبسون أوراق الأشجار التي تسمى حبر , وأوراقها عراض كالثوب الواسع , وهؤلاء لا يخالطون الناس ويبرزون للريح والمطر , ويقولون أن هذا ريح الجنة والفوز فيها بحور العين وملابس الجنة [3] .

15 : ملة الاميركجريّة –

وهؤلاء يعني يتشبهون بالوحش ويمشون على أربع , ويأكلون الحشائش بأفواههم , لا يحلقون رؤوسهم , ولا يتحرسون من أذى الحيوانات , ولهم مذاهب وطرق شنيعة [4] .

16:- ملة الرماديّة –

ويقال إنهم مئة الف عابد , وأصلهم من قمار , وهي كمبوديا في الوقت الحاضر[5] , وهؤلاء أصحاب تسبيح , لا يتقربون من المسلمين لأنهم يأكلون البقر[6].

ويقدم لنا المروزيّ [7] كيفية تعذيب الهنود لأنفسهم وهم أحياء نحو قوله :- " وهناك بوادي الجنح بيت صنم آخر , بناؤه قديم , وأهل مملكة دهم يحجون اليه , ويأتيه العباد عراة مهازيل , قد غارت أعينهم من شدة الرياضة , فيطرحون أنفسهم بين يديه , وفي ذلك المكان نسور ضاربة تعودت أكل جيف الناس , فتأتي النسور

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 82 .

(2) زين الاخبار , ص 427.

(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 79 .

(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 82 .

(5) حمدان , طبائع الحيوان , المقالة الاولى , ص 108 .

(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 39.

(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص37.

وتقلع أعينهم أولاً وهم يصبرون على ذلك ثم تأكل النسور لحومهم , وربما بقرت بطونهم وأكلت أمعائهم وهم صابرون على ذلك تقرباً وعبادة " .

وهذه الرواية من مستغربات الحدوث نقلها المروزيّ على علاتها من دون أن يبدي رأيه فيها , وقد وردت لدى الكرديزي ولكن بطريقة تختلف عمّا جاء لدى المروزيّ , إذ يذكر إنّ الناس في مملكة دهم يخرج منهم عابد واحد فقط , يذهب إلى الصحراء ومعه جمع عظيم يدعون له ويرغبونه , ثم يعتزل عنهم ويجلس وحيداً , و تعتليه الطيور الجارحة وتنقره وتأكل لحمه حتى يسلم الروح وهو على هذه الحال ثم تحرق عظامه وتحفظ في البيوت لعلاج المرضى[1] .

وهناك فرق أخرى في عموم بلاد الهند أجملها المروزيّ في إحدى موارده قائلاً [2] :- " ومنهم فرقة يحرقون انفسهم بالنيران ومنهم فرقة يغرقون انفسهم بالماء ومنهم فرقة يمتنعون عن الطعام حتى يموتوا فربما ماتوا في عشرين يوماً وربما بقوا الى ثلاثين . . . ومنهم فرقة يهيمون على وجوههم في البراري حتى يموتوا ومنهم من يرمي نفسه من جبل شاهق عندهم وقد نصب تحت الجبل شجرة من الحديد لها شعب وشجوق محددة فيطرح نفسه عليها من الجبل حتى ينقطع قطعاً . . . ولهم مقالات كثيرة في البدية والبوذسفية يهذون بها واكثرهم يعتقدون التناسخ "

سابعاً :- تطبيقات منهجية في الحديث عن الجوانب الاقتصادية التجارة - الزراعة – الصناعة – الضرائب .

لا نريد بالطبع دراسة الحياة الاقتصادية في بلاد الصين والترك والهند دراسة موسعة نتناول فيها أدق التفاصيل , ونلم بالكثير من التفريعات الصغرى , وإنّما نريد أن نتعرض لهذا الموضوع من الزوايا نفسها والأبعاد التي نظرنا بها إلى هذه البلاد , في الموضوعات والتطبيقات السابقة التي درسناها ضمن إطار موارد المروزيّ في الأبواب الثلاثة .

لقد حظيت الجوانب الاقتصادية عن أحوال الامم التي تناولها المروزيّ بحيز كبير واهتمام واضح , لكنه لم يهتم بتقديم أية بيانات رقمية اقتصادية عنها , فلم نحصل من كتاباته في الأبواب الثلاثة على أية إحصائيات تتعلق بعدد السكان , أو ما ينتج من صناعات معينة أو منتجات زراعية ومسار ذلك , وبذلك يساير الاتجاه

---

[1] الكرديزيّ , زين الاخبار , ص 430.
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 82 , 83.

العام الذي كان سائداً عند المؤرخين العرب المسلمين , حيث من النادر أن يعثر القارئ على بيانات من هذا القبيل [1] .

كان حديث المروزيّ في البداية عن اقتصاد بلاد الصين وما يقومون به من صنائع وحرف يدوية متطورة بمقياس التطور الصناعي في عصر المروزيّ , وبيّن أهمية العمل لديهم ومهارتهم ويقارنهم في ذلك مع أهل الروم نحو قوله [2] :- " وأهله أحذق الناس بالصنائع المهنية لا يدانيهم فيها احد من الامم ولأهل الروم يد عالية فيها إلا أنهم لا يبلغون فيها مبلغ اهل الصين واهل الصين يقولون ان الناس كلهم عميان في الصناعة الا أهل الروم فأنهم يبصرون بعين واحدة يعني انهم عرفوا نصف العمل " [3].

ويذكر لنا المروزيّ رواية الملك الذي يأذن للعامة والخاصة يوماً في كل مدة يجلس للمظالم , ويكون بين يديه ميدان كبير فسيح فيوضع على باب الميدان قطعة من الخشب كبيرة وعليها قدوم [4] , فأول الداخلين يأخذ القدوم ويضرب به ضربة واحدة , ثم يضرب الذي يليه ضربة ثانية وهكذا دواليك , فإذا كانت آخر ضربة حصل من الخشبة على تمثال كامل أما حيوان أو انسان , والغاية أن ثاني من دخل عرف أن الأول أي تمثال قصد من ضربته الأولى[5] , وهذه الرواية تدل على تشجيع السلطة على صناعة التماثيل في بلاد الصين .

لذا يبدو أن صناعة التماثيل مقدسة عند أهل الصين , وهناك من يبدع في صناعتها وبشكل جماعي , وأن السلطة تشجع على صناعتها .

وتدخل لعبة القمار ضمن النشاط الاقتصادي لبلاد الصين , ففي الحوانيت التجارية كعاب[6] ونرد[7] , فإذا تعاسر المتبايعان في تجارة , فيذهبان إلى المقامرة , فينتقلون من المبايعة إلى المخاطرة [8] .

---

[1] الحريري , محمد مرسي , الشريف الإدريسي ودور الرحلة في الجغرافية , د.ط , دار المعرفة الجامعية , مصر , الاسكندرية , 1985م , ص 20 .

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 35 .

[3] جاءت عند القزويني : اثار البلاد , ص54 , بدل (أهل الروم) , (أهل كابل) .

[4] القدوم : أزميل الذي ينحت به , ابن منظور , لسان العرب , ج 12 , ص 465 .

[5] البيروني , الجماهر في معرفة الجواهر , ص 91 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 36, 35 .

[6] كعاب : (الدومينو) الذي يلعب به , ابن منظور , لسان العرب , ج10 , ص 717 .

[7] النرد : فارسي معرب , (زهرة الطاولة - زار) , التونجي , المعجم الذهبي , ص 565 .

[8] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص36 .

ويكثر في بلاد الصين الباعة الجوالة خارج الأسواق , وهؤلاء يطوفون بالبلد يبيعون الفاكهة وغيرها على عربة جوالة , يوضع فيها أقمشة وأمتعة وحاجات البيع والشراء , وهذه العجلة تجري من غير دابة , وهو جالس عليها , يحبسها إذا شاء ويطلقها إذا شاء [1] , ولم يتطرق المروزيّ إلى المادة التي تحركها وكيفية السيطرة عليها , وصناعة الثياب الملبوسة والمفروشة في بلاد الصين , فلهم فيها اناقة ومهارة , لا يوازيهم أحد من الأمم [2] , ويصدرونها مع بعض الثياب الكثيرة الاخرى التي فيها طرف عجيبة وغريبة إلى خارج الصين [3] .

ويستوردون بدلاً عنها العاج والكندر[4] والكهربا الفصوصي الصقلبي [5] – هكذا وردت لدى المروزيّ - الذي يقطر صمغاً من الأشجار في بحر الصقالبة الترك , لأن الكهرباء في الصين يقطر دماً ويضرب لونه الى السواد فلا يرغب أهل الصين فيه ويطلبون الفصوصي ليتزينوا به , ويزعمون أنه يحميهم من العين [6] , ويستوردون أيضاً الختو وهو قرن الكركدن , يتخذون منه المناطق , وتكون أسعارها غالية جداً [7] إذ ذكر صاحب المسالك والممالك [8] ان سعر المنطقة ما بين ثلاثمائة دينار الى ثلاثة الاف دينار الى اربعة الاف دينار .

كما ذكر المروزيّ الموانئ في بلاد الصين ووظيفتها بوصفها منافذ تسهيل عملية التجارة وتوسيع آفاقها ومواردها المالية , وقد أجرى المقارنة بينها , ومثال ذلك مينائي لوقير[9] وخانقوا (كانتون اليوم) [10] وقد وصفهما بقوله [11] :- " فأما الطريق الى الصين من جانب البحر فأول مرفأ من البحر اليه بلد يقال لوقير ثم مدينة خانقو وهي اعظم من لوقير وهو مرفأ اعظم " .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص36.
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 36 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 36 .
[4] الكندر : اللبان , أبن منظور , لسان العرب , ج5 , ص 153 .
[5] الكهرب : والكهربا , فارسية , واصلها كاه ربا , جاذب التمن , نوع من الصمغ فيه خاصية كهربائية , الزبيدي , تاج العروس , ج4 , ص 184 .
[6] البيروني , الجماهر في معرفة الجواهر , ص 91 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 37 .
[8] ابن خرداذبة , ص67 .
[9] أول مرافئ الصين , منها يخرج الى جميع الجهات , تمتاز بصناعة الحرير وطرز الديباج , الادريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص 84 .
[10] مدينة في جنوب شرق الصين , عرفها العرب قديماً كمركز صناعي وتجاري , وهي من اهم موانئ الصين , الادريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص 84 .
[11] المروزي , طبائع الحيوان , ص 48.

ويصف المروزيّ ميناء خانقو وأسواقه قائلاً [1] :- " . . . وبها نهر الماء عذب كبير يخترق البلد وعليه جسور وعلى احد جانبيه اسواق التجار الغرباء وعلى جانبه الآخر اسواق اهل المدينة " .

كما كشف المروزيّ عن الروابط التجارية بين ميناء خانقو وبين مينائي سيراف والبصرة إذ أشار الى ذلك بقوله [2] :- " والفرس يركبون المراكب إليهم من سيراف والعرب من البصرة " , وقد أيّد ابن خرداذبة , المروزيّ في هذه الرواية [3] .

وتحدث المسعودي[4] عن دخول السفن الى مدينة خانقو قائلاً :- " تدخل هذا النهر - نهر المدينة الاعظم – سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج والصنف وغيرها من الممالك بالامتعة والجهاز وتقرب مدينة خانقو " .

ويعرض لنا المروزيّ الوضع التجاري العام لمدينة خانقو وطريقة التعامل التجاري بين تجار المدينة والتجار الغرباء الوافدين اليها والضرائب التي تفرض عليهم , وصفات أهل المدينة قائلاً [5] :- " وفي هذه المدينة صاحب عشر[6] الملك يجمع امتعة التجار ويأخذ منهم العشر ولأهل هذه المدينة وفاء وأمانة وصدق لهجة[7] وهناك تتخذ الغضائر[8] الصينية والكواغد الحسنة التي يكون احد وجهيها ابيض والوجه الاخر اصفر والحرير الصيني الجيد ولباس اهلها الخفاتين [9] " .

ومن رسوم أهل مدينة خانقو أن كل واحد من أهل السوقين , يخالط السوق الآخر ويتعاملون ويتبايعون حتى غروب الشمس , حيث تقرع طبول الانفصال ,

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 42 .
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 42 .
(3) أبن خرداذبة , ص 61 – 69 .
(4) أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/ 957م) , التنبيه والاشراف د.ط , تح , أسعد داغر , دار الهجرة , ايران , قم , 1409هـ , ص 138 .
(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 42 .
(6) العشور : هي الضرائب التي تفرض على الواردة للبلاد أو الصادرة منه , والقائم في هذه المهمة يدعى العشار , ابو الدهب , اشرف طه , المعجم الاسلامي , ط1 , دار الشروق , مصر , القاهرة , 2002م , ص410 .
(7) الادريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص 84 .
(8) الغضائر : الخزف , ابن منظور , لسان العرب , ج5 ص 23 .
(9) عند الادريسي , نزهة المشاق , ج1 , ص 84 , (الفوط) , وهو صدرية تحت الثياب , ابن فضلان , رسالة ابن فضلان , , ص87 (هامش المحقق) .

فينصرف الصينيّون والغرباء كلّ الى موضعه ويحاسب من يخالف ذلك , وإذا اضطر التاجر الصيني البقاء فانه يبقى للصباح عند التجار الغرباء [1] .

ولا يسمح للغرباء مهما كانت صفته بإخراج غلام أو جارية خارج الصين , إلا إذا استولدها فعند ذلك يسمح له بإخراجها معه [2] , وهذا الرسم يبدو أنه في مدينة خانقو التجارية فقط , نوعاً من التسهيلات التجارية وتشجيعاً للتجار الأجانب , ولكن في بعض بلادهم الأخرى لا يسمح بإخراج الجارية حتى وإن كان قد استولدها الغريب إذ يقول المروزيّ [3] :- " في بعض بلادهم اذا اشترى الغريب جارية وأولدها وأراد ان يخرجها معه يمنع من ذلك ويقولون لما زرعت في ارضنا ومن اذن لك فالآن خذ زرعك يعني الولد ودع الأرض " .

أمّا السلع التي يجلبها التجار الغرباء إلى مرفأ خانقو فهي أنياب الفيل والفلفل والزجاج واللازورد والزعفران والفولاذ وخشب الطرفاء[4] والجوز وجميع الفواكه المجففة كالتمر والزبيب [5] .

ويناقض المروزيّ في رواياته ما نقله عن ضريبة العشر التي ذكرها سابقاً في مرفأ خانقو, حيث يعاود ويقول :- " وملك خانقو تحت يد ملك الصين واليه امر الجيش والقتال ورسمهم ان يأخذوا من التجار الذين يردون هذه المدينة من جميع ما معهم من كل عشرة ثلثة ويكون النصف منه لصاحب الجيش والنصف ينفذ الى ملك الصين" [6] , وبذلك تكون الضرائب التي تفرض على بضائع التجار الوافدين الى مدينة خانقو ثلاثة أجزاء من كل عشرة أجزاء , يرسل نصف هذه الضرائب إلى ملك الصين .

أمّا طريقة استقبال المراكب القادمة إلى مرفأ لوقير, فأن الامناء والكتاب يستقبلون المراكب , ويدونون اسم صاحب المركب أولاً واسم ابيه , ويكتب أسماء التجار الذين في المركب وأعمارهم وبلدانهم وقبائلهم , ويثبتون أنواع السلع التي يجلبونها في المركب وأصنافها , وأعز شيء يحمل لهم في السفن قرن الكركدن

---

(1) المقدسي , البدء والتاريخ , ج1 , ص 194 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 42 .

(2) المقدسي , البدء والتاريخ , ج1 , ص 194 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 42 .

(3) طبائع الحيوان , ص 37 .

(4) خشب الطرفاء : شجرة تنبت عند مجرى الماء , وثمارها شبيه بالزهور , تنبت في بلاد الشام ومصر , وتستعمل كعلاج , وفي اثاث البيوت , ومنها صنع اول منبر في الاسلام للنبي (ص) , ابن سيناء , الشيخ الرئيس الحسين بن عبد الله , (ت 428هـ / 1037م) , القانون في الطب , د.ط , دار صادر , لبنان , بيروت , د.ت , ج1 , ص 327 .

(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص42.

(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 42 .

المسمى ختو كما بينا سابقاً , وأهل الصين يسمونه بشان [1], وبعد ذلك ينزل التجار في منازل الرحال , ثم ينقلهم الخصي الامين الى صاحب المدينة [2] .

يتقدم التجار الوافدون من أنظفهم ثياباً إلى صاحب المدينة , ثم يسألهم الملك عن أحوالهم ومسيرهم في البحر إلى خانقو , وبعدها يرسلهم إلى منزل الخصي الأمين خارج المدينة , وإذا دخلوا في بيت الخصي الأمين , يوضع لهم كراسي فيجلسون عليها , ويسألهم عن أحوالهم ويكرمهم ويقدم لهم الفواكه والشراب , ويأمر الخصي الوكيل من قبله الذي يدعى فاسام بحسن تعهدهم وأن يتفقدهم , ثم يختم الأمناء بضائعهم , ويمنع البيع والشراء ستة أشهر الى اخر وقت الريح , فإذا علموا أن المراكب قد انقطعت , وجاء وقت لا يقدم فيه أحد سلموا فيه الأمناء السلع المختومة إلى التجار الغرباء بعد أخذ المكس [3] وهو من كل عشرة ثلاثة , ثم يتبايع التجار كما يريدون [4] .

ويمنع البيع لمدة ستة أشهر ليحصل جميع ما يحمل إليهم ويتقرر ثمنه , فلا يقع ضرر على البائع والشاري , وحتى لا تكسد البضاعة , لأن كثرة البضاعة و قلتها في السلع تؤثر في الأسعار , ويستعمل أهل خانقو الفلوس في التعامل التجاري [5] .

ومن سنتهم أن لا يسمح باحتكار السلع وخاصة الحنطة والحطب والملح والحديد , بل يطرح في أسواقهم حتى يشترى منها بقدر حاجة الانسان [6] .

وأهل الصين يفرضون الجزية على الرجال دون السبعين أو الثمانين من العمر ويعفى النساء والاطفال منها [7] .

وقد لعب العلويين في مملكة الصين الذين تحدثنا عنهم سابقاً , دوراً تجارياً مهماً , فكانوا سفراء بين أهل الصين وبين من يفد عليهم من القوافل والتجار من البلاد الاخرى , ويخرجون إليهم ويطالعون البضاعة والأمتعة , ويحملون البضاعة إلى ملك الصين , ويأتون بالعوض اذا تقرر , وربّما دخل التاجر الواحد بعد الواحد

---

(1) عند المسعودي , مروج الذهب , ج1 , ص 204 , (البشان)
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 43 .
(3) المكس : الجباية , وهي اموال كانت تؤخذ من بائع السلع في الاسواق , والمكس : العشار ويقال للعشار صاحب مكس , أبن منظور , لسان العرب , ج6 , ص 220 .
(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 43 .
(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص43.
(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص46 .
(7) المقدسي , البدء والتاريخ , ج1 , ص 194 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 43 ,44.

مع بضاعته ويبقى مع العلويين ينتظر بيع بضاعته , وقد اتقن هؤلاء العلويين لغات التجار الوافدين اليهم [1] .

أمّا الموظفون الحكوميون في بلاد الصين الذين يتعاملون مع المواطنين و السفراء والتجار القادمين من الخارج , والمرتبطين مع قصور ملوك الصين فهم , السفراء[2] , والأمناء [3] , والكتاب [4] , و الخصي الأمين [5] , الوكيل[6] ,

والوزير[7] , والحاجب [8] , و رؤساء عسكر الملك [9] , وأصحاب السلطان [10] , وصاحب المسلحة على حدود البلاد [11] , والمنجم [12] .

وأمّا المعادن فقد كان لها ذكر عند المروزيّ , فيذكر أن في بلاد التبت معدن الذهب والفضة , بعضها في الجبال وبعضها في التراب , الذي منها في الجبال القطع الكبيرة مثل رؤوس الحملان والجداء , إلا أنّهم لا يحملون منها شيئاً , ويزعمون أن من أخذ منها شيئاً وقع في بيته الموت , ولا يزال كذلك حتى يرده إلى مكانه من الجبل , إلا أنّهم يستفيدون من الذهب في التراب , ومنه يؤدون الخراج وخراجهم على رؤوسهم [13] .

أمّا الموضع الذي يقال له باب التبتين , فهو باب بين جبل شيوه ووادي خرناب على حائط ضعيف و بُني من الشوك والتراب وبها مسلحة لأهل التبت يأخذون الخراج من كل تاجر يسلك ذلك الطريق ويأخذون من كل اربعين واحداً [14] .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 38 ؛ القزويني , اثار البلاد , ص 580.
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 38.
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 43.
[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 43 .
[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 43 .
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 43 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 45.
[8] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 45 .
[9] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 45 .
[10] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 35 .
[11] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص45.
[12] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 47.
[13] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 48.
[14] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 48 .

وحول علاقة أهل التبت التجارية مع بلاد الصين فيوضح المروزيّ هذه العلاقة نحو قوله [1] :- " هناك موضع يقال له زاب وفي هذا الموضع نهر عظيم أحد شطيه وهو الذي المشرق حد الصين والجانب الغربي حد التبت وتجار الصين يحملون امتعتهم الى شط هذا النهر ويعبرون الى الجانب الاخر في مراكب قد اتخذوها من الخشب والجلود ويبايعون ويعاملون أهل التبت وينصرفون في يومهم ذلك " .

وتحدث المروزيّ حديث خبير عن أصول الطيب وخاصة المسك والبلاد المشهورة بإنتاجه , فيصف ممارس شباب أهل التبت جمع المسك في بلادهم وقت هطول الامطار , حيث يخرجون إلى الصحراء للبحث عن مراغة دابة تشبه ضخام الظباء , وربما وقعوا على مراغة فيها ألوف النوافج [2] فيجمعون ما صلح منها , ولكن ربما خاب سعيهم [3] .

ومسك التبت من أجود أنواع المسك وأذكاها رائحة , ويتفوق على مسك الصين , لأنَّ ظباءه في التبت ترعى سنبل الطيب , وفي الصين ترعى الحشيش ويدخله الغش , وأهل التبت يتركونه صافياً [4] , ويتكون في صرة الدابة التي تشبه ضخام الظباء , ويوصف المروزيّ طريقة استخراج المسك من هذه الحيوان قائلاً [5] :- " إنها تهيج في وقت معلوم من السنة ويجتمع في سررها دم اسود يفيض اليها من سائر الجسد ويشتد الألم والوجع في رأسها وفي جميع بدنها فتاتي مواضع في تلك المراعي قد اعتادت المراغة فيها صائمة عن العلف والماء حتى تسقط صرتها المتورمة من كثرة الدم وربما سقط قرنها ايضا ومنها ما تموت هناك ومنها ما تبرأ وترجع الى المرعى ويجتمع في تلك المراغة سرر منها وتأتي عليها السنون وقد جمد الدم ويبس واستحال مسكا [6] " , إلا أن البكري الذي عاصر المروزيّ له رواية أخرى عن كيفية الحصول على المسك في بلاد التبت نحو قوله [7] :-" ... واطيب المسك ما نضج في نوافجها فتفزع حينئذ الى الاحجار الحادة فتحتك بها ملتذة فيسيل على تلك الاحجار , فيودع نوافج عندهم قد اتخذوها من غزلان اصطادوها ... فأما ما يصطاد من الظباء فتقطع نوافجها " .

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 49 .

[2] أسم فارسي معناه السرة . ينظر : البكري , المسالك والممالك , مج1 , ص 204 ؛ وعند التونجي , ما تطاير من الأفراز , المعجم الذهبي , ص 570 .

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 49.

[4] البكري , المسالك والممالك , مج , 1 , ص 204.

[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 43 ,44.

[6] هو طيب معروف يضاف الى غيره من الطيب ويستعمل , أبن منظور , لسان العرب , ج10 , ص 439 .

[7] البكري , المسالك والممالك , مج1 , ص 204 , 205 .

وفي بلاد الهند يستخرج المسك من جباه الفيلة , ويستخرج هناك عطر لبن الزباد , من ضروع حشرة الزباد [1] , والمسك من السلع المرغوبة من التجار القادمين من البحر , وبكميات كبيرة [2] .

أما في بلاد الترك , فإن المصنفات التاريخية العربية الإسلامية لم تتناول الحياة الاقتصادية لقبائل الترك بشكل دقيق وموسع , إلا أنّ ذلك لا يعني بالضرورة عدم توفر نشاط اقتصادي لديهم , فقد مارست هذه القبائل الرعي وتربية الماشية , يستفيدون منها للغذاء واللباس , وكذلك في تجارتهم , فمعظم القبائل التركية يمتلكون الابل والابقار والاغنام ومنتوجاتها السمن والزبد والالبان [3] , ويمتلكون الاراضي الزراعية الشاسعة والانهار الغزيرة , ويصدرون الحيوانات والحديد والمسك والرقيق والحرير [4] , إلا ان مهنة الزراعة كانت لدى قبائل الترك تمارس بشكل محدود , بسبب حياة البداوة والنقل والترحال في اراضي شاسعة جداً , بحثاً عن موطن الكلا والماء , والظروف المناخية السائدة خلال السنة [5] , التي لا تسمح بممارسة مهنة الزراعة لدى بعض قبائل الترك , ولكن هذا لم يمنع بعض قبائل الترك من ممارسة الزراعة بسبب توفرت مقومات نهوضها لديهم .

فقبيلة الكيماك مثلاً كثيرة تملك الاراضي الزراعية الواسعة والتي تعتمد على الامطار الغزيرة لسقي زروعهم [6] , يقول المروزيّ [7] :- " انهم اصحاب غياض ومشاجر ومياه وكلأ ولهم بقر وغنم كثير " , ولا يكون عندهم الملح فربما حمل التاجر اليهم الملح , فيشترونه مقايضة مقابل فرو وسمور [8] , ويدعم ذلك القول الكرديزيّ [9]بقوله :- " وليس لديهم ملح مطلقاً وذا باع شخص ملحاً فأنه يأخذ عوضاً عنه جلد سمور " وبذلك نرى ان قبائل الكيماك لهم علاقات تجارية خارجية ولهم البيع والشراء بأسلوب المقايضة .

وعن يمين قبائل الكيماك ثلاث أمم من الأتراك يتعاملون مع الغرباء بالإشارة من دون أن يكون بينهم كلام وهو ما يعرف آنذاك بالتجارة الصامتة , بأن يضعون

---

[1] المسعودي , مروج الذهب , ج2 , 25 ؛ أبن حوقل , صورة الارض , ص 385 .
[2] السيرافي , الرحلة , ص76 .
[3] الأدريسي , نزهة المشتاق في اختراق الافاق , ج 1 , ص165.
[4] الأدريسي , نزهة المشتاق في اختراق الافاق , ج1 , ص165.
[5] الكرديزي , زين الاخبار , ص 383 .
[6] الأدريسي , نزهة المشتاق في اختراق الافاق , ج1 , ص 234.
[7] طبائع الحيوان , ص 51 , 52.
[8] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 52.
[9] زين الاخبار , ص 373.

سلعهم على خشبة ويأتي الكيماكي ويضع عوض السلعة بإزائها , فأن رضي صاحب السلعة أخذ العوض وطرح ما على خشبته وإن لم يرض تركه [1] .

ويضيف المروزيّ عن قبيلة البجناكية قائلاً [2] :- " إن البجناك قوم سيارة يتبعون مواقع القطر والكلأ " , ويضيف قائلاً [3] :- " ان للبجناكية ثروات ودواب وغنم واثاث وذهب وفضة واسلحة واعلام وطرادات " , ولكن الكرديزي يقول [4] :- " طراوات " , وليس طرادات[5] وهي الثوب الحديدي الذي يعلق عليه الحربة والعلم في الحرب [6] , ووصف البجناكية أبن فضلان , وذكر أبن فضلان [7]أن البجناكية فقراء , وأرضهم الزراعية صغيرة [8] , وزروعهم الدخن , وقد لا تكف حاجتهم [9] .

أمّا الزراعة فقد توفرت لقبائل الترك الخزر مجموعة مع العوامل التي ساعدت على انتشار الزراعة في بلادهم , هي الأراضي الشاسعة [10] , ونزولهم على نهر اتل وتوفر الأيدي العاملة [11] , وايده في ذلك أبن رسته [12]والحميري [13].

وسكنت قبائل البرداس[14] الترك في أراضٍ وسهول واسعة [15] , وهم أصحاب فلاحة ورعي البقر والغنم والجمال ولهم مزارعٍ شاسعة [16] , واعتمادهم على نهر اتل[1] في سقي مزروعاتهم [2] ,

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص52.
[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 52 .
[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 53.
[4] زين الاخبار , ص 387.
[5] طرادات , سفن , أبن منظور , لسان العرب , ج3 , ص 267 .
[6] زين الاخبار , ص 402 .
[7] البيروني , تحقيق ما للهند , ص 471 .
[8] الأدريسي , نزهة المشتاق , ص309 .
[9] القزويني , اثار البلاد , ص580 .
[10] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص53.
[11] القزويني , اثار البلاد واخبار العباد , ص 585.
[12] الاعلاق النفيسة , ص139 .
[13] أثار البلاد , ص585 ..
[14] مد الخزر سيطرتهم على منطقة بحر قزوين والقرم , وكانوا يشتبكون مع المسلمين , مما اضطرهم الى الابتعاد عن حدود الدولة الاسلامية الى داغستان على مصب نهر الفودكا , القزويني , اثار البلاد , ص 584 ؛ ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج3 , ص 231 .
[15] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 53 , 54 ؛ الحميري , الروض المعطار في خبر الاقطار, ص88 .
[16] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص54 ؛ الكرديزي , زين الاخبار , ص389.

أمّا قبائل الترك المجغرية فبلادهم ذات مشاجر ومزارع [3] , وتقع بين نهرين يصبان في بحر الروم واسم النهرين روبا[4] وأتل , احدهما اكبر من نهر جيحون

, ولكن الكرديزي يذكر ان فرعي نهر جيحون هما اتل وروبا [5] .

ولقبائل الترك المجغرية أموال طائلة لكثرة تجارتهم [6] ببيع السبي الى بلاد الروم , يجلبونه من اثر تغلبهم على قبائل الصقالبة والروس [7] , وأيد الكرديزي توفر المياه في بلاد المجغرية , ويذكر أن مياه قبائل المجغرية تجري على وجه الأرض [8] ,مما يدل على أن أراضيهم تسقى سيحاً بفضل الانهار التي تحيط بها , مما ساهم بغزارة الانتاج الزراعي في أراضيهم .

أما الزراعة في بلاد قبائل الصقالبة الترك , فإنهم يزرعون الدخن [9] ,وذكر أبن فضلان [10] أنهم يزرعون البندق , ومن مدنهم خزرات , ولهم فيها سوق مؤقت يفتح في كل شهر ثلاثة ايام , وعندهم كثير من الرقيق [11] .

ولم تعمل قبائل الروسية الترك بالزراعة , وإنما كانوا تجاراً وغزاة , فقد كانت معاشاتهم تعتمد على السيف للمعاش والكسب وغزو جيرانهم وكانوا قراصنة في البحر , وليس لديهم مزارع او عقار او قرى [12] , ولذلك يقول المروزيّ [13] :- "

---

[1] آتل , أو آيتل , نهر الفولكا , بارتولد , في تاريخ الترك في اسيا الوسطى , د.ط , تر , احمد السعيد سليمان , سلسلة الالف كتاب الثاني , 235 , الهيئة المصرية للكتاب , مصر , القاهرة , 1966م , ص 85 .

[2] مجهول , (كان حيا سنة 372هـ/ 982م) , حدود العالم من المشرق للمغرب , ط1, تح , يوسف الهادي , الدار الثقافية للنشر , مصر , القاهرة , 1419هـ / 1999م , ص154 .

[3] الكرديزيّ , زين الاخبار , ص 391 .

[4] في أبن فضلان , الرسالة , ص 110, (نهر اورن)

[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 43 , 44 ؛ الكرديزي , زين الاخبار , ص 391 .

[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 54 ؛ الكرديزي , زين الاخبار , ص 391 .

[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 54 .

[8] زين الاخبار , ص 392.

[9] أبن رسته , الاعلاق النفيسة , ص 144 ؛ المروزيّ , طبائع الحيوان , ص54.

[10] البيروني , تحقيق ما للهند , ص 471 .

[11] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص54.

[12] ابن رسته , الاعلاق النفيسة , ص145.

[13] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص55.

انه لو كان لهؤلاء دواب وكانوا فرساناً لاشتد بلاؤهم على الناس " , ولكن ابن رسته يذكر ان القبائل الروسية عملت في تجارة السمور والسنجاب [1] .

وخلاصة ما تقدم توضح لنا أن قبائل الترك قد مارست مهن الرعي وتربية الأغنام والأبقار والأبل والحيوانات الاخرى , وإن بيع الحيوانات أهم تجارتهم ولهم الزرع والحصاد , والأنهار الكثيرة , وتوفر الماء بهذه الصورة يدل على أن معظم أراضيهم تسقى سيحاً دون تدخل الآلة في ذلك , والأغنام هي المادة الرئيسة لتموين الناس باللحوم والصوف والسمن والزبد والألبان والجلود والملابس , ويصدر من بلادهم الفرو والسمور والاغنام والابقار والرقيق وغير ذلك , الا أن الصناعة يبدو من موارد المروزيّ لا تذكر لديهم في عصره , وربما لا تتعدى المشغولات المنزلية من نتاج الحيوانات , وصناعة الخيام من شعرها او جلودها في تلك الأزمنة .
أما الجانب الاقتصاد في بلاد الهند , فإن طبقة البيشية في المجتمع الهندي هم أصحاب الصناعات والحرف , إلا أن المجتمع الهندي لا يتزوج منهم ولا يزوجونهم كما بينا سابقاً [2] .

وتتميز بلاد الهند بصناعة السيوف والأسلحة , وكذلك الطبول والنايات والبوقات التي تصنع على اصوات الفيلة والأسود وغيرها من الحيوانات [3] .

وتجلب الخمور إلى بلاد الهند من بلاد العرب , لكن يبدو أن معظم ولايات بلاد الهند , شرعت القوانين التي تحرم شرب الخمر , وذلك ليس تديناً وانما تنزيهاً للعقول أن يصيبها ما يؤذيها أو يغشاها ما يضرها [4] , وخاصة الملوك منهم أذا شرب الخمر أستحق الخلع من ملكه [5].

إلا أن ذلك لم يمنع صناعة الخمور في بلاد الهند , وهي تصنع من شراب النارجيل بكثرة , اضافة الى صناعة الخل , شديد الحموضة [6] .

ويكثر الرقيق في بلاد الهند وخاصة في بلاد مملكة الطاقن , ويتصف أن لرقيقهم جمالاً مستفيضاً [7] , و يكثر في غياض مملكة بجاية الصندل الاحمر [1] .

---

(1) ابن رسته , الاعلاق النفيسة , ص 145 .
(2) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 43 , 44 .
(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 79.
(4) المسعودي , مروج الذهب ومعادن الجوهر , ج1 , ص 93 , 94 .
(5) المسعودي , مروج الذهب , ج1 , ص 84 .
(6) أبن خرداذبة , المسالك والممالك , ص71 ؛ أبن حوقل , صورة الارض , ص280 ؛ السيرافي , الرحلة , ص27 .
(7) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 82 .

ويتعامل التجار العرب مع تجار مملكة الجرر , ومعاملاتهم بقطع الذهب والدراهم التي يقال لها الطاطرية [2], عليها صورة الملك , وزن كل درهم مثقال [3] , كما استعمل الدينار في مملكة الجرر[4], وكان التجار العرب إذا أنجزت تجارتهم , بعث ملك الجرر من يحفظ متاعهم حتى يخرجوا من بلاده [5] .

ويتردد التجار العرب على بلاد مملكة الجرر, وليس بعده ملكاً آخر اوسع حالاً منه وأصدق عدلاً , فهو يقول للتجار والسابلة أخرجوا حيث شئتم فان حدث حادث وخسرتم فأنا الضامن [6] .

وفي مملكة دهم يزرع القطن الجيد الذي لا يكون مثله في البلاد الاخرى , تصنع منه المناديل التي تسمى ساده شاهي [7] , وغيرها من الثياب التي اذا ادرجت تسع حلقة الخاتم [8] .

ويقول المروزيّ [9] " وفي مملكة قامرون ينبت الذهب فيها ويكون بحجم كف اليد , وذهب مملكة قامرون اجود من ذهب الصين " , ولا يمكن التسليم بهذه الرواية في الغالب لكون الذهب لا يزرع , وهو معدن في باطن الارض .

ولملك دهم الهندية بلاد كثيرة و مدينة اسمها هدكيرة ولها سوق من نحو فرسخ , وفيها يكون الكركدن والبقر المسمى غزغاو[10] , وبلاده متصلة بساحل

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 43 ,44.

(2) ابن خرداذبة , المسالك والممالك , ص67 .

(3) المثقال : وحدة قياس الوزن , أصله السيلودوس الرومي البيزنطي , هنتس , الميكاييل والاوزان , ص 9 .

(4) الاصطخري , المسالك والممالك , ص32 ؛ أبن حوقل , صورة الارض, ص277 ؛ السيرافي , الرحلة , ص93 .

(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 84.

(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 8 .

(7) ساده شاهي : ساده : معرب عن الفارسي , أي غير مزين , خالص , وشاهي , ملكية , التونجي , المعجم الذهبي , ص 324 , 365 .

(8) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 84 .

(9) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 84 .

(10) غزغار : أو الغضيض : وهو البقر الوحشي , الدميري , حياة الكبرى , ج1 , ص 220 , ج2 , ص 254 .

بحر الاغباب [1], وعلى سواحله يتعاملون بالذهب والودع[2] إلا أن الودع عندهم أروج من الذهب ويسمونه الكنح [3] .

ويعتمد ملوك بني المنبه المسلمة في بلاد الهند على ايرادات صنم في مدينة الملتان دون مدينة المنصورة [4] , وبهذه الأموال يفوقون ملوك الهند ويظهرون عليهم , وإذا مات الرجل الموسر أوصى بنصف ماله لهذا الصنم أو بماله كله , وهناك من يحمل المال إليه من مسافات بعيدة من بلاد الهند والسند [5] وينذر اليه انواع الجواهر والطيب ويجمع اليه الالوف [6] , وتعدّ مدينة الملتان ثغراً من ثغور المسلمين الكبار[7] , ويذكر البكري أن ملوك مدينة الملتان من ولد سامة بن لؤي , وهو ذو جيوش ومنعة [8] , ويرى الباحث أن الاسباب الاقتصادية وراء عمل المسلمين بخدمة هذا الصنم برغم تحريم الاصنام في الاسلام وعدها شرك بالله , حيث كانوا يستظهرون بتلك الاموال , ويتغلبون على ملوك الهند [9] .

ومن مملكة دهم بلد يقال له أورفشين[10] يقع على ساحل البحر, فيها تجارات وربح كثير [11] .

---

[1] بحر الاغباب : ارخبيل يحيط بمجموعة جزر سرنديب المتصلة بالهند , ويسمى اغباب سرنديب , تدخلها المراكب , وتمر فيها بين غيلض ورياض , الادريسي , نزهة المشتاق , ج1 , ص 74 .

[2] الودع : صدف تزين به النساء والصبيان والدواب , يثقب ويتخذ منه القلائد , الدميري , حياة الحيوان الكبرى , ج2 , ص 537 .

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 84 ؛ والكنج : فارسي معرب , تعني (الكنز) , التونجي , المعجم الذهبي , ص 511.

[4] بارض السند وهي قصبتها مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير سواريه ساج , ولهم خليج من نهر مهران . ينظر : ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 4 , ص 330 .

[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 36 .

[6] البكري , المسالك والممالك , مج1 , ص 206 .

[7] المسعودي , مروج الذهب , ج1 , ص 113 , 198- 199 .

[8] المسالك والممالك , مج1 , ص 206 .

[9] المروزي , طبائع الحيوان , ص 36 .

[10] في الادريسي : نزهة المشتاق , ج1 , ص 199 تدعى (أوريسن) , وفي الحميري , الروض المعطار , ص 67 تدعى (اورشين) , وهي مدينة صغيرة من مدن الهند على الساحل , وجزيرتها عظيمة المقدار كثيرة الجبال والاشجار , وفيها فيلة كثيرة تصاد وتجهز بأنياب منها .

[11] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 86 .

وفي أراضي لاهور مدينة يقال لها راميان فيها أصنام لها غلات كثيرة من العقارات والحوانيت و في السوق له ثلاثون زانية تجري عليهن الجرايات من غلات الصنم , ويكون التمتع بهن مجاناً [1] .

وتلي مدينة لاهور مدينة يقال لها جهالندر[2] , وفيها صنم له غلات كثيرة وقرى وبيت زانيات [3] , ومدينة أخرى تدعى سلامور وفيها تجارات وأموال كثيرة , ولأصنامها غلات تبلغ مئة ألف درهم , وفيها بيوت للزانيات ايضاً , ولهن ثلاثة أسواق أجرتهن للصنم , وأكثر أجرتهن درهم لا تزيد عليه [4] .

ومدينة أخرى يقال لها براهون فيها سوق عظيم , يجتمع إليه الناس في السنة أربعة أيام من جميع النواحي , وفيها سبعمائة بيت للأصنام , ولها غلات وبيوت زانيات , في كل بيت عشرة أو اثنتا عشرة منهن , ومن مات من الاغنياء يوصي للصنم بجزء من ماله [5] .

ويمارس أهل مملكة بلاد الزابج لعب قمار الديوك , ودخل المهراج من القمار خمسين مناً ذهباً أو مئتي مناً , لأن الذهب يكثر في بلاده , وكل ديك غلب يكون فخذه للملك , فصاحبه يفتدي ذلك بدينار أو أقل أو أكثر[6].

وحول وصول المسلمين الى عموم بلاد الهند : يقول القزويني [7] في حديثه عن بلاد الهند :- " أن المسلمين لا يصلون إلا الى اوائلها – اي الساحلية – أما أقصاها وعمقها فقل ما يصل أهل بلادنا لأنهم كفار يستبيحون النفس والمال "

وعلى العموم نجد أن بلاد الهند لها تجارات مع البلاد العربية الاسلامية , وأن التجار العرب المسلمين قد وصلوا إلى عموم أوائل وساحل بلاد الهند , وتعامل التجار العرب المسلمين مع أهل مملكة الجرر الهندية كان بقطع الذهب والدراهم الطاطرية [8] , والزنا في بلاد الهند يعدّ أحد الموارد الاقتصادية للممالك والمعابد , والزنا مباح وغير محرم في معظم أديان أهل الهند و مذاهبها التي ذكرناها سابقاً ,

---

(1) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 88 .
(2) جالندر: من مدن الساحل الهندي , البيروني , الجماهر في معرفة الجواهر, ج1 , ص 35 .
(3) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 88 .
(4) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 89 .
(5) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 89 .
(6) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 87 .
(7) اثار البلاد وأخبار العباد , ص86 .
(8) المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 84 .

حتى أن أهل مدينة سيراف يمنعون أبنائهم من السفر إلى جزيرة سرنديب خوفاً من الفواحش[1] .

ثامناً :- منهجه الانثروبولوجي في بلاد الصين والترك والهند مقارنة مع بلاد الفرس والروم والعرب والحبشة في كتابه طبائع الحيوان .

تميزت كتابات المروزيّ التاريخية والجغرافية في المقالة الاولى من كتابه طبائع الحيوان تناوله فيه ذكر الانسان وانواعه وطبقاته من اعلى مراتبه الى ادنى منازله , وإضافة لدراسته أنثروبولوجيا بلاد الصين والترك والهند , فقد تطرق للحديث عن أنثروبولوجيا شعوب العالم الأخرى من أقاليم الارض , منها اهل فارس والروم والعرب والحبشة .

وقد أجرينا تطبيقات منهجية ومقارنة في وصف هذه الاقاليم ذات الطابع الكوروغرافي , مع بلاد بحث الدراسة الصين والترك والهند , فوجدنا أن المروزيّ اتبع ذات الشأن والموصوفات في كتابة الابواب الاخرى وفي دور أدبي رفيع وواسع البلاغة , وأتبع منهجية موحدة , لكن معلوماته الجغرافية لم تكن متوازنة في هذه البلاد فقد توسع في الكلام الوصفي الجغرافي لبلاد الفرس والعرب وأختصر في بلاد الروم والحبشة .

ففي الجانب الجغرافي فأن من مميزات منهج المروزي , أنه كثيراً ما يذكر جغرافية المكان الذي يورد فيه مقالته , وهذا يساعد على فهم تفاصيل هذه الرواية ومعالمها.

وكما قدم عن بلاد الصين من وصف جغرافي للأقاليم السبعة وموقع بلاد الصين في ثلاثة من هذه الاقاليم كما مر بنا سابقاً , فقد بدأ المقال عن أهل فارس محدداً موقع بلادهم قائلاً[2] :- " مساكن جّل الامم , المشهورة الذي يشتمل عليهم عمارة الارض واقعة في الاقاليم السبعة [3] التي هي واقعة في الشمال من خط الاستواء [4] , , ويبتدأ من المواضع التي يكون طول نهارها – ثلاثة عشر ساعة –

---

[1] السيرافي , الرحلة , ص 83 .

[2] المروزي , طبائع الحيوان , ص 161 .

[3] للمزيد عن مفهوم الاقليم ودلالاته وأصطلاحه :- ينظر , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 1 , ص 31 .

[4] خط وهمي يحيط بسطح الارض , يقسمها الى قسمين القسم الشمالي والقسم الجنوبي , والخط متساوي البعد في جميع نقاطه , من كل من القطبين الشمالي والجنوبي , ومنه يبدأ ترقيم الدرجات باعتبار ان درجته هي الصفر , وكان هذا الخط يسمى عند الجغرافيين العرب خط وسط الارض , تونى , معجم المصطلحات الجغرافية , ص 202 .

وينتهي الى المواضع التي يكون طول نهاره الاطول – ست عشر ساعة – في اقصى الشمال ... " .

ويستمر المروزيّ في وصف الاقاليم السبعة في باب أهل فارس , وأراء العلماء الاغريق في صفات كل أقليم وطباع أهله , وأراد الوصول من ذلك الى اعلان ان مملكة ايرانشهر هي صرة الارض[1] معتدلة بين الكيفيتين الشمالية والجنوبية في الاقاليم السبعة , لأن مسكنهم وقع في اواسط الاقاليم السبعة , التي هي موضع الاعتدال البعيدة عن اطراف الاقاليم التي يغلب عليها , أما البرد واما الحر [2] .

ويستمر المروزيّ في سردية واسعة وطويلة لأفضال هذا الاقليم الرابع , ويكثر من تمجيد صفات أهله ويفضلهم على باقي أهل الاقاليم [3] , وربما اراد المروزيّ من ذلك ان يقول انه فارسي الأصل .

ويستمر المروزيّ في وصف جغرافية البلاد التي تناولها في المقالة الأولى من كتابه طبائع الحيوان , لكن باختصار شديد , فيقول عند ذكر الروم [4]:- " الروم أمة عظيمة , ولهم بلاد كثيرة واسعة كثيرة الخيرات " , وبذلك يخالف ما قدمه عن الوصف الجغرافي لبلاد الصين وبلاد فارس وباقي البلاد , وهذا جزء من منهجية المروزيّ التي تناولناها في الفصل الثالث , فكثير من رواياته يقدمها بشكل مختصر , ويرغم القارئ للبحث في المصادر الاخرى لإكمال معلومته أكثر من الموجود لدى المروزيّ .

ويستمر المروزيّ في وصفه الجغرافي للبلاد التي تناول دراستها فوصف بلاد العرب بحديث مطول قائلاً [5] :- " وبلادهم تسمى جزيرة العرب , لأن البحور والاودية تحيط بها من جميع الجهات , وذلك ان الفرات يخرج من بلاد الروم , ويظهر بناحية قيسرين[6] الى الشام ثم ينحط على اطراف الحيرة [1] وسواد العراق , حتى يقع في البحر من ناحية البصرة والابلة , ويمتد البحر من ذلك الموقع مغرباً

---

[1] المقدسي , البدء والتاريخ , ج4 , ص 54 .
[2] المروزي , طبائع الحيوان , ص 162 .
[3] للمزيد :- ينظر , المروزي , طبائع الحيوان , ص ص 163 – 167 .
[4] المروزي , طبائع الحيوان , ص202 .
[5] المروزي , طبائع الحيوان , ص ص 208 – 210 .
[6] قيسرين : أو قيسارية أو قيصارية أو قيصرية , مدينة تركية في الاناضول , تنازع عليها العرب والبيزنطيين , أحتلها السلاجقة سنة (474هـ/ 1082م) , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص 107 .

مطبقاً ببلاد العرب , فيأتي على سفوان [2]وكاظمة [3], وينفذ الى القطيف [4], وهجر , وأسياف قطن [5] , وعمان والشحر[6] , ويمتد منه عنق الى حضرموت , وناحية عدن ودهلك [7] , ويستطيل ذلك العنق وينعطف في تهامة اليمن , ... ويمضي الى ساحل جدة , وينحاز الى ساحل المدينة – وهو ميناء الجار [8] – وساحل تيماء [9] , حتى تبلغ الى قلزم , ويمتد الى مصر ويخالط بلاده , ويقابل النيل من غربي هذا العين من البحر مستطيلاً معه حتى يقطع في بحر الشام , ثم يقبل ذلك البحر من مصر حتى يبلغ بلاد فلسطين فيمر بعسقلان [10] , وسواحلها , ويأتي على صور[11] , وساحل الاردن , وعلى مروت [12] , وسواحل دمشق , ثم ينفذ الى سواحل حمص [13] وسواحل قيسرين [1] , والجزيرة الى سواحل العراق .

---

[1] الحيرة : عاصمة الملوك اللخميين , بين النجف والكوفة في العراق , عرفت ببحيرة النعمان , بلغت عزها في عصر مع الملك منذر الثالث , قصدها الشعراء العرب , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج , 2 , ص 201 ؛ جواد علي , المفصل , ج3 , ص 155 .

[2] سفوان : مدينة عرض اليمامة وما حولها , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج , ص 50 .

[3] كاظمة : مدينة على ساحل البحر العربي في طريق البحرين من البصرة , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 3 , ص 114 .

[4] القطيف : مدينة في البحر , كان اسمها لكورة , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص73 .

[5] أسياف قطن : اسياف البحر : وهو ساحل البحر , ومفردها سيف والجمع اسياف , ولكل ساحل سيف , ابن منظور , لسان العرب , ج2 , ص 254, وقطن المواضع العريضة , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 3 , ص 70 , وأسياف قطن : أي السواحل العريضة .

[6] الشحر : صقع على ساحل بحر الهند (بحر العرب) من ناحية بلاد اليمن , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص 329 .

[7] دهلك : ويقال : دهيك , وهي جزيرة في بحر اليمن , ومرسى بين اليمن والحبشة , ياقوت الحموي , معجم البلدان , م2 , ص329

[8] الجار: مدينة على ساحل بحر القلزم , بينها وبين المدينة يوم وليلة , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج2 , ص 22 .

[9] تيماء : بلدة في اطراف بلاد الشام , بين الشام ووادي القرى , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج1 , ص 471 .

[10] عسقلان : ويقال لها عروس الشام , احدى مدن فلسطين الكبرى قديماً , كانت موقعاً عسكرياً في الحروب الصليبية , ياقوت الحموي , معجم البلدان , م3 , 327 .

[11] صور : ميناء في جنوب لبنان , أسسه الفنيقيون , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص210.

[12] مروت : المروت , أسم نهر , وقيل واد , من ديار ملوك غسان , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 3 , ص 252 .

[13] حمص : مدينة سورية على نهر العاصي بين دمشق وحماة , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 3 , ص 182 .

ثم يعود المروزيّ الى منهجه في الاختصار عند وصفه جغرافية بلاد الحبشة وبطريقة مقتضبة لا تلبي الحاجة في معرفة الموقع الجغرافي لبلاد الحبشة نحو قوله [2] :- " ... أراضيهم متسعة الارجاء ممتدة الاطراف ينتهي اطرافها الى منقطع العمارة وانعدام الحرث والنسل " .

وبعد قراءتنا لهذه الابواب خارج بحث دراستنا , ومقارنتها مع ما ورد في ابواب الصين والترك والهند نجد ان المروزيّ قد ابدع بوصف جغرافية بلاد المشرق الاقصى , ولم ترتق معلوماته في الجنوب والغرب اليها , فالمروزيّ مؤلف جغرافي أسيوي بامتياز .

اما حديثه عن الجانب السياسي والطبقات الحاكمة والادارة والقضاء في هذه البلاد , فقد عرض لنا المروزيّ جوانب من انظمتها السياسية , الا انها تفتقر الى عامل الزمن والتوقيت الدقيق لمدد حكم ملوكهم أو النظام المتبع لنقل السلطة في هذه البلاد , ولم تكن معلوماته متساوية عن انظمة الحكم والطبقات الحاكمة في هذه البلاد , وهذا النهج اتبعه المروزيّ عند حديثه عن انظمة الحكم في بلاد الصين والترك والهند .

وفي ما تعلق بالنظام السياسي في أهل فارس , فقدم لنا معلومة جداً بسيطة عن نظام الحكم فيها , وقد جاءت ما بين السطور نحو قوله [3] :- " ... لما وجد عند ملوكهم من السياسة الفاضلة ما جرى تدبير الملك على افضل وجوهها وأجمعها للمصلحة العائدة الى الرعايا, وهذا النوع من السياسة اختص بها ملوك الفرس , وسلمت الملوك الأخر ذلك " .

ولكنه اضاف عن قوة الجيوش الفارسية بقوله[4] :- " ... فهم اشد بطشاً واكثر غنى , ولذلك كان عادة اولئك وسنتهم انهم كانوا عند تسريب الجيوش , وانفاذ الاجناد الى ثغورهم ووجوه مخالفيهم يجعلون بازاء كل ستة من الهند رجلاً من فرسانهم , وبإزاء كل اربعة من الروم واحداً من فرسانهم , وبإزاء كل رجلين من الترك واحداً من فرسانهم... " .

---

[1] قيسرين , وهي غير قيسارية تركيا , بلد على ساحل بحر الشام , تعد من اعمال فلسطين , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج3 , ص 107 .

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 251 .

[3] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 163 .

[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 164 .

وبالانتقال الى بلاد الروم , فقد استفاض المروزيّ في الحديث عن نظام الحكم والطبقات الحاكمة في هذه البلاد , وقدم لنا صورة متكاملة نوعا ما عن طبيعية الحياة السياسية , ومعلومات واسعة عن القاب الملوك والامراء والطبقات الحاكمة و القابهم ونظام ادارة هذه البلاد التي كانت حية متماسكة في عصر المروزيّ , أجملها في احدى موارده قائلا [1]:- " ... وجملة اعمال الروم اربعة عشر عملا يشمل على بلاد كثيرة [2] , وعلى كل عمل والي من قبل ملك الروم يسمى إمبراطور سقرس , وكبيرهم الذي يسميه : قيصرهم , يسمونه باسيلوس [3] , وديوان جندهم مرسوم على مائة الف وعشرين الفاً , وعليه اثنا عشر بطريقاً , كل بطريق على عشر الف , مع كل بطريق طرمخان , على كل خمسة الاف طرمخان , على الف رجل من جهته يسمى ايضاً : طرمخان , ومع كل طرمخان خمسة قمامسة , كل قومس على مائتي رجل , ومع كل قومس خمسة مطرح [4] , كل مطرح على اربعين , ومع كل مطرح أربعة ذافرجين [5] , كل ذافرجين على عشرة من الرجال " .

وتشارك زوجات ملوك الروم في التدبير والسياسات , ولقب زوجة الملك ديرنينه , ومن عادتهم أذا خرج الملك لقتال عدو خرجت معه امرأته , ومعها أمير خاص يسوس عسكرها ويسمونه كوره بلاط [6] .

أما مراتب الموظفين فقد قدمها لنا المروزيّ في النص التالي[7] :- " واكثر البطارقة قدراً عنده يقال له : الناسيطوس , وهو خليفة الملك , وصاحب مشورته يسمى : اللعثيط , ثم يليه في الرتبة بدرممق , وهو صاحب ديوان البريد , ثم يليه أبرحين , وهو القاضي الذي اليه امر الاحكام في جميع الولايات , وهو يولي على كل ناحية رجلا من قبله " .

وأضاف لنا المروزيّ اسماء موظفي الضرائب واعمالهم في بلاد الروم , نحو قوله [8]:- " ومع كل بطريق رجل يسمى : دمستق [9] , ومرتبته فوق مرتبة طرمخان , وصاحب الخراج يسمى برطيطارس[10] , ومن قبله جماعة يجبون

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 202 .
[2] ابن خرداذابة , المسالك والممالك , ص 105 .
[3] باسيل , عند ابن خرداذبة , المسالك والممالك , ص 16 .
[4] قمطرخين عند , ابن خرداذبة , المسالك والممالك , ص 206 .
[5] داقرجين عند , ابن خرداذبة , المسالك والممالك , ص 256 .
[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 204 .
[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 163 .
[8] الدمستق الكبير , عند ابن خرداذبة , المسالك والممالك , ص256 .
[9] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 163 .
[10] مندارطس , عند ابن خرداذبة , المسالك والممال , ص 256 .

خراج الارضين من كل بيت اوقد فيه النار درهم , ويسمى الواحد منهم من الجباية بطريطس [1] " .

وحول الجانب السياسي والادارة والقضاء في بلاد الحبشة فقد سكت المروزيّ تماماً , وبذلك استثنى المروزيّ باب في ذكر الحبشة عن اي أشارة عن الجانب السياسي وإدارة هذه البلاد ومؤسسات القضاء فيها .

وتطرق بالحديث عن نظام الحكم في بلاد العرب في قديم الدهر , وحظهم في اسباب الملك والرئاسة , وبسط الايدي في الممالك نحو قوله [2] :- " ... كما ذكرنا ذلك عن ملوك حمير[3] – ربما في كتابه (في أخبار التبع الاكبر) كما عرضنا سابقاً – الذين كانوا يسمون التبابعة , الذين وصفوا ببسط الايدي وشدة الشوكة وكثرة الجنود ... وكانوا يلقبون بخصوص وهو العباهلة [4], ... وكان منهم من ملوك غسان " .

اما الجانب الاجتماعي في بلاد فارس فقد خصهم المروزيّ بصفات إيجابية ميزهم عن غيرهم من الامم , فكما مجد صفات جيوشهم , استمر في تقديم صفات المجتمع الفارسي , فخصهم بالنجدة والشجاعة والغنى وحسن الخلق والخلق وحسن الصورة , والسياسة وبحور العلم , وعدم غلبة البرودة والحرارة عليهم فاعتدلت امزجتهم[5] , وبذلك قدمهم على غيرهم من الشعوب .

وبذلك نرى ان المروزيّ التزم الصمت ولم يتطرق الى الجانب السلبي في المجتمع الفارسي كما فعل في الابواب الاخرى . ولم يتطرق الى العجائب والغرائب والتنجيم والسحر وحرفهم ومساكنهم وكل ما يتعلق في الجانب الاجتماعي .

---

[1] للمزيد : ينظر , ابن خرداذبة , المسالك و الممالك , ص 256 .

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 163 .

[3] من شعوب اليمن العربية القديمة , ورث الحضارتين السبئية والمعينية , وكانت مدينة ظفار عاصمتهم , جواد علي , المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام , ج2 , ص 510 .

[4] العباهلة : هم الذين اقروا على ملكهم لا يزالون عنه , وعباهلة اليمن ملوكهم الذين اقروا على ملكهم , جواد علي , المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام , ج 4 , ص 64 .

[5] الغساسنة , هم آل جفنة , من سلالات اليمن , هاجروا الى بلاد الشام في القرن الثالث الميلادي اثر انهيار سد مأرب , وسكنوا بلاد حوران في بلاد الشام على سيف صحراء جزيرة العرب , أعتنقوا المسيحية وعملوا في الجيش البيزنطي , المسعودي , مروج الذهب , ج2 , ص 231 .

ولخص المروزيّ انواع واصناف بلاد الروم , كما قدم شعوب بلاد الصين وقبائل الترك و وشعوب وطبقات بلاد الهند , فمن الروم الفرنج [1] , ويصفهم بالجرأة والبسالة , ومنهم الكرجية [2] , والارمن الداخل والارمن الخارج , ومنهم شعب اللان , واهل السرير , وباب الابواب [3], وثغر الروس .

وتناول المروزيّ الصفات الاجتماعية في بلاد العرب بشيء من التفصيل , تضمن خصالهم الحميدة في السخاء الشجاعة واللسان المبين والشعر واتخاذهم الرموز والهيئات [4] كما أهل الهند , ونظرهم في كتب الآداب والاوصاف البديعة ومهارتهم في علم القيافة [5] , وهي فضيلة اختص بها العرب , ولهم المام بعلم النجوم ومنازل القمر , وهذه الصفة اشترك معهم فيها أهل الصين والهند , وذكائهم مع عدم ارتياضهم في علم الحساب والهندسة [6] .

ووصف عرب البوادي في شبه جزيرة العرب بفصاحة اللسان وجودة البيان والقدرة على فنون الكلام من الخطب والاشعار وصحة البدن , وهذا الحكم غير شامل لسائر البوادي التي تشتمل عليها عمارة الارض , فالبوادي في كل امة يوجدون في غاية التخلف عن مراتب سكان الامصار في العقول والافهام والخصال الداخلة في باب الفضائل [7] .

اما في باب الحبشة فقد انبرى المروزي لهم ونعتهم بصفات التفاوت الذي هو ضد الاعتدال وقربهم من الجنوب لذا ذكر ان خلقهم كريهة وصورهم قبيحة ,

---

[1] الافرنج : قبائل جرمانية استوطنت فرنسا في القرن الخامس الميلادي , واسست فيها المملكة الاولى , اطلق الاسم في الشرق على الصليبيين والاوروبيين عامة , معلوف , لويس , المنجد في الاعلام , ط23 , منشورات ذو القربى , ايران , قم , ص55 .

[2] الكرج : تعرف الان جورجيا , عرفها العرب قديماً , ببلاد الكرج حدودها الان بين تركيا وارمينيا وروسيا على البحر الاسود , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج 3 , ص 126 ؛ معلوف , المنجد , ص 206 , 459 .

[3] باب الابواب : ويقال له الباب غير مضاف , يعرف الآن بدربند في جمهورية داغستان , وهي احدى مدن الاسلام التاريخية , وشهرتها بأسوارها التي تسد الممر بين البحر والجبل , والمدينة ميناء روسي على بحر قزوين , يسكنها اقوام متنوعة , ياقوت الحموي , معجم البلدان , مج1 , ص 242 ؛ معلوف , المنجد في الاعلام , ص 99 . 242 .

[4] هيات : أي غايات , ابن منظور , لسان العرب , ج2 , ص 105 .

[5] علم القيافة : علم باحث عن كيفية الاستدلال بهيئات اعضاء الشخصين الى المشاركة والاتحاد في النسب والولادة وسائر احوالهما , حاجي مصطفى , كشف الظنون , ج2 , ص 1366 .

[6] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 233 ؛ كراتشكوفسكي , تاريخ الادب الجغرافي , ج1 , ص40 , 91 .

[7] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص ص 211 – 233 .

لقربهم من الطريقة المحترقة , واستيلاء الحرارة المفرطة على اهويتهم وتجذبهم الى اعلى ولهذا تطول قامتهم , ويصفهم بالجملة انهم ضد قبائل الترك لقرب هؤلاء من البرودة , لذا يختلفون معهم في الصفات الجسمية , وقد استمر المروزيّ في ذكر صفاتهم واحوالهم في عموم باب الحبشة على حساب الجوانب الاخرى وبذلك خالف منهجيته الميثروبولوجية في الابواب الاخرى .

ولم يتناول المروزي الجانب الديني في ابواب الفرس والعرب والحبشة , واختصر ذلك على باب الروم مخالفاً منهجيته في ابواب الصين والترك , وكذلك بلاد الهند التي تناول فيها الجانب الديني بشكل واسع ومفصل .

وقدم المروزي اشارات عن المبادئ العقائدية في بلاد الروم واستفاظ بالحديث عنها , فقد شكلت الديانات محوراً هاماً من كلام المروزيّ في باب الروم , و ذكر أن الديانة الرسمية لهذه البلاد هي المسيحية و مذاهبهم النسطورية واليعقوبية [1]و الملكائية[2] و البولصية[3] وفيهم اليهود والمجوس , وعلى كل هؤلاء رجل اسمه بطيروح , وهو صاحب الدين , وينوب عنه رجل آخر اسمه مطريليد , ورجال الدين يركبون الحمير ويخفون شعورهم ويلبسون السواد والعسلي , ولا يقربون النساء , ولهم معابد مشهورة ومتعبدات في الكنائس [4] , وللمسلمين في بلد القسطنطينية خان ينزلون فيه لا ينزل فيه غيرهم ولهم مزلة عظيمة عند الروم .

قدم المروزيّ ثلاثة نصوص في الجانب الاقتصادي في باب بلاد الروم تحديداً , النص الاول نحو قوله [5]:- " فأما الصنائع المهنية , فهي لهم مسلمة لا

---

[1] اليعقوبية : المسيحيون ابناء اللغة السريانية , تفرعت منهم الكنيسة المارونية القرن الخامس الميلادي , واليعاقبة (السريان الارثوذكس)في القرن السادس الميلادي , ينسبون الى يعقوب البرذعاني , وكان راهباً بالقسطنطينية والكنيسة السريانية الكاثوليكية في القرن السابع عشر الميلادي , ومنهم المالنكاريون في بلاد الهند , الشهرستاني , الملل والنحل ,ج2 , ص 253 ؛ معلوف , النجد في الاعلام , ص299 , 620 .

[2] الملكائية : أو الملكانية أو الملكيون , اصحاب ملكة الذي ظهر بالروم , وهم المسيحيون الذين انصاعوا لقرارات المجمع الخلقيدوني سنة (451) , منهم الارثوذكس الذين انفصلوا عن الكنية الكاثوليكية سنة (445هـ/ 1054م) , وعاد فرع عنهم عن الانفصال في القرن الثامن عشر الميلادي , الشهرستاني , الملل والنحل , ج2 , ص248 ؛ معلوف , المنجد في الاعلام , ص 545 .

[3] البولصية : أو البولصيون , رهبانية ملكية كاثوليكية , معلوف , المنجد في الاعلام , ص150.

[4] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 205 .

[5] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 204 .

يربى فيها احد عليهم , إلا أهل الصين " وهذه المعلومة اكدها سابقاً في باب بلاد الصين .

اما النص الثاني فقد بين فيه اسباب احترام الروم للمسلمين في بلادهم نحو قوله [1] :- " ... وذلك ان اكثر دخلهم من المكس الذي يأخذونه من التجار لانهم يأخذون من كل من دخل سبع ما معه , ويأخذون ممن خرج تسع ما معه , والتجارات تكثر عندهم لان المراكب من جميع النواحي تنحدر اليهم في البحر المحيط ببلدهم , وقل ما ينقطع عنهم , وقد تأتيهم القوافل في البر من نواحي الشام , ومن الصقالبة والروس وغير ذلك " .

وفي النص الثالث حول سقي مزروعاتهم , نحو قوله [2] :- " ... واذا جرى فيه الماء يقسم ثلاثة اقسام احد الاقسام يكون للملك خاصة يجري الى بساتينه ومتنزهاته , والثاني لأهل السواد يجري الى مزارعهم , والقسم الثالث يكون لأهل البلد فيشربون ويملأون مصانعهم [3] وحياضهم , ويدخرون لوقت انقطاع الماء عنهم , فيكفيهم ستة اشهر لسقيهم " .

وكان المروزيّ قد عرض لنا سابقاً معلومات اقتصادية واسعة عن بلاد الصين وقبائل الترك وبلاد الهند , وباهتمام كبير وواضح , ألا ان هذه المعلومات قليلة في باب بلاد الروم , و تجنب الحديث في هذا الجانب في ابواب فارس و العرب والحبشة , وخالف بذلك نهجه في الكتابة التاريخية التي أعتمدها في بلاد الصين والترك والهند .

وأستمرعلى نهجه سابقاً في عدم تقديم اية بينات رقمية اقتصادية عن هذه البلاد , او احصاءات رسمية تتعلق بعدد السكان , او كميات الانتاج الصناعي والتجاري في عموم مقالته الاولى , واستمر يساير الاتجاه العام الذي سار عليه المؤرخون العرب المسلمين في العصور الوسطى .

وأخيراً وخلاصة ما قدمنا من تطبيقات جغرافية وسياسية واجتماعية ودينية واقتصادية في أبواب الصين والترك والهند , وكذلك عن الجوانب الجغرافية والإدارية التي وردت في المبحث الأول من هذا الفصل , وعند مراجعة الأبواب الأخرى و دراستها من المقالة الاولى من كتاب طبائع الحيوان وخاصة ابواب ذكر الأنبياء , و ذكر الأنبياء المبطلين , و ذكر الملوك , و العلماء , والصوفية

---

[1] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 206 .

[2] المروزيّ , طبائع الحيوان , ص 207 .

[3] المصانع :- الصنع الحوض , وقيل شبه الصهريج يتخذ للماء , أبن منظور , لسان العرب , ج2 ,ص 481 .

والزهاد , وأخلاق الناس و ذكر الطبيعة و الذكورة والأنوثة , و صفة الخصيان , و طول الأعمار وقصورها , وباب العادات , وأنثرولوجية الأمم الأخرى خارج بحث الدراسة , يظهر أن شرف الزمان طاهر المروزيّ , قدّم لنا صورة مجملة عن نوعية بعض الموضوعات الاجتماعية المركزة التي تناول دراستها في هذا الكتاب وتكفينا هذه الموضوعات , للتدليل على أن شرف الزمان طاهر المروزيّ من الرواد الأوائل الذين لفتوا الأنظار إلى سمات علم الاجتماع ووضعوا نواته الأولى ومهّدوا له , ورسَّخوا جذوره وطرقوا أبوابه , قبل المؤرخ ابن خلدون (ت 808هـ/ 1405م) بعدة قرون , لكن هذا العلم لم يكن يعرف باسمه من قبل , وهذه الموضوعات نجد لها بصمة واضحة في كتاب ابن خلدون (المقدمّة) الذي أعلن فيه إخراجه لهذا العلم واستنباطه [1] .

ونرى أيضاً في أبواب الترك والهند أخلاق الناس والعادات وغيرها من الأبواب من صور للنفس البشرية , وذكر الأثر النفسي الذي تحدثه طبيعة بعض البلدان و خصائصها في أمزجة سكانها , وحديثه عنها حديث مُطّلع خبير , نقرأ من خلاله جذور بدايات علم النفس أيضاً , الذي حددت صفاته الأساسية في عصور متأخرة من عصر شرف الزمان طاهر المروزيّ .

وبعد فهذه الرحلة كانت مع المؤرخ والجغرافي والطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ , تضمنت منهجيته وموارده في أبواب الصين والترك والهند من المقالة الاولى من كتابه طبائع الحيوان , تقدم إلى المكتبة العربية , والدعاء الى الله سبحانه وتعالى أن يكون التوفيق في اعداد هذا البحث , توفيقاً يتناسب مع الجهد الذي بذل فيه , إنه الموفق والهادي إلى سواء السبيل , والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات , وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد وآله الطيبين الأطهار, وصحبه المنتجبين .

---

[1] ابن خلدون , عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م) , المقدمة , ط2 , شرح الدكتور علي عبد الواحد وافي , مطبعة لجنة البيان العربي , مصر , القاهرة , 1387هـ/ 1997م , ص 588.

((الخاتمة))

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات , والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد .

لقد خرجت هذه الدراسة ببعض النتائج المهمة وهي :

1- لا تزال ترجمة شرف الزمان طاهر المروزيّ غير واضحة المعالم , فيما يتصل بمكان ولادته ونشأته وتلقيه العلم وتأليفه كتاب (طبائع الحيوان) , وتأريخ وفاته وشيوخه وتلاميذه , ولكن الذي ثبت لدينا أنه عاش في القرنين الخامس و السادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين , إذ أدرك العقد الثامن من عمره .

2- بعد تقديم هذه الدراسة عن منهجية المروزيّ و موارده في أبواب الصين والترك والهند من المقالة الاولى من كتابه طبائع الحيوان , لا يزال الكتاب حقلاً خصباً بحاجة إلى دراسات وأبحاث في التحقيق والنشر وفي جميع مقالاته الخمس وأبوابه وجوانبه الأخرى .

3- بيّن البحث في الأبواب الثلاثة – الصين والترك والهند – أن كتاب طبائع الحيوان يمكن أن يكون مثالاً عن كتب التأريخ العالمي , لأنه لم يكتب في تأريخ العرب فحسب , وإنما كتب في تأريخ الأمم الاخرى , وهي محاولة في كسر حاجز الاقليمية الضيقة , وتعبيراً عن الروح العلمية المنفتحة التي لا تقف عند حد معين .

4- تميّز منهج المروزيّ في كتابة معظم الأخبار والمرويات بقلة ذكر تواريخ الحوادث التي يدونها , وإسنادها الى مجاهيل , لم يذكر اسماءهم , مكتفياً بكلمة (قالوا) , وكان أحياناً يروي الأخبار من معلوماته هو ويسبقها بكلمة (قال) , ولعل ذلك يعود لكونه مؤرخاً وليس محدثاً او مفسراً .

5- اتسم منهج المروزي بالموضوعية في تصدِّيه لكتابة تاريخ بلاد الصين والترك والهند , متخذاً من المواقع والأشخاص مادة تاريخية تصور أحوال الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم وأخبارهم ومناسباتهم والحركة التجارية لديهم , والمذاهب والفرق والاديان السائدة , وأهتم باختلاف أهل كل إقليم في كلامهم وطباعهم وصفاتهم وطعامهم ولباسهم , مما يدل على سعة اطلاعه وغزارة معلوماته .

6- انفرد المروزيّ في كتابه طبائع الحيوان , بذكر نصوص ووثائق تاريخية , ورسائل مهمة متبادلة , لم يذكرها غيره من المؤرخين ما يعطيه أهمية كبيرة في هذا الميدان .

7- يتبيّن من خلال عنوان الكتاب , وعناوين أبوابه ومقالاته الخمس , إدراك المروزيّ لتفاعل الأنسان وكل ما على سطح الأرض من حيوان ونبات و جماد بالظروف المناخية والطبيعية المسيطرة عليه , وإدراكه للتشابه في دورات حياة الأنسان والحيوان والنبات والنظم السياسية وحتى الجماد , لذا جاء كتابه شاملاً بعنوان (طبائع الحيوان) , وبخمس مقالات , الأولى في ذكر الانسان وما حوله والثانية في ذكر البهائم والوحوش , والثالثة في الطيور البرية والبحرية , والرابعة في الحشرات , والخامسة والأخيرة في الحيوانات البحرية , والجميع يعيش على تربة هذه الارض .

8- وأخيراً , فقد كان المروزيّ علماً كبيراً , تعددت مهاراته في التاريخ والجغرافية والعلوم الاخرى , وتميزت كتاباته بالدقة والتمحيص , فكان كتابه طبائع الحيوان من المصادر المهمة التي تناولت حياة الشعوب وطبائع الحيوان في عصره .

وصلى الله على نبينا محمد وآله الأطهار وأصحابه المنتجبين , ومن سار على منهجه إلى يوم الدين .

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم

2. الاحاديث النبوية الشريفة

أولاً المصادر الأولية :-

- **أبن الأثير , أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 630هـ/1232م) .**

3. اسد الغابة في معرفة الصحابة .
ط1 , تح , علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , د . ت .

4. الكامل في التاريخ
ط2 , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , (1415هـ/1994م) .

- **الإدريسي , أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ/1165م) .**

5. نزهة المشتاق في اختراق الافاق
د.ط , مطبعة بريل , ليدن , 1881م .

- **الاسنوي , جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت772هـ/1370م) .**

6. طبقة الشافعية
ط1 , تح , عبد الله الجبوري , مطبعة الارشاد , العراق , بغداد , 1970م .

- **الاصفهاني , ابو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ/966م) .**

7. الاغاني
د . ط , تح , عبد السلام هارون , مكتبة التراث , مصر القاهرة , 1950م .

- **أبقراط , (ت357 ق . م) .**

8. الأهوية والازمنة والبلدان

ط1 , تر , تح , الدكتور شبلي شميل , مطبعة المقتطف والمقطم , مصر, القاهرة , 1302هـ .

- **أرسطو طاليس (ت322 ق . م) .**

9. طبائع الحيوان البري

د.ط , تر , يوحنا ابن البطريق , تح , الدكتور عبد الرحمن بدوي , طبع وكالة المطبوعات الكويتية , الكويت , 1977م .

- **الأصطخري , أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت 346هـ/957م) .**

10. المسالك والممالك

ط1 , دار صادر , لبنان , بيروت , 2004م .

- **ابن أبي اصيبعة , أحمد بن علي القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين ابو العباس (ت 668هـ/ 1269م) .**

11. عيون الانباء في طبقات الاطباء

د.ط , تح , الدكتور نزار رضا , دار مكتبة الحياة , لبنان , بيروت , 2010م .

- **البخاري , أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة (ت 256هـ/ 869م) .**

12.صحيح البخاري

د.ط , تح , مصطفى اديب , دار احياء التراث الاسلامي , لبنان , بيروت , 1937م .

- **ابن بطوطة , محمد بن عبد الله بن محمد (ت 779هـ / 1377م) .**

13. رحلة ابن بطوطة , المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار , ط2 , تعليق طلال حرب , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , (1413هـ / 1992 م) .

- **البكري , أبو عبيد محمد بن عبد العزيز ابو بكر الاندلسي (ت 487هـ / 1094م) .**

14. المسالك والممالك .
ط1 , تح , الدكتور جمال طلبة , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , (1424هـ / 2003م).

15. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع
ط3 , تح , مصطفى السقا , د.م , لبنان , بيروت , 1403هـ .

16. المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب
د.ط , دار الكتاب الاسلامي , مصر , القاهرة , د . ت .

- **البلاذري , أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ / 892م) .**

17. فتوح البلدان
د.ط , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , 1983م .

- **البنداري , الفتح بن علي بن محمد الاصفهاني (ت 643هـ / 1245م) .**

18. تاريخ سلجوق
د.ط , دار الآفاق الجديدة , لبنان , بيروت , 1980م .

- **البيروني , أبو عبد الله محمد بن احمد الخوارزمي (ت440هـ /1048م) .**

19. تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة
د.ط , مطبعة المعارف العثمانية , الهند , حيدر اباد , 1958م .

20. الجماهير في معرفة الجواهر
ط1 , عالم الكتب , لبنان , بيروت , 1984م .

- **البيهقي , ظهير الدين ابي الحسن علي بن زيد (ت 465هـ / 1072م) .**

21. تاريخ حكماء الاسلام
د.ط , تح , محمود كرد علي , مطبوعات المجمع العلمي العربي , سوريا , دمشق , 1946م .

- **التنوخي , ابو علي المحسن بن علي (ت384هـ/994م) .**

22. الفرج بعد الشدة

د . ط , تح , عبود الشالجي , دار صادر , لبنان , بيروت , 1978م.

- **الجاحظ , أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب (ت 255هـ / 868م) .**

23. الحيوان

د.ط , تح , عبد السلام محمد هارون , مطبعة البابي الحلبي , مصر , القاهرة , 1945م .

24. رسائل الجاحظ

د . ط , تح , عبد السلام هارون , مطبعة السنة المحمدية , مصر , القاهرة , 1964م .

- **ابن الجوزي , أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ / 1200م) .**

25. المنتظم في تاريخ الملوك والامم

ط1 , دار صادر , لبنان , بيروت , 1358هـ .

- **الجوهري , إسماعيل بن حماد (ت 338هـ / 949م) .**

26. الصحاح

د.ط , تر, احمد عبد الغفور عطار , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , د.ت .

- **حاجي خليفة , مصطفى بن عبد الله الملقب (ملا كاتب جلبي) , (ت1068 هـ/ 1657م) .**

27. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

د.ط , تح , محمد شرف الدين يالتقايا , دار احياء التراث العربي , لبنان , بيروت , د . ت .

- **ابن حزم , ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الظاهري الاندلسي (ت 456هـ/ 1063م) .**

28. جمهرة انساب العرب

ط5 , تح , عبد السلام محمد هارون , دار المعارف , مصر , القاهرة , (1382هـ/ 1962م) .

29. الفصل في الملل والاهواء والنحل
د.ط , تح , ابراهيم ابو نصر وعبد الرحمن عميرة , دار الجيل , لبنان , بيروت , 1985م .

- **أبو الحسن , الأمام أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب (عليه السلام) , (استشهد 40هـ/ 660م) .**
30. نهج البلاغة
د.ط , جمع الكتاب , الشريف الرضي , ابو الحسن محمد , (ت406هـ/1015م) , ضبط الكتاب وأبتكر فهارسه , الدكتور صبحي الصالح , مطبعة الرسول , ايران , قم , 1426هـ .

- **الحميري , محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عبد النور الصنهاجي الاندلسي (ت 900هـ / 1494م) .**
31. الروض المعطار في خبر الاقطار
د.ط , تح , احسان عباس , مكتبة لبنان , لبنان , بيروت , 1975م .

- **ابن حوقل , أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي (بعد ت 360هـ/ 970م) .**
32. صورة الارض
د.ط , منشورات مكتبة الحياة , لبنان , بيروت , 1992م .

- **ابن خرداذبة , أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ/ 912م) .**
33. المسالك والممالك
د.ط , مكتبة الثقافة الدينية , مصر , القاهرة , د.ت ..

- **الخطيب البغدادي , أبو بكر احمد بن علي (ت 463هـ/ 1070م) .**
34. تاريخ بغداد
د.ط , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , د. ت .

- **ابن خلدون , عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ /1405م) .**
35. المقدمة
ط2 , شرح الدكتور , علي عبد الواحد وافي , مطبعة لجنة البيان العربي , مصر , القاهرة , (1387هـ / 1997م) .

- **ابن خلكان , أبو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر (ت 681هـ/ 1282م) .**
36. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان
د.ط , تح , احسان عباس , دار صادر , لبنان , بيروت , 1970م .

- **ابن خياط , أبو عمر خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني (ت240هـ/854م) .**
37. تاريخ خليفة بن خياط
ط2 , تح , الدكتور اكرم ضياء العمري , دار طيبة , السعودية , الرياض , 1985م .

- **ابو دلف , مسعر بن المهلهل الخزرجي (ت390هـ/1001م) .**
38. الرسالة الاولى
د . ط , تح , مريزن سعيد مريزن عسيري , مركز احياء التراث الاسلامي , السعودية , مكة المكرمة , 1995م .

- **الدميري , كمال الدين محمد بن موسى (ت808هـ/1406م) .**
39. حياة الحيوان الكبرى
د . ط , تح , أسعد الفارس , مقدمة المحقق , دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر , سوريا , دمشق , 1992م .

- **الدنيوري , ابو حنيفة احمد بن داوود (ت282هـ/895م)**
40. الاخبار الطوال
د . ط , تح , عبد المنعم عامر , وزارة الثقافة والارشاد القومي , مصر , القاهرة , 1959م .

- **الذهبي , شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م)**
41. سيرة اعلام النبلاء
ط3 , مؤسسة الرسالة , لبنان , بيروت , 1985م .

- **الراوندي , محمد بن علي , (ت 599هـ/ 1202م) .**
42. واحة الصدور وراية السرور
د.ط , دار الفكر , مصر , القاهرة , 1960م .

- **ابن رستة , أبو علي احمد بن محمد بن اسحاق (ت300هـ/912م) .**

43. الاعلاق النفيسة

د.ط , دار احياء التراث العربي , لبنان , بيروت , (1409هـ /1988م) .

- **الزبيدي, محيي الدين ابي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الحسيني الحنفي (ت 1205هـ/ 1790م) .**

44. تاج العروس من جواهر القاموس

د.ط , تح , علي شيري , دار الفكر للطباعة والنشر , لبنان , بيروت , د . ت .

- **السخاوي , الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1496 م) .**

45. الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ

ط1, تح , المستشرق فرانز روزنتال , تر التحقيق , الدكتور صالح احمد العلي , مؤسسة الرسالة , لبنان , بيروت , (1407هـ / 1986م) .

- **أبو سعيد , علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م)** .

46. الجغرافية

د.ط , تح , اسماعيل المغربي , المكتب التجاري للطباعة والنشر , لبنان , بيروت , د . ت .

- **السمعاني , أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562هـ/1166م) .**

47. ادب الإملاء و الإستملاء

ط2 , تحليل وتحقيق , شفيق محمد زيعو , مطبعة دار اقرأ , لبنان , بيروت , 1986م .

48. الانساب

ط2 , تح , عبد الرحمن بن يحيى المعملي اليماني , مجلس دار المعارف العثمانية , الهند , مدينة حيدر اباد , (1382هـ/1962م) .

49. التحبير في المعجم الكبير
د . ط , مطبعة الارشاد , العراق , بغداد , 1975م .

- **السيرافي , أبو زيد الحسن بن يزيد (ت369هـ/ 979م) .**
50. أخبار الهند والصين .
د.ط , تح , سوفاجيه , فرنسا , باريس , د.م , 1938 . .

- **ابن سينا , الشيخ الرئيس الحسين بن عبد الله (ت428هـ/1037م) .**
51. القانون في الطب , د . ط , دار صادر , لبنان , بيروت , د . ت .

- **السيوطي , جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت 911هـ/1505م) .**
52. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
ط2 , تح , محمد ابو الفضل ابراهيم , دار الفكر , مصر , القاهرة , (1399هـ / 1979م) .

53. تاريخ الخلفاء
ط 1, تح , محمد محيي الدين عبد الحميد , مطبعة السعادة , مصر , القاهرة , (1371هـ / 1952م) .

54. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي .
ط2 , تح , عبد الوهاب عبد اللطيف , دار الكتب الحديثة , مصر القاهرة , 1966م .

- **الشهرستاني , أبو الفرج محمد عبد الكريم (ت 549هـ/ 1154م) .**
55. الملل والنحل
د.ط , تح , احمد فهمي , مطبعة حجازي , مصر , القاهرة , 1949م .

- **شيخ الربوة , شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي (ت727هـ/1326م) .**
56. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر
د.ط , دار احياء التراث العربي , لبنان , بيروت , 1988م .

- **الصفدي , صلاح الدين خليل بن ايبك (ت 764هـ/ 1362م) .**
57. الوافي بالوفيات
د . ط , لبنان , بيروت , (1402هـ / 2000م) .

- **الصنعاني , محمد بن ابراهيم (ت 1182هـ/ 1768م) .**
58. سبيل السلام شرح بلوغ المرام
د.ط , دار الكتب العلمية , اليمن , صنعاء , د.ت .

- **طاش كبرى زادة , احمد بن مصطفى (ت968هـ/1560م) .**
59. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم
د . ط , د.م , حيدر اباد , الهند , 1328هـ .

- **الطبري , ابي جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م) .**
60. تاريخ الامم والملوك
د.ط , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , د.ت .

- **ابن عذارى , أبو العباس احمد بن عذارى (كان حيا سنة 712هـ/1312م) .**
61. البيان المغرب في اخبار المغرب
د.ط , نشر ليفي بروفنسال وكولات , دار الثقافة , لبنان , بيروت , 1967م .

- **العسقلاني , ابن حجر أحمد بن علي (ت 852هـ/ 1448م) .**
62. تلخيص الحبير في تخرج احاديث الرافعي الكبير
د.ط , دار المشكاة للبحث العلمي , مصر , القاهرة , د . ت .

- **ابو الفداء , عماد الدين بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب (ت 732هـ/ 1331م) .**
63. تقويم البلدان
د.ط , دار الطباعة السلطانية , فرنسا , باريس ,1840 م .

- **ابن فضلان , احمد (ت بعد310هـ/922م)**

64. رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والسقالبة
ط1 , تح , سامي الدهان , دار صادر , لبنان , بيروت , 1993م

- **ابن قتيبة الدينوري , عبد الله ابو محمد بن مسلم (ت276هـ/889م) .**

65. الاخبار الطوال
د . ط , تح , عبد المنعم عامر , مراجعة , جمال الدين الشيال , سلسلة تراثنا , وزارة الثقافة والارشاد القومي , مصر , القاهرة , 1959م , وفيه عبد الله بن الصامت بدل عباده بن الصامت .

66. المعارف
ط2 , تح , محمد اسماعيل الصاوي , دار احياء التراث العربي , لبنان , بيروت , 1970م .

- **القزويني , زكريا بن محمد بن محمود , (ت 682هـ / 1283م) .**

67. اثار البلاد واخبار البلاد
د.ط , دار صادر , لبنان , بيروت , 1960م .

- **ابن القفطي , أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت 664هـ /1265م) .**

68. اخبار العلماء بأخبار الحكماء
د.ط , دار الاثار , لبنان , بيروت , د . ت .

- **ابن القلانسي , أبو يعلى حمزة بن ابي علي التميمي , (ت 555هـ/ 1160م) .**

69. ذيل تاريخ دمشق
د.ط , تر وتعليق , الدكتور محمد العزاوي , مكتبة المثنى , مصر , القاهرة , 1975م .

- **الكتبي ,محمد بن شاكر (ت 764هـ/1362م) .**

70. فوات الوفيات
د .ط , د.م , مصر , القاهرة , 1299هـ .

- **ابن كثير , أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ /1372م) .**

71. البداية والنهاية
ط1 , تح , علي شيري , دار احياء التراث العربي , لبنان , بيروت , (1408هـ / 1988م) .

- **الكرماني , أفضل الدين ابو حامد (ت ق6هـ/12م) .**

72. تاريخ افضل بأبداع الازمان في وقائع كرمان
د.ط , فراوردة , مهدي بياني , ايران , طهران , (1326هـ / 1947م) .

- **الكرديزي , ابو سعيد عبد الحي ابن الضحاك محمود , (ت 443هـ / 1051م) .**

73. زين الاخبار
د.ط , تر , عفاف السيد زيدان , المجلس الاعلى للثقافة , مصر , القاهرة , 2006 م .

- **مجهول , (كان حيا سنة 372هـ /982م) .**

74. حدود العالم من المشرق الى المغرب
ط1 , تح , يوسف الهادي , الدار الثقافية للنشر , مصر , القاهرة , (1419هـ / 1999م) .

- **المروزيّ , شرف الزمان طاهر (ت بعد 518هـ/1124م) .**

75. طبائع الحيوان
لوس انجلوس , جامعة كاليفورنيا , الولايات المتحدة الامريكية , رقم 52 .

- **المسعودي , أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/ 957م) .**

76. اخبار الزمان
د . ط , دار الاندلس , لبنان , بيروت , (1385هـ/1966م) .

77. التنبيه والاشراف
د . ط , تح , اسعد داغر , دار الهجرة , ايران , قم , 1409هـ .

78. مروج الذهب ومعادن الجوهر
ط1 , تح , امير مهنا , مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , , لبنان , بيروت , (1421هـ / 2000م) .

- **المقدسي , أبو عبد الله شمس الدين محمد بن ابي بكر المعروف بالبشاري (ت 390هـ /999 م) .**
79. احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم
ط3 , مكتبة مدبولي , مصر , القاهرة , (1411هـ/1991م) .

- **المقدسي , المطهر بن طاهر (ت355هـ/965م) .**
80. البدء والتاريخ
د.ط , مكتبة الثقافة الدينية , مصر , بور سعيد , 1425هـ .

- **المقريزي , تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد , (ت845هـ/1441م) .**
81. المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطط والاثار
د.ط , تح , مصطفى زيادة , د .م , مصر , القاهرة , 1958م .

- **ابن منظور , أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي (ت711هـ/1311م) .**
82. لسان العرب
تح , عبد الله علي أكبر وآخرون , دار المعارف , مصر , القاهرة , د.ت .

- **ابن النديم , أبو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت 485هـ/1092 م) .**
83. الفهرست
د.ط , قابله على أصله أيمن فؤاد سعيد , مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي , المملكة المتحدة , لندن , د . ت .

- **نظام الملك , الحسن بن علي بن اسحاق (ت 485هـ/1092م) .**
84. سياستنامة او سير الملوك

ط2 , تر , يوسف حسين بكار , نشر , دار الثقافة , قطر , الدوحة , (1407هـ / 1978م).

- **النووي , محي الدين يحيى بن شرف (ت676هـ/1228م) .**

85. روضة الطالبين

د . ط , تح , عادل احمد , علي محمد , مطبعة دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , د . ت .

- **الهمداني , رشيد الدين فضل الله (ت 719هـ / 1319م) .**

86. جوامع التواريخ

د.ط , تر , فؤاد عبد المعطي الصياد , لبنان , بيروت , 1983م .

- **ياقوت الحموي , شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ/1228م) .**

87. معجم الادباء , ارشاد الاريب في معرفة الاديب

ط1 , تح , الدكتور احسان عباس , دار الغرب الاسلامي , لبنان , بيروت , 1993م .

88. معجم البلدان

د.ط , دار أحياء التراث العربي , مؤسسة التاريخ العربي , لبنان , بيروت , د . ت .

- **اليعقوبي , احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 292هـ/ 904م) .**

89. البلدان

ط1 , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , (1422هـ / 2002م) .

90. تاريخ اليعقوبي

ط1 , تح , عبد الامير مهنا ,مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , لبنان , بيروت , (1413هـ /1993م) .

ثانياً :- المراجع

- **احمد , مقبول .**

91. العلاقات العربية الهندية

د.ط , تر , نيقولا زيادة , الدار المتحدة للنشر , لبنان , بيروت , د . ت .

- **اشياني , اقبال عباس .**

92. تاريخ ايران بعد الاسلام , من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205-1343هـ/820-1925م) .

د . ط , نقله عن الفارسية محمد علاء الدين منصور , دار الثقافة المصرية , مصر , القاهرة , 1989م .

- **أمين , أحمد .**

93. ضحى الاسلام

د.ط , وزارة الاعلام , مصر , القاهرة , 1997م

- **بارتولد , نيكل .**

94. تاريخ الحضارة الاسلامية

ط4 , تر , حمزة طاهر , مطبعة دار المعارف , مصر , القاهرة , 1966م .

- **الباشا , حسن .**

95. الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار

د.ط , دار النهضة العربية , مصر , القاهرة , 1978م .

- **بدوي , عبد الرحمن**

96. موسوعة المستشرقين

ط3 , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , 1993م .

97. موسوعة الفلسفة .

ط1 , ذوي القربى , ايران , قم , 1427هـ .

- **براون , ادوارد جونفيل .**

98. تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي
ط1 , تر , ابراهيم عبد الحميد الشواربي واخرون , مكتبة الثقافة الدينية , مصر , القاهرة , (1424هـ / 2004م) .

- **بروكلمان , كارل .**

99. تاريخ الادب العربي
ط1 , تر , محمد عوني عبد الرؤوف واخرون , اشراف محمد فهمي حجازي , دار الكتاب الاسلامي , ايران , قم , 2008م .

- **البغدادي , اسماعيل باشا .**

100. هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين .
ط3 , مكتبة الاسلامية والجعفري التبريزي , ايران , طهران , 1967م .

- **البكري , عادل .**

101. الكامل في التراث الطبي .
د . ط , المجمع العلمي العراقي , العراق , بغداد , 2005م .

- **توماس , ارنولد**

102.تراث الاسلام .
ط3 , تر , جورجيس فتح الله , دار الطليعة , لبنان , بيروت , د . ت .

103.الدعوة الى الإسلام
د . ط , تر , حسن ابراهيم حسن وآخرون , مكتبة النهضة المصرية , مصر , القاهرة , 1971م .

- **الجبوري , كامل سلمان**

104.معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م
ط1 , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , د . ت .

- **جمال الدين , محمد السعيد .**

105.دولة الاسماعيلية في ايران
ط1 , دار الثقافة للنشر , مصر , القاهرة , 1999م .

- **حتّي , فيليب و آخرون**
106. تاريخ العرب
ط4 , دار الكشاف للنشر والطباعة , لبنان , بيروت , 1995م .

- **الحديثي , قحطان , عبد الستار .**
107.التواريخ المحلية للأقاليم الخراسانية .
د . ط , مطبعة دار الحكمة , العراق , البصرة , د . ت .

- **الحديثي , نزار عبد اللطيف .**
108. اهل اليمن في صدر الاسلام
د.ط , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , لبنان , بيروت , د . ت .

- **الحريري , محمد مرسي .**
109. الشريف الادريسي ودور الرحلة في الجغرافية
د.ط , دار المعرفة الجامعية , مصر , الاسكندرية , 1985م .

- **حسن , حسن ابراهيم .**
110. تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي
ط14 , دار الجيل , لبنان , بيروت , كلية النهضة المصرية , مصر , القاهرة , (1416هـ / 1996م).

111. تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب و مصر و سوريا و بلاد العرب
ط3 , مكتبة النهضة المصرية , مصر , القاهرة , 1964م .

- **حسنين , عبد المنعم محمد .**
112. سلاجقة ايران والعراق
ط1 , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر , مصر , القاهرة , 1959م .

- **حسين , طه وآخرون .**
113. التوجه الادبي

د . ط , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر , مصر , القاهرة , 1940م .

- **الحسيني , عبد الرزاق كمونة .**
114. منية الراغبين في طبقات النسابين .
د . ط , مطبعة النعمان , العراق , النجف , 1973م .

- **حلمي , احمد كمال الدين .**
115. السلاجقة في التاريخ والحضارة .
ط1 , مطبعة الحرية , لبنان , بيروت , 1975م .

- **حمادة , محمد ماهر .**
116. المكتبات في الاسلام , نشأتها وتطورها .
د . ط , د . م , لبنان , بيروت , 1971م .

- **حمدان , عبد الحميد .**
117. مقدمة كتاب طبائع الحيوان , المقالة الاولى في احوال الانسان وحضارته للطبيب شرف الزمان طاهر المروزيّ
د.ط , عالم الكتب , مصر , القاهرة , د . ت .

- **الخربوطلي , علي حسني .**
118. المسعودي , سلسلة نوابغ الفكر
ط2 , دار المعارف , مصر , القاهرة , د .

- **الدفاع , علي بن عبد الله .**
119.رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الاسلامية
د.ط , د .م , السعودية , الظهران , 1410هـ .
- **ابو الدهب , اشرف طه .**
120. المعجم الاسلامي
ط1 , دار الشروق , مصر , القاهرة , 2002م .

- **الدوري , عبد العزيز .**

121. تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري
ط3 , مركز دراسات الوحدة العربية , لبنان , بيروت , 1995م .

122.العصر العباسي الاول
ط2 , دار الطليعة والنشر , لبنان , بيروت , 1945م .

123.نشأت علم التاريخ عند العرب .
ط1 , وزارة الاعلام والثقافة , العراق , بغداد , 2000م .

- **دي لاس , اوليري .**
124. الفكر العربي ومركزه في التاريخ
ط1 , دار الكتاب اللبناني الجديد , تر , اسماعيل البيطار , لبنان بيروت , 1932م .

- **الديوه جي , سعيد .**
125. التربية والتعليم في الاسلام .
د . ط , د . م , العراق , الموصل , 1982م .

- **ديومين , موريس .**
126. النظم الاسلامية .
د . ط , تر , فيصل السامر و صالح الشماع , مطبعة المعارف , العراق , بغداد , 1952م .

- **رايس , تامار تالبوت .**
127. السلاجقة تاريخهم وحضارتهم
د.ط , تر, لطفي الخولي , وابراهيم الداقوقي , مطبعة الارشاد , العراق , بغداد , 1968م .

- **الرحيم , عبد الحسين .**
128. الخدمات العامة في بغداد (400هـ - 656م / 1009- 1358م)
ط1 , دار الشؤون الثقافية , العراق , بغداد , 1987م .

- **الرفاعي , انور .**

129. الاسلام في حضارته ونظمه
د.ط , مطبعة دار الفكر , سوريا , دمشق , 1973م .

- **روزنتال , فرانتز .**

130. علم التاريخ عند المسلمين
ط2 , تر , الدكتور صالح احمد العلي , مؤسسة الرسالة , لبنان , بيروت , 1983م .

131. مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي
ط1, تر , الدكتور انيس فريحة , دار الثقافة , لبنان , بيروت , 1961م .

- **الزركلي , خير الدين .**

132. الاعلام .
ط5 , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , د . ت .

- **زيادة , نقولا .**

133. الجغرافية والرحلات عند العرب
د.ط , دار الكتاب اللبناني , لبنان , بيروت , 1987م .

134. عربيات , حضارة ولغة
ط1 , المملكة المتحدة , 1994م .

- **زيدان , جورجي .**

135. تاريخ الآداب العربية
د.ط , مكتبة الحياة , لبنان , بيروت , د . ت .

- **الساداتي , محمد محمود**

136. تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم
ط1 , مطبعة مكتبة الآداب , مصر , القاهرة , 1957م .

- **السالم , عبد العزيز .**

137. التاريخ والمؤرخون العرب
د.ط , دار الكتاب العربي للطباعة والنشر , لبنان , بيروت , 1967م .

- **السامر , فيصل**

138. الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية
د.ط , وزارة الأعلام , العراق , بغداد , 1977م .

- **ستوارد , لوثروب**

139. حاضر العالم الاسلامي
ط3 , تر , شكيب ارسلان , عجاج نويهض , دار الفكر , لبنان , بيروت , 1971م .

- **سركيس , يوسف اليان .**

140. معجم المطبوعات العربية والمعربة
د.ط , مكتبة الثقافة الدينية , مصر , القاهرة , د . ت .

- **سعيد , عبد الفتاح عاشور.**

141. الحركة الصليبية
ط2 , مكتبة الأنجلو المصرية , مصر , القاهرة , د . ت

- **السلمي , محمد صايل .**

142. منهج كتابة التاريخ الاسلامي وتدريسه
ط1 , دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع , مصر , المنصورة , (1408 هـ / 1988م) .

- **سوسة , احمد .**

143. فيضانات بغداد في التاريخ
ط1 , مطبعة الاديب البغدادية , العراق , بغداد , 1962م .

- **شرارة , عبد اللطيف .**

144. الفكر التاريخي في الاسلام

د.ط , دار الاندلس , لبنان , بيروت , د . ت .

- **الشريف , احمد ابراهيم .**
145. مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول
ط2 , دار الفكر العربي , مصر , القاهرة , د . ت .

- **شلبي , احمد .**
146. تاريخ التربية الاسلامية
د.ط , مطبعة المعارف , مصر , القاهرة , 1960م .

- **شهاب , غانم .**
147. العلاقات العربية الاسيوية الثقافية , الهند إنموذجاً
ط1 , مطبعة مجلة العربي , دولة الكويت , مدينة الكويت , 2001 م .

- **الشيخلي , صباح**
148. تاريخ الإسلام في افريقيا وجنوب شرق اسيا
د . ط , دار الحرية للطباعة , العراق , بغداد , 1987م .

- **الصالحي , عباس مصطفى .**
149. الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري
د.ط , مطبعة دار السلام , العراق , بغداد , 1974م .

- **الصيني , بدر الدين .**
150. العلاقات بين العرب والصين
د.ط , مكتبة النهضة المصرية , مصر , القاهرة , د . ت .

- **الطرازي , عبد الله مبشر.**
151. موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية لبلاد السند والبنجاب (باكستان الحالية) في عهد العرب
د.ط , عالم المعرفة , السعودية , جدة , 1983م .

- **طلس , محمد اسعد .**

152. التربية والتعليم في العراق .
ط1 , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , 1975م .

- **الطيباوي , عبد اللطيف .**

153. محاضرات في تاريخ الاسلام
د.ط , تر , لطفي الخولي , وابراهيم الداقوقي , مطبعة الارشاد , العراق , بغداد , 1968م .

- **عاشور , سعيد عبد الفتاح واخرون .**

154. دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية .
ط2 , منشورات ذات السلاسل , الكويت , 1986م .

- **عبد العليم , نور .**

155. الملاحة وعلوم البحار
د.ط , دار قاصد للطباعة , الكويت , 1979م .

- **عبد القوي , عثمان شوقي .**

156. تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية (41 - 904هـ/661 - 1488م) .
د.ط , عالم المعرفة , المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , الكويت , 1990م .

- **عبد الله , ابراهيم .**

157. موسوعة السرد العربي .
د . ط , المؤسسة العربية , للدراسات والنشر , دار الفارس للنشر والتوزيع , الاردن , عمان , د . ت .

- **العزاوي , عبد الرحمن حسين .**

158. التاريخ والمؤرخون في العراق
د.ط , دار الشؤون الثقافية , العراق , بغداد , 1993م .

- **علي , جواد .**
159. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام
ط1 , مكتبة جرير , لبنان , بيروت , (1427هـ / 2006م) .

- **علي , سيد امير .**
160. مختصر تاريخ العرب
ط2 , تر , عفيف بعلبكي , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , 1967م .

- **العلي , صالح احمد .**
161. محاضرات في تاريخ العرب
د.ط , دار الكتب للطباعة والنشر , جامعة الموصل , العراق , 1981م .

- **غنيمة , محمد عبد الرحيم**
162. تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى .
د . ط , دار الطباعة المغربية , المغرب , تطوان , 1953م .

- **غنيمة , يوسف رزق .**
163. تجارة العراق قديماً و حديثاً .
ط1 , د . م , العراق , بغداد , 1922م .

- **الفارس , اسعد .**
164. علم الحيوان عند العرب بين الماضي والحاضر
د.ط , مقدمة كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري , دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر , سوريا , دمشق , 1992م .

- **فازيليف .**
165. العرب والروم
د . ط , تر , محمد عبد الهادي وفؤاد حسنين , دار العربي , لبنان , بيروت , د . ت .

- **فريشا , محمد القاسم .**

166. تاريخ المسلمين في الهند
د.ط , د.م , الهند , دلهي , 1981م .

- **فنسك , ارند جان .**

167. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف
د.ط , مطبعة بريل , ليدن , 1967 م .

- **فياض , عبد الله .**

168. الاجازات العلمية عند المسلمين .
ط1 , مطبعة الارشاد , العراق , بغداد , 1967م .

- **فييه , جان موريس .**

169. احوال النصارى في خلافة بني العباس
ط1 , تر , حسين زينة , دار المشرق , لبنان , بيروت , 1990م .

- **قاسم , عبده .**

170. العلاقات الصينية العربية الباكرة
د.ط , د.م , الكويت , 2011م .

- **كحالة , عمر رضا .**

171. التاريخ والجغرافية في العصور الوسطى
د.ط , المطبعة التعاونية , سورية , دمشق , 1972م .

- **كراتشوفسكي , اغناطيوس يوليا نوفتش .**

172. تاريخ الآدب الجغرافي العربي
د.ط , تر , صلاح الدين عثمان , الادارة الثقافية , جامعة الدول العربية , مصر , القاهرة , د. ت .

- **ماجد , عبد المنعم .**

173. التاريخ السياسي للدولة العربية
ط7 , مكتبة الانجلو المصرية , مصر , القاهرة , 1982م .

- **المباركبوري , احمد حسين بن باب الله الرسولبوري ابو المعالي اظهر الدين .**
174. رجال الهند والسند
د.ط , المطبعة المالكية , الهند , 1958م .

- **متز , آدم .**
175. الحضارة الاسلامية
د.ط , تر , محمد عبد الهادي ابر ريدة , مكتبة الخانجي , مصر , القاهرة , د . ت .

- **معروف , ناجي .**
176. مدارس قبل النظامية .
د . ط , مطبعة المجمع العلمي العراقي , العراق , بغداد , 1973م .

177. مدخل في تاريخ الحضارة العربية .
ط1 , مطبعة العاني , العراق , بغداد , 1960م .

- **معصوم , فؤاد .**
178. اخوان الصفا وخلان الوفا , فلسفتهم وغايتهم
د.ط , دار المدى , سوريا , دمشق , 1998م .

- **معلوف , لويس .**
179. المنجد في الاعلام
ط23 , منشورات ذوي القربى , ايران , طهران , 1429هـ .

- **معلوف , محمد .**
180. التجارة عند العرب ومجاوريهم
د.ط , دار العلم , لبنان , بيروت , 1979م .

- **مصطفى , شاكر.**
181. التاريخ العربي والمؤرخون
ط3 , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , 1983م .

- **مينورسكي .**
182. أبواب في الصين و الترك و الهند , ابواب منتخبة من كتاب طبائع الحيوان , لشرف الزمان طاهر المروزيّ
د.ط , د.م , المملكة المتحدة , لندن , 1942م .

- **ناجونغ , عبد الرحمن .**
183. مختصر تاريخ العرب في الحروب الوسطى
د.ط , معهد اللغات في بكين , د . ت .

- **ناجي , عبد الجبار .**
184. دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية
ط1 , مطبعة جامعة البصرة , العراق , البصرة , 1986م

- **نجيب , حكمت .**
185. دراسات في تاريخ العلوم عند العرب
د.ط , جامعة الموصل , الموصل , العراق , 1979م .

- **الندوي , سليمان .**
186.العلاقات بين العرب والهند
د.ط , تر, عبدالله مبشر , مطبعة آله اباد , الهند , 1930م .

- **الندوي , محمد اسماعيل .**
187. تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية
ط2 , دار الفتح للنشر , لبنان , بيروت , د.ت .

- **ابو النصر , محمد عبد العظيم يوسف .**
188. السلاجقة وتاريخهم السياسي والعسكري
ط1 , عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية , مصر , القاهرة , 2001م .

- **النمر , عبد المنعم .**

189. تاريخ الاسلام في الهند
ط1 , دار العهد الجديد , مصر , القاهرة , 1969م .

- **نوري , جعفر .**
190. التاريخ مجاله وفلسفته .
د . ط , مطبعة الزهراء , العراق , بغداد , 1955م .

- **هنتس , فالتر**
191. المكاييل و الاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري
د.ط , د.م , تر , كامل العسلي , الاردن , عمان , 1970م .

- **هور فيتس , يوسف .**
192. المغازي الاولى ومؤلفوها
د.ط , تر , حسين نصار , مطبعة الحلبي , مصر , القاهرة , 1949م .

- **هويدي , فهمي .**
193. الاسلام في الصين
د.ط , سلسلة عالم لمعرفة , الكويت , 1981م .

- **و , بارتولد .**
194. تاريخ الترك في اسيا الوسطى
د . ط , تر , احمد السعيد سليمان , سلسلة الالف كتاب الثاني , 235 , الهيئة المصرية العامة , مصر , القاهرة , **1996م .**

- **واصف بك , أمين**
195. الفهرست , معجم الخريطة التأريخية للممالك الاسلامية
د . ط , تح , احمد زكي باشا , د.م , مصر , القاهرة , 1933م .

- **ولد , جورج , جوردان ليست .**
196. الجغرافية مغزاها ومرماها .
د . ط , تر , يوسف ابو الحجاج , د . م , مصر , القاهرة , د . ت .

- **ويلز , هـ , ج**
197. معالم تاريخ الانسانية
د.ط , تر , عبد العزيز توفيق جاويد , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر , القاهرة , 1994م .

ثالثاً :- الرسائل والأطاريح و البحوث

- **الحصناوي , احمد محبس حسن**
198. كتاب طبائع الحيوان , المقالة الاولى , في ذكر الانسان وانواعه وطبقاته من اعلى مراتبه الى ادنى منازله , دراسة وتحقيق .
اطروحة دكتوراه , مقدمة الى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي , العراق , بغداد , 2012م .

- **خالد , وميض .**
199. الحركة الفكرية في بيهق حتى نهاية القرن الرابع الهجري .
رسالة ماجستير غير منشورة , الجامعة المستنصرية , كلية التربية , 2002م .

- **الشمري , صادق مكي عليوي .**
200. قبائل الترك في كتاب طبائع الحيوان للمروزيّ وفي رحلة ابن فضلان , دراسة مقارنة .
رسالة ماجستير , مقدمة الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة كربلاء , 2014م .

- **الطحطوح , حسين علي .**
201. المظاهر الثقافية الاسلامية في الهند
رسالة ماجستير , كلية الآداب , جامعة الموصل , 1979م .

- **المسعودي , حسين كريم حميدي .**
202. التاريخ السياسي والحضاري لبلاد الهند في المصنفات العربية الاسلامية حتى نهاية العصر العباسي

أطروحة دكتوراه , كلية الآداب , جامعة الكوفة , 2014م

- **الهيتي , صبري فارس .**
203. الفكر العربي عند العرب
بحث منشور ضمن مجموعة حضارة العراق , تأليف مجموعة من الباحثين العراقيين , دار الجيل , لبنان , بيروت , , 1985م .

رابعاً :- المجلات والدوريات

- **تارشند .**
204. العلاقات الهندية العربية , قوية منذ فجر التاريخ
مجلة الثقافة الهندية , مج 16 , العدد 1 , السنة الاولى , الهند , 1965م .

- **جواد , مصطفى .**
205. الربط الاسلامية واثرها في الثقافة الاسلامية .
مجلة سومر , مج 10 , ج2 , 1954م .

- **حسين , مؤنس .**
206. الجغرافية والجغرافيون في الاندلس .
صحيفة معهد الدراسات الاسلامية , اسبانيا , مدريد , 1963م .

- **حمودي , خالد خليل .**
207. نشأت المدارس في العصر الاسلامي .
مجلة افاق عربية , السنة الرابعة , العدد 1 , 1978م .

- **سالم , منيرة ناجي**
208. البيت السمعاني من البيوتات العربية بخراسان .
مجلة المورد , مج5 , العدد 4 , 1976م .

- **عبد الستار , مؤيد .**
209. الصين في كتاب طبائع الحيوان لشرف الزمان طاهر المروزيّ

جريدة الاتحاد العراقية , العدد 1214 في 2006/4/15 م .

- **علوان , محمد باقر .**

210. الحيوان عند العرب
مجلة المورد , العدد 1 , السنة الاولى , وزارة الثقافة , العراق , بغداد , 1972م .

- **الغلاني , واثق محمد منير .**

211. الربط والخوانق والبيمارستات ودورها في التربية .
مجلة دراسات اسلامية , العدد الاول , السنة الاولى , 2000م .

- **محمد , كرد علي**

212. كنوز الاجداد
مجلة المجمع العلمي العربي , مج22 , ج9 , ج10 , سوريا , دمشق , 1366هـ .

- **معروف , بشار عواد .**

213. اثر الحديث في نشأت علم التاريخ عند المسلمين .
مجلة اقلام , ج9 , السنة الثانية , 1966م .

خامساً :- المعاجم

214. المعجم الوجيز
مجمع اللغة العربية , طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم المصرية , 1994م .

- **التونجي , محمد .**

215. المعجم الذهبي , فارسي عربي .
د . ط , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , 1969م .

- **توني , يوسف .**

216. معجم المصطلحات الجغرافية .
د . ط , دار الفكر , لبنان , بيروت , 1977م .

Abstract

This thesis of progress and geographic and doctor sharaf al-zaman tahir al-Marowzi – was alive (year 158 AH \ 1134 AD) - And entitled (Al-Marowzi methodology in the book of the Chapters of China and Turk and India , Elected chapters of his book Tba'e Alhaywan and resources) , This study is part of the historical and geographical studies field That are interested detects historians Arab Muslims efforts , And to clarify their approach to authoring and resources and their tactics in dealing with the events witnessed by the Arab Islamic nation , And the date of their neighboring nations and clans , Hence the desire to record the subject came , and the approach of Al-Marowzi was in the writing of the three chapters - China and Turk and India- particularly strong motivation towards writing this thesis .

Sharaf al-zaman tahir al-Marowzi considered is one of the leading historians of Arab Muslims who wrote about the Levant and Morocco typing known Tba'e Alhaywan - The first article of it - And the known world of his time , The polls and note down what is received from this historic Nations resources , Especially the subject of our study - The country of China, India and Turk – and He writes what is being offered to him and raises his attention , And the notices of the customs and traditions and systems and civilization of the different nations and peoples in this country that He lived with al-Marowzi .

The Research Plan

Research divided into preliminary and introduction, four chapters and a conclusion , The first chapter came in three sections , The first section took care of study of the life and geographic and doctor sharaf al-zaman tahir al-Marowzi , Such

as his name and lineage scientific and upbringing and of his travels in the Arab Islamic countries , The second section we are believe in The influence of the age on the person of the author , So I dealt with the most prominent features of his time in the Seljuk state and its capital city of Mero, where he lived al-Marowzi , What characterized this era of conflict between the political forces that tried to seize power and the conduct of scientific movement , On the contrary, this contributed to the competition between scientific schools in multiple centers , The most important schools Baghdad, Cairo, Cordoba and Maro , In this study we have shown the flourishing of science and medicine in the Seljuk era .

Then came the third section , Where we discussed the Arab-Islamic relations with the countries of India and China until the fall of the city of Baghdad by the Mongols in the year 656 AH , 1258 AD , Bypassing the country of Turk , To the fact that this relationship has come under the second section, which we introduced the first Seljuk state and growing up in the country's Turk and its extension after that to the other country , And its domination on the territory of the Abbasid state in the fifth century AH, the eleventh century AD .

In the second chapter , I thought that we should deal with the first section and briefly summarize the development of historical writing among Arab Muslims , And its early stages and its growth and development in the successive Arab and Islamic Arab countries until the era of al-Marowzi , And the stages in which it passed , From the style of biography and news , To the style of human being and the idea of the nation , Then we presented a second section on the geography of the Arabs , I presented the possession of the Arabs before to Islam geographical information astronomical benefited from them in their travels and movements , Then we showed the interest of

Muslim Arabs in geographical knowledge, trips and trends , and The development of Arab-Islamic geographical authorship, from the keen attention of the Islamic regions to specialization in one country , And then the tendency to classify the geographical dictionaries influenced by the geography of other neighboring nations, especially the Greeks and Romans after the translation of the works of these countries , And in the third section dealt with the talk about the development of the emergence of animal science among Arab Muslims , Before the spread of the Islamic religion in the Arabian Peninsula and the development of this science during the successive Arab Islamic times , And the stages that passed until the era of Sharaf al-zaman taher Al-Marowzi and classification of the book of Tba'e Alhaywan .

After learning about the development of the history, geography and animal sciences of Muslim Arabs, I had to learn in the third chapter the approach of Doctor Sharaf Al-Zaman Taher Al-Marowzi in writing the chapters of China, Turkey and India in his book Tba'e Alhaywan , And divided his sections into three paragraphs , presented in the first paragraph , The definition of the book , As it touched on the control of the title and proportion and date of composition , And the purpose of writing , Manuscripts , Typography , Arrangement and division and divided the investigation into three paragraphs , In the second paragraph, the basics of the organization and presentation of the historical article were presented in the three sections according to the sections , And the most important texts of rare historical documents presented by Al-Marowzi and unique in the chapter of China , In the third paragraph of this chapter, Al-Marowzi's method and methodology were presented in writing the three chapters and quotations from the ancient Greek heritage and Arab Islamic sources , Resources and elders , In addition to the style of criticism of the novels and the

beginning of transport and end and the flags mentioned, all with live examples and resources Al-Marowzi within the three chapters – the study research .

And to meet the title of this treatise right , I devoted the fourth and last chapter to talk about the cultural aspects in the countries of China, Turkey and India and was extrapolated from the total resources of Al-Marowzi in the three chapters , In which there are clear indications about the geographical aspects in the countries of China and Turkey and India and its locations and seas and cities and borders and how to manage this country and that in the first section , The second section has included Al-Marowzi resources for religious values and principles of ideological and social and cultural manifestations in the country of China, India and Turk , Finally, the third and final section was devoted to the economic aspects of this country , The research then concluded after that with a conclusion summarizing the research and its results , This was followed by a detailed outline of the basic sources and secondary references from which they were reported .

Study of sources

It is obvious to those who study the subject as the subject of this thesis , The researcher should not expect to find his scientific article in a wide range of ancient primary sources , because This type of studies and research , Have been shown only at very close intervals in comparison to other studies and research , Hence, the authoritative source on which this study is based is Al-Marowzi's own book (Tba'e Alhaywan) , And is the real source and solid foundation on which this study was built , It is from this book that information was extracted and conclusions drawn , And devising ideas , And building judgments and observations , Therefore, the reader will notice

the frequency of the name of the book and its articles and chapters frequently , During the chapters and sections of this study .